

النسخة الكاملة لكتاب القرآن سبعة أحرف وسبع قراءات

بتاريخ 2013/12/16

الفهرست

ملاحظة: التعديلات الجديدة والاضافات ، تكون في الملفات المتفرقة، ولا توجد هنا في هذه النسخة الجامعة

فهرست

كتاب القرآن حرف واحد؟ أم سبعة أحرف؟

مقدمة / موضوع البحث / المصادر / منهج البحث

الباب الأول: القرآن في ظل النبوة

الفصل الأول: هل نزل القرآن على حرف واحد؟ أم على سبعة أحرف؟

المبحث الأول: طبيعة الوحي الى الأنبياء السابقين:

المبحث الثاني: كيف كانت طبيعة الوحي الى النبي محمد؟

أ- الرؤيا الصادقة أولى مراحل النبوة وأشكالها

ب - سماع الصوت

ج - نزول الملك وبدء الوحي / الرعب والشك

د - الصور المختلفة للوحي النازل الى النبي محمد

حديث الغرانيق / الرسول والنبي والمحدث

الفصل الثاني: نزول القرآن على سبعة أحرف

خلق القرآن: جدل المعنى واللفظ / نزول القرآن لفظا ومعنى / نزول القرآن على سبعة أحرف

حديث عمر بن الخطاب

حديث أبي بن كعب

حديث عبد الله بن مسعود

حديث ابن عباس

حديث أبي هريرة

حديث أم أيوب

فتنة عبد الله بن أبي سرح العامري

الاجماع على الأحرف السبعة

ما هو الذكر الذي تعهد الله بحفظه في هذه الآية "إنا نحن نزلنا الذكر، وإنا له لحافظون" (الحجر:9)؟ هل هو النص؟ أم المضمون الذي يحتوي على ما يذكر الناس بالله تعالى؟

الفصل الثالث: ما هي مبررات نزول القرآن على سبعة أحرف؟ وهل كانت القراءة بها اضطرارية ومؤقتة؟ أم أصيلة وثابتة؟

العوامل المختلفة لنزول القرآن على سبعة أحرف

1 - العامل اللغوي:

2 - صعوبة الحفظ

3 - مشاكل الكتابة

هل كانت القراءة بالأحرف السبعة أصلية وثابتة؟ أم مؤقتة واضطرارية؟

الفصل الرابع: كتابة القرآن في ظل النبي محمد/ عندما يتحول القرآن المتلو الى كتاب

الناسخ والمنسوخ

ما حقيقة عرض جبرئيل للقرآن على النبي كل عام، والعرضة الأخيرة قبيل وفاته؟ وهل كانت موافقة لقراءة زيد؟

الخلاصة:

الباب الثاني: عملية جمع القرآن ومبادرة عثمان لتوحيد المصاحف

الفصل الأول: تعدد مصاحف الصحابة والفوارق فيما بينها

الفصل الثاني: أسباب جمع القرآن وتوحيد المصاحف في عهد الخلفاء الراشدين

1- الخوف من الزيادة في القرآن

2- خوف الضياع والنقصان

3- توحيد القراءة على حرف واحد من أجل منع الاختلاف بين المسلمين

اختلاف المعلمين والتلامذة في المدينة

اختلاف أهل العراق وأهل الشام في غزوة أرمينية وأذربيجان

تكليف زيد بمهمة كتابة القرآن

لماذا الكتابة بلغة قريش؟ هل كان لذلك معنى سياسي ترافق مع سيطرة الأمويين وقريش؟ أبو بكر لم يأمر بجمعه على لغة قريش فلماذا قرر عثمان ذلك؟ ومن ضرب به؟

طريقة كتابته وجمعه، وهل الاعتماد على شاهدين يعتبر تواتراً؟

هل جمع القرآن على حرف واحد؟ أم جمع مصحف عثمان كل الأحرف السبعة؟

اين ذهب الأحرف الستة الباقية عند جمع القرآن؟

ترتيب السور والآيات توقيفي؟ أم اجتهادي؟

الفصل الثالث: هل ضاع شيء من القرآن؟

الفصل الرابع: هل تم التلاعب بكتابة القرآن؟

1- البسمة : هل هي من فاتحة الكتاب وأوائل السور؟

2- آية (المهاجرين والأنصار) : العلاقة بين المهاجرين والأنصار

3 - آية الكنز

4 - آية المتعة

5-آية التمني

الفصل الخامس: رد فعل المسلمين على توحيد المصاحف على حرف واحد

جواز القراءة بالاحرف السبعة

ما هي حجية الإجماع على مصحف عثمان؟

الفصل السادس: القراءات السبع

مصطلحات القراءة والرواية والطريق

سبب الاختلاف بين القراء:

أولاً: اختلاف مصاحف عثمان

ثانياً: تطور الكتابة في الحروف العربية

ثالثاً: أخطاء املائية

طبيعة الاختلاف بين قراءات القراء السبعة

مصير القراءات السبع كمصير الأحرف السبعة: الاندثار

الباب الثالث : الشيعة بين الأحرف السبعة ودعاوى التحريف

الفصل الأول: موقف الشيعة من عملية جمع القرآن

كتاب علي أو مصحف فاطمة

موقف الشيعة من تعدد الأحرف والقراءات

الفصل الثاني: قراءة أهل البيت الخاصة للقرآن

المصادر الشيعية الأولى والعصر الأخباري

الفصل الثالث: القراءات المنسوبة الى أهل البيت

أ - القراءة المطابقة لروايات أهل السنة، المخالفة لمصحف عثمان

ب - القراءة المنفردة

ج- القراءة المحرفة المنسوبة لأهل البيت

الفصل الرابع: موقف الشيعة الاثني عشرية من روايات التحريف عبر التاريخ

أ- موقف الأخباريين

ب - الأصوليون يرفضون مقولة تحريف القرآن

مقدمة

يشكل القرآن الكريم معجزة الاسلام الخالدة التي تكفل الله عز وجل بحفظها الى يوم الدين، في مقابل الكتب السماوية الأخرى التي تعرضت للتحريف، حيث قال تعالى: "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون". وقد عمد بعض المستشرقين النصارى الى التشكيك بسلامة القرآن أملا منهم في التشكيك بالرسالة المحمدية، واستندوا الى بعض الأحاديث التي يذكرها المسلمون في تراثهم حول عملية جمع القرآن، والقراءات المختلفة، في حين قام بعض المسلمين باتهام بعضهم بعدم الإيمان بسلامة القرآن، بهدف التشكيك بإيمانهم واسلامهم،¹ كما فعل بعض أهل السنة مؤخرا باتهام الشيعة بالقول بتحريف القرآن، ورد بعض الشيعة باتهام السنة بذلك. وقد أدت الاتهامات المتبادلة الى إشعال الفتنة بين المسلمين وتضعيف كتابهم الكريم وتشويه دينهم. وهو ما شكل ويشكل صدمة لكل مسلم يؤمن بمعجزة القرآن الخالدة وبمعجزة حفظ الله للقرآن من التلاعب والتحريف. ومن هنا وجدت من الضروري البحث في حقيقة تلك الدعاوى ومبرراتها، ودوافعها، وملايساتها، وفيما اذا

¹ - يأخذ الباحث المسيحي جون جليكريست على المسلمين أنهم "اعتادوا منذ قرون عديدة على الفكرة القائلة ان القرآن بقي محفوظا في نصه الأصلي منذ زمن الرسول محمد إلى يومنا هذا بدون أن يمسّه أي تغيير أو نقصان أو إضافة من أي نوع كانت وبدون أي تغيير في طريقة قراءته. وأنهم يعتقدون أن هذا الكمال المزعوم للنص القرآني هو دليل على أصله الإلهي بدليل أن الله وحده استطاع الحفاظ على هذا النص". ويقول إن هذا الشعور أصبح قويا عندهم لدرجة أنه نادرا ما نجد باحثا إسلاميا يقوم بتحليل نقدي لموضوع جمع القرآن. ويحاول جليكريست في كتابه أن يثبت العكس، ويقول: "إن ما دُونَ في إطار الإرث الإسلامي كاف للبرهنة على أن القرآن كان في وقت من الأوقات يحتوي على عدد مختلف من الآيات بل أحيانا على مقاطع كاملة لا توجد في النص القرآني الحالي. زيادة على هذا فقد كان هناك عدد جُد مهم من القراءات المختلفة قبل أن يُقرّر الخليفة عثمان بن عفان إستئصالها جميعا والاحتفاظ بالمصحف الذي وصلنا". ويتهم المسلمين قائلًا: "إن الشعور السائد عند جل المسلمين يُعتقد على أساسه أن الأصل الإلهي للقرآن برهانه يكمن في الطريقة المثالية التي تم بها إبعاله إلينا عبر العصور. هذا الشعور يؤدي إلى الإحساس بالخوف من كون أي دليل على عكس ذلك قد يكون برهانا على عدم ألوهيته. هذا ما يمنع العلماء المسلمين من التطرق لهذه المسألة بروح موضوعية ومن خلال البحث في المعطيات الخالصة". ويحاول إبعاد الشبهة العدائية عن نفسه وطمأنة المسلمين بأن "مسألة الأصل الإلهي للقرآن لا يمكن حلها باعتبار طريقة نقله وتوصيله وإنما تكون بدراسة مضمونه و تعاليمه. ما يهمنا هنا هو فقط استخلاص الدقة التي تم بها تأليفه و جمعه". جليكريست، جون 1986: جمع القرآن، المقدمة

كانت دعاوى صريحة بتحريف القرآن أم تأويلات لمعانيه، أو قراءات سائغة ومقبولة، أو آيات منسوخة، أو ادعاءات أو اتهامات كيدية قائمة على روايات شاذة ظنية ومقطوعة. ولم يعد من الحكمة التغاضي عن تلك الدعاوى والاتهامات، أو دفن الرؤوس في الرمال، وإنما يجب التصدي لها وبيان الحقيقة من الأوهام في تلك الدعاوى والاتهامات. ولأنني أواجه الباحثين غير المسلمين فلا بد ان اعتمد منهجا علميا محايدا لا يعتمد على المسلمات المتفق عليها بين المسلمين.

موضوع البحث

موضوع البحث هي الأسئلة الأولية مثل: هل المصحف الذي بين أيدينا اليوم جمعه رسول الله في حياته؟ أم أشرف على كتابته كله في حياته، ولكنه لم يجمعه بين دفتين لما كان يترقبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته، أو اضافة آيات جديدة في وسط الآيات السابقة. وعندما انقضى نزوله بوفاته قام الخلفاء الراشدون بجمعه، بعد أن لم يكن مجموعا في مكان واحد ولا مرتب السور؟ أم ان القرآن الكريم كان موزعا على القراء ومتفرقا بين الصحابة سواء في الكتابة أو الحفظ؟ وقد قام الخلفاء الراشدون بعملية الجمع وكتابة ما كان محفوظا في الصدور ومتفرقا بين الصحابة؟ وإذا كان الأمر كذلك فهل فات الخلفاء الراشدين شيء من القرآن الكريم؟ وهل اسقطوا منه شيئا؟ وهل أضافوا اليه ما ليس منه؟ وبكلمة أخرى هل تعرض القرآن الكريم لعملية تحريف أثناء كتابته وجمعه على أيدي الخلفاء الراشدين بصورة متعمدة أو غير مقصودة؟

وبالرغم من سخافة هذه الأسئلة وغرابتها، الا ان هناك من طرحها قديما وحديثا ومن يطرحها في الوقت الراهن.. وإذا كان الجواب عن السؤال الأخير: لا ، بالتأكيد، فماذا كانت قصة المصاحف المختلفة للصحابة من أمثال أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود وأبو موسى الأشعري، والتي أحرقتها عثمان؟ ولماذا كان يوجد بينها اختلاف؟ وما هو ذلك الاختلاف؟ ولماذا اختلفت القراءات السبع أو العشر للمصحف العثماني؟ ولماذا تعددت روايات كل قارئ؟ وما هي قصة رواية حفص عن عاصم وورش عن نافع؟

هناك من ينكر وجود اية نسخة أخرى من القرآن أو وجود اي اختلاف بين النسخ والمصاحف المختلفة، ويعتمد في انكاره على آية الحفظ (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) وأدلة أخرى من القرآن الكريم أو من أقوال المسلمين، وهذا قد يشكل حجة للمسلمين ولكن لا يمكن اقناع غير المسلمين أو من يشكك بالقرآن

بسلامته وصحته، اذ لا بد ان يكون الدليل على سلامته من خارجه، كما ان اثبات سلامة الكتب السماوية الاخرى كالتوراة والانجيل لا بد ان يكون من خارجها ولا يجوز الاعتماد على ما يقوله أهل تلك الكتب. ومن المعروف ان التشكيك بسلامة وصحة تلك الكتب لا يعتمد فقط على ما يقوله المسلمون وانما على دراسة تلك الكتب نفسها دراسة نقدية، وهذا ما يفتح الباب أمام دراسة القرآن نفسه وكيفية جمعه تاريخيا والروايات التي يحتفظ بها المسلمون عن عملية جمع القرآن لاثبات سلامته من التحريف او عدمها. اذن لا يكفي ان نعلم على آية الحفظ لكي نثبت سلامة القرآن من التحريف أو الزيادة والنقصان فيه، وانما لا بد ان ندرس عملية الجمع وننظر الى القرآن من داخله وخارجه حتى نقتنع برأي معين ويكون بإمكاننا اثبات وجهة نظرنا للآخرين المشككين.

المصادر

ومن أجل توضيح الصورة كان لا بد أن نعود الى المصادر الإسلامية الأولية التي تتحدث عن جمع القرآن. وهي تنقسم الى : كتب السيرة النبوية لمحمد بن إسحاق وابن هشام ، ومحمد بن سعد في كتابه "الطبقات الكبير" وكتاب المغازي لمحمد بن عمر الواقدي، ومجامع الحديث النبوي ككتاب الصحيح لمحمد بن إسماعيل البخاري، ومسلم بن الحجاج، وسنن سليمان بن أبي داود ، وموطأ مالك بن أنس، ومسنند أحمد بن حنبل، و(الجامع الصحيح) لمحمد الترمذي، و(السنن الكبرى) لأبي بكر أحمد البيهقي، و(كتاب المصاحف) لابن أبي داود السجستاني، وكذلك كتب التفسير ك"جامع البيان في تفسير القرآن" لأبي جعفر الطبري، والقرطبي والزمخشري والفخر الرازي وابن كثير و"الإتقان في علوم القرآن" لجلال الدين السيوطي .

منهج البحث

وقد حاولنا في هذه الدراسة، اتباع منهج الشك من أجل اليقين، ولذلك لم نعترف مسبقا بوجود أية مسلمة غير قابلة للنقاش، ولم نسلم بكل ما ورد الينا من روايات، وانما حاولنا تقييمها سندا ومتنا، من أجل اكتشاف الحقيقة النائمة في طيات التراث. ولم نخش الاقتراب من بعض الحقائق خوفا من مخالفة الاجماع أو

المشهور أو المقبول أو المرفوض من العامة، بل أثرنا كل الأسئلة وعرضنا كل الأمور على بساط البحث، وتركنا للقارئ مهمة اصدار الحكم على النتائج.

وقد تبنت منهج الشك من أجل اليقين، بعد نقاش مع صديق عزيز لي يقوم بتفسير القرآن الكريم هو السيد احمد المهري، وعرضت عليه بعض اشكالات وشبهات المستشرقين التي يرددها بعض الكتاب المسلمين ويطرحها بعض الشباب المسلم الباحث عن الحقيقة، والتي تشكك بعملية جمع القرآن وبسلامته من التحريف، وتنتهي الى التشكيك بنبوة النبي محمد وطبيعة الوحي ومصدره، ولكنه رفض الاستماع الى تلك الشبهات انطلاقا من إيمانه المطلق بالقرآن الكريم وتضمنه لبعض الآيات التي تؤكد قيام الله بعملية جمع القرآن وترتيبه، كآية "إن علينا جمعه وقرآنه". وكان ينكر وجود قراءات مختلفة ومصاحف متعددة للصحابة، كما يرفض الاعتراف بوجود اي خطأ لغوي أو نحوي أو معنوي في المصحف المكتوب. وإذا كنت اتفق معه في النتيجة الا انني اختلف معه في طريقة إثباتها بصورة علمية وأكاديمية، واختلف مع ذلك الصديق العزيز في الموقف من تلك الشبهات، قائلا له: لا يمكننا كمسلمين أن نجادل الآخرين في سلامة القرآن من داخله، وانما يجب ان نثبت ذلك لهم من خارجة، وبناء على روايات المسلمين أنفسهم التي تحدثت عن عملية جمع القرآن وما شابها من اختلاف، فإما أن نثبت ضعف وكذب تلك الروايات بصورة علمية واما أن نعترف بها أو نجد لها تفسيراً، ولا يجوز أن نرفضها بصورة أيديولوجية، أي بناء على إيماننا المسبق بسلامة القرآن من التحريف، وانما يجب ان نبحث الموضوع بصورة علمية ونتأكد من المصادر ونحلل تلك الأخبار، كما نضع القرآن نفسه على طاولة النقد والنظر والتدبر والتحليل، حسبما يأمرنا القرآن نفسه بذلك عندما يقول: "أفلا يتدبرون القرآن؟ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا" النساء 82 كما لا يمكن ان نركن الى دعاوى (الاجماع) بسلامة القرآن، التي يطلقها البعض دون دليل ولا تأمل، قبل ان ندرسها ونبنى عليها مواقفنا النهائية.

القرآن الكريم سبعة أحرف وسبع قراءات

فلماذا جعلناه حرفا واحدا وقراءة واحدة؟

الاتجاه الديكتاتوري عند الحكام المسلمين دفع الى فرض حرف واحد ثم قراءة واحدة وهذا مخالف للتعددية الاسلامية التي أقرها الرسول الأعظم وسار عليها الصحابة والتابعون والسلف الصالح.

ترتبط دعوى تحريف القرآن، الى درجة كبيرة ، بموضوع طبيعة الوحي، والأحرف السبعة، وعملية جمع القرآن وكتابته في عهد الرسول الأكرم محمد (ص) وعهد الخلفاء الراشدين والقراءات السبع أو العشر للمصحف العثماني. حيث تقوم دعوى التحريف على اللبس والارتباك في فهم الأحرف المتعددة التي نزل بها القرآن والقراءات السبع التي أعقبت ذلك ، مما أدى ويؤدي الى توهم حدوث التحريف أو سقوط بعض الآيات في عملية الجمع ، واختلاف مصاحف الصحابة. وهي مشكلة لم يستوعبها التابعون لجيل الصحابة ولم تتحملها عقولهم، فكادوا يقتتلون ويكفر بعضهم بعضا، بينما كانت قضية عادية بالنسبة للصحابة الذين تلقوا الوحي من الرسول على أحرف سبعة وكان كل منهم أو عدد منهم يمتلك مصحفا خاصا به قد يختلف عن بقية مصاحف الصحابة في قليل أو كثير.

وتعود المشكلة الى تصور خاطئ نشأ لدى بعض المسلمين بأن القرآن الكريم نزل على حرف واحد كصورة طبق الأصل عن القرآن الموجود في اللوح المحفوظ، أو ان العرضة الأخيرة للقرآن نسخت الأحرف الأخرى، وان الله تعالى قد تكفل بحفظ نسخة واحدة وهي نسخة المصحف العثماني المطابقة للوح المحفوظ، وأن هذه النسخة لا تقبل الاختلاف في حرف واحد ولا في نقطة واحدة، بينما يسجل تاريخ المصحف الشريف أن المسلمين كانوا يقرأونه بقراءات متعددة مختلفة، وأنهم ظلوا يقرأونه هكذا الى عدة قرون. وبالتالي فان الاختلاف في القراءة أو الحرف لا يعني التحريف ولا الزيادة ولا النقصان في القرآن الكريم. لأنه القرآن نفسه كان ينطوي على مرونة وعلى تعددية أكد عليها النبي وفهمها الصحابة ولكن لم يفهمها جيدا من جاء بعدهم.

ان مسألة النزول على حرف واحد أو سبعة أحرف، تعود الى موضوع آخر أكبر من ذلك وهو نزول الوحي على قلب النبي بالمعنى والجوهر أو نزوله على سمعه باللفظ والنص الواحد الذي لا يقبل التغيير والاختلاف. وقد كان هذا الموضوع محل نقاش بين المسلمين السابقين بناء على عدد من الأحاديث النبوية الواردة في الصحاح. كما يذكر السيوطي في (الاتقان) ومفسرون آخرون.؟؟؟؟؟؟؟؟

وقبل أن نبحث هذا الموضوع ونغوص فيه بعمق، ونعرف هل كان الوحي باللفظ والمعنى؟ أم بالمعنى فقط، وهو ما يسمح بإمكانية تصور تعدد اللفظ، وتعدد الأحرف والقراءات، لا بد أن نبحث في طبيعة الوحي النازل الى النبي محمد (ص) وهل كان بالكلام المباشر من قبل الله تعالى للنبي؟ أم بواسطة الملك (جبريل) بالمشافهة؟ أم بإلقاء المعاني على قلب النبي في المنام واليقظة؟

وهذا يقتضي منا القيام بمقارنة بين الوحي النازل الى الأنبياء السابقين وبين الوحي النازل الى النبي محمد، ومراحل تطور الوحي. ثم التوقف عند حديث نزول القرآن على سبعة أحرف، والتأكد من صحته. وبعدها نتقل الى بيان طريقة كتابة القرآن في ظل النبي في مكة والمدينة، وجمعه في عهد الخلفاء الراشدين، وما رافق ذلك من أحداث وظروف.

الباب الأول: القرآن في ظل النبوة

الفصل الأول: هل نزل القرآن على حرف واحد؟ أم على سبعة أحرف؟

تعتمد دعوى تحريف القرآن التي يطلقها غير المسلمين من النصارى وغيرهم، أو التي يطلقها بعض أهل السنة ضد الشيعة، أو بعض الشيعة ضد أهل السنة، على وجود نسخ متعددة من القرآن بين الصحابة الذين اختلفوا فيما بينهم حولها، واضطر الخليفة الثالث عثمان بن عفان، على إثرها، الى كتابة (المصحف العثماني) المتداول اليوم بيننا، وحرقت المصاحف الأخرى، وكذلك على وجود قراءات متعددة للمصحف العثماني، وهو ما يعرف بالقراءات السبع أو السبعين. في الوقت الذي يعتقد معظم المسلمين اليوم أن القرآن محفوظ من قبل الله تعالى ولم يزد حرفاً ولم ينقص منه حرف، ولم تتبدل فيه أية كلمة، ولا توجد له الا قراءة واحدة. ولذلك فان المسلمين قبل غيرهم يعتبرون أية دعوى بالاختلاف أو بقراءة ثانية نوعاً من التحريف المرفوض والمنكر، ويتهمون الروايات المتضمنة لذلك الاختلاف بالضعف والاختلاق والتزوير. وعندما يثبت المشككون بسلامة

القرآن تلك الروايات من مصادر المسلمين الأولى المعتمدة لديهم فانهم يصابون بإحباط شديد وصدمة كبرى. وهذا ما يدفعنا الى السؤال: هل يوجد نص واحد للقرآن؟ أم توجد له نصوص متعددة ومختلفة ويمكن أن يقرأ على وجوه مختلفة، وأنه نزل على سبعة أحرف، وأن الاختلاف الموجود بين مصاحف الصحابة والتابعين ليست تحريفا وانما تعددا مسموحا به ومأمورا به من عند الله، وذلك لأن القرآن المحفوظ هو الجوهر والمعنى، وأما اللفظ فهو مرن وقابل للتشكل والتعدد والاختلاف.

ولكن هذا القول يبدو غريبا ومجهولا وبعيدا عن الإجماع الاسلامي، وربما يعارض ضروريا من ضروريات الدين حسبما يعرف غالبية المسلمين. الا أن وقوعنا بين خيارين هما القول بالتحريف أو القول بالتعدد من المصدر، يدفعنا الى مراجعة " المسلمة " التاريخية التي كاد يجمع عليها المسلمون. وهو ما يقودنا الى بحث طبيعة الوحي (القرآني) وكيفية نزوله على النبي محمد (ص) والظروف التي كانت محيطة بعملية نزوله وانتشاره وكتابته، ونسخه وتبديله، والتأكد من نزول القرآن على حرف واحد؟ أم على سبعة أحرف؟

كيف كانت طبيعة الوحي النازل الى النبي محمد؟

ترد كلمة "الوحي" في القرآن الكريم بمعان عديدة منها الاعلام الخفي أو الالهام القلبي، أو الاشارة، ومنها الكلام المباشر من الله، او بواسطة الملائكة، فقد جاءت كلمة "الوحي" بمعنى الالهام الغريزي للحيوان كما في قوله تعالى "وأوحى ربك الى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا" (النحل ٦٨) وجاءت بمعنى الالهام الخفي للانسان العادي كما في قوله تعالى "وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه..." (القصص ٧) وجاءت بمعنى الاشارة السريعة كما في قوله تعالى "فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا" (مريم ١١) وكما وردت كلمة "الوحي" بفعل من الله، وردت أيضا بفعل من الشياطين، كما في قوله تعالى "وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم" (الأنعام ١٢١)

وأما بالنسبة للأنبياء فقد وردت كلمة "الوحي" قسما وقسيما، أي بالمعنى الخاص (الالهام الخفي) والمعنى العام (الإعلام) المباشر وغير المباشر الذي يشمل جميع أنواع الوحي، كما يتضح ذلك من قوله تعالى في سورة الشورى: " وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بآذنيه مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيُّ حَكِيمٌ " (الشورى : 51) . حيث وردت كلمة "الوحي" هنا بمعنى الإلهام الخفي المقابل للأنواع

الأخرى من طرق الإعلام كالكلام من وراء حجاب أو ارسال الرسل (الملائكة). كما اطلق "الكلام" على جميع انواع الوحي.²

وأما القسم الآخر من الوحي فهو التكليم المباشر من الله تعالى ، كما ورد في قوله تعالى " وكلم الله موسى تكليماً" (النساء: ١٦٤) " ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه" (الأعراف ١٤٣) او بواسطة الملائكة ، كما في قوله تعالى "أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء" (الشورى : ٥١) وسوف نستعرض الأمثلة الواردة في القرآن عن ذلك، في الصفحات التالية.

وقد جاء في القرآن الكريم : ان الوحي النازل الى النبي محمد هو مشابه للوحي النازل على الأنبياء السابقين من قبل : "إنا أوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده واوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهارون وسليمان واتينا داوود زبوراً". (النساء ١٦٣) فهل كان ذلك تشبيها عاما للوحي، والوحي الخفي فقط؟ أم يشمل كل أنواع الوحي الخفي والكلام المباشر وغير المباشر وعبر الرسل (الملائكة) الذين يلقون الوحي على قلب النبي أو يتمثلون له كرجال ظاهرين؟ كما حدث مع بعض الأنبياء السابقين؟.

ولمعرفة طبيعة الوحي الى النبي محمد، يجدر بنا أولا ان نتعرف على صور الوحي المختلفة التي يذكرها القرآن عن الأنبياء السابقين.

فكيف كان الوحي للأنبياء السابقين؟

المبحث الأول:

² - ويمكن ان نأخذ مثلا على الوحي الخفي من رؤيا إبراهيم عليه السلام، كما في قوله تعالى "قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ" (الصفوات : 102) قال ابن ميمون عن حمزة بن الزبير عن عبادة قال الحكيم : قال بعض أهل التفسير في قوله تعالى " وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب" أي في المنام . ؟؟؟؟؟؟؟

طبيعة الوحي الى الأنبياء السابقين:

1- النبي نوح

تنقسم الآيات القرآنية التي تتحدث عن الوحي الى نوح، الى قسمين أحدهما يتحدث بصورة المبني للمجهول الغامضة، والأخر يتحدث عن حوار مباشر بين الله تعالى ونوح، فبالرغم من أن سورة نوح تبتدئ بهذه الآية "إنا أرسلنا نوحا الى قومه" الا انها لا تشرح كيف كان الارسال والوحي اليه، بينما تتحدث آية رقم ٣٦ من سورة هود عن الوحي بصيغة المبني للمجهول "وأوحى الى نوح أنه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون" (هود ٣٦) وكذلك الآية ٤٨ من نفس السورة "قيل يا نوح اهبط بسلام منا..." حيث لا تشير الأولى الى من أوحى وكيف كان الوحي، وكذلك الآية الثانية لا تشير الى من قال لنوح وكيف كان القول؟

ولكن الآيتين رقم ٤٥ و ٤٦ تتحدثان عن حوار بين الله ونبيه نوح، فتقول: "ونادى نوح ربه فقال رب ان ابني من اهلي وان وعدك الحق وانت احكم الحاكمين . قال يا نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم اني أعظك ان تكون من الجاهلين" (هود ٤٦-٤٥) فهل كان جواب الله لنوح وحيا خفيا والهاما في قلبه؟ أم كان تكليما من وراء حجاب عبر صوت الهى طرق مسامع نوح، كما حدث مع موسى؟ واذا كان كذلك فلماذا لم يشر الله الى تكليم نوح وحصر ذلك مع النبي موسى عندما قال: "وكلم الله موسى تكليما"؟

ولم يتحدث القرآن عن طبيعة الوحي الى النبيين هود وصالح، حيث اجمل القول عنهما في هاتين الآيتين: "قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ". (الأعراف 67) "ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا الله فاذا هم فريقان يختصمون". (النمل ٤٥) كما اجمل الحديث عن بعض الأنبياء الآخرين كشمعون وبيونس وادريس.

2- النبي ابراهيم

تتعدد صور الوحي النازل الى ابراهيم، والتي يتحدث عنها القرآن، من الوحي عبر الرؤيا في المنام الى ارسال الملائكة في شكل بشر، الى الحوار المباشر بينه وبين الله، ففي الصورة الأولى نجد الأمر الالهي بذبح ابنه يأتيه في المنام حيث يرى ابراهيم أنه يذبح ابنه فيعلم بأن هذا وحي من الله ويحاول تنفيذ الأمر الالهي "فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمُرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ" (الصفات102) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (103) وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ (104) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ" (الصفات105)

وتتضمن الآية الأخيرة كلمة (النداء) وهو مما يحمل معنى الكلام الصوتي المباشر، والذي سيتكرر في مناسبات عديدة أخرى بين الله و ابراهيم ، كما في هذه الآية "واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال اني جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين" (البقرة 124)

وكذلك في هذا الحوار: "واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق اهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الاخر قال ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير" (البقرة 126)

والحوار التالي: "واذ قال ابراهيم رب اربي كيف تحيي الموتى؟ قال اولم تؤمن؟ قال بلى ولكن ليطمئن قلبي، قال فخذ اربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن ياتينك سعيا واعلم ان الله عزيز حكيم" (البقرة 260) ومع ذلك فان القرآن لا يصف حديث الله هنا مع النبي ابراهيم بالكلام أو التكليم، كما يصفه عند الحديث مع النبي موسى.

وأما الصورة الثالثة من الوحي الى النبي ابراهيم فهي عبر الملائكة المتمثلين برجال كالبشر، والذين لم يعرف النبي حقيقتهم عندما رأهم أول مرة ، قبل أن يتحدثوا معه ومع زوجته العاقر، ويذهبوا كمسافرين الى قرية النبي لوط فيراهم هو وقومه العصاة ويحاولون الاعتداء عليهم جنسيا. وفي الحقيقة لا يصرح القرآن بكون هؤلاء الرسل ملائكة، ولكننا نفهم ذلك من خلال الرسائل الالهية التي بلغوها لابراهيم وزوجته ولوط بقرب نزول العذاب، ومن خلال امتناعهم عن تناول طعام ابراهيم. وينقل القرآن الكريم حوارات الملائكة مع ابراهيم ولوط في عدة آيات وعدة سور:

- وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلْنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ (69)
فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَحْفَ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ
(70) وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاَهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ (71) قَالَتْ يَا وَيْلَتَى
أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ (72) قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ
اللَّهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ (73) فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبَشْرَى
يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ (74) إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ (75) يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ
أَمْرٌ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ (هود76)

وتكرر نفس القصة في سور أخرى من القرآن، كسورة الحجر والذاريات والعنكبوت، حيث جاء في سورة
الحجر:

- وَنَبِّئُهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ (51) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ (52) قَالُوا لَا
تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (53) قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ تَبَشِّرُونَ (54) قَالُوا
بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ (55) قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ (56) قَالَ
فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (57) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (58) إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ
أَجْمَعِينَ (59) إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْعَاكِرِينَ (60) فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ (61) قَالَ
إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (62) قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ (63) وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ
(64) فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أذْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ
(65) وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ (الحجر 66)

- وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلْنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ (31)
قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْعَاكِرِينَ (32) وَلَمَّا أَنْ
جَاءَتْ رُسُلْنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَحْفَ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ
كَانَتْ مِنَ الْعَاكِرِينَ (العنكبوت 33)

- هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين (24) إذ دخلوا عليه فقالوا سلامًا قال سلام قوم منكمون (25) فرأى إلى أهله فجاء بعجل سمين (26) فقربه إليهم قال ألا تأكلون (27) فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بعلام عليم (28) فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم (29) قالوا كذلك قال ربك إنه هو الحكيم العليم (30) قال فما خطبكم أيها المرسلون (31) قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين (الذاريات 32)

ويلاحظ في هذه السور الأربعة أن الملائكة جاءوا بصورة رجال عاديين، وان النبي ابراهيم ذبح لهم عجلا حنيذا، فلم يأكلوا منه، مما بث الرعب في قلبه، ونكرهم وأوجس منهم خيفة، وأن لوط استاء منهم وضاق بهم ذرعا، وقال لهم: إنكم قوم منكرون، ومع ذلك فانهم بشروا امرأة ابراهيم العجوز العاقر باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب، وكان سبب انزعاج لوط من زيارة الرسل (الرجال) هو تهافت قومه الذين كانوا يعملون السيئات (اللواط) ومحاولتهم التحرش بضيوفه "وجاءه قومه يهرعون اليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات، قال يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم ، فاتقوا الله ولا تخزوني في ضيفي، أليس منكم رجل رشيد، قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد". (هود 78 - 79) وهذا ما يكشف الطبيعة الظاهرية البشرية للرسل بحيث كان يراهم الأنبياء وزوجاتهم والناس العاديون من المؤمنين والفساق. وهذه صورة لم تتكرر مع سائر الأنبياء، ما عدا الملكين هاروت وماروت اللذين أنزلا ببابل "وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت". (البقرة 102) والملك (الروح) الذي تمثل لمريم بشرا سويا: "واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا، فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا". (مريم 16 - 17)

3 - اسحاق ويعقوب

على عكس التفصيل في كيفية نزول الوحي الى ابراهيم، فان القرآن يوجز بالنسبة لابنه اسحاق وحفيده يعقوب، ويكتفي بذكر الوحي: "ووهبنا له اسحاق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عبادين". (الأنبياء 72 - 73) واذا كان القرآن لا يشير هنا الى الابن الآخر لابراهيم (اسماعيل)، فانه ذكره في اثني عشر موضعا آخر مقرونا

بأبيه ابراهيم او ببقية الأنبياء، وأكد نزول الوحي عليه وأنه كان رسولا نبيا. (مريم 54) الا انه لم يبين طبيعة الوحي النازل اليه وكيفيته.

4 - يوسف

قبل أن نتحدث عن الوحي النازل الى يوسف، يجدر بنا في البداية الاشارة الى عدم وجود نص صريح في القرآن بكون يوسف نبيا، ولا يرد ذكره عندما يعد القرآن أسماء الأنبياء في أية مرة، فيما عدا آية 84 من سورة الأنعام التي يذكر فيها أن يوسف من ذرية ابراهيم: "ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين". (الأنعام 84)

وأما رؤية يوسف لآخوته يسجدون له، فلا تشكل دليلا على نبوته، وهي أقرب الى الرؤية الصالحة التي يراها أي انسان. وكذلك الوحي الخفي المتعلق بقضية شخصية مثل: "وأوحينا اليه لتنبأهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون". (يوسف 15) فقد يكون وحيا كالوحي الى أم موسى، لا كوحي النبوة. وهو لا يتضمن أية رسالة او دعوة الهية أو نبوة. وعلى أية حال يرتبط الوحي النازل الى يوسف بالرؤى وتأويل الأحلام ، سواء تلك التي رآها بنفسه في صغره، أو التي قصها عليه من كان معه في السجن أو التي رآها الفرعون حول البقرات والسنابل السبع، وكذلك الالهام الذي ألقاه الله في قلبه عندما القاه اخوته في البئر، حيث تبتدء مسيرته مع الأحلام من الحلم الذي رآه صغيرا فقصه على أبيه وكان نقطة البداية في مسيرة حياته، كما يحدثنا القرآن "إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ (4) قَالَ يَا بَنِيَّ إِنِّي كَفْتُ لَكُمْ كَيْدَ الْفِرْعَوْنَ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَشَرٌّ عَصِيٌّ (5) وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (6)... فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب واوحينا اليه لتنبئهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون. (يوسف 15)

5 - الأسباط

يرد ذكر الأسباط ضمن عدد من الأنبياء الذين أنزل الله اليهم الوحي، كما في قوله تعالى: " قولوا امنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط . (البقرة) ١٣٦ و " قل آمنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط". (آل عمران ٨٤) و"انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده واوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهارون وسليمان واتينا داوود زبوراً". (النساء ١٦٣) ولم يشرح القرآن من هم الأسباط بالتحديد. وكما هو معروف فان الأسباط جمع سبط، والسبط بحسب اللغة ولد الولد أو ولد البنت، وهم في بني إسرائيل بمعنى قوم خاص، فالسبط عندهم بمنزلة القبيلة عند العرب، وقد اطلق على قبائلهم اسم الأسباط باعتبارهم أحفاد النبي يعقوب، ووردت كلمة "الأسباط" في سورة الأعراف مؤنثة "وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطاً". (الأعراف) ١٦٠ مما يؤكد أن المقصود منها القبائل. ولكن الطبري يقول: " أَنَّهُمُ الْأَنْبِيَاءُ مِنْ وَلَدِ يَعْقُوبَ. وَأَنَّهُمْ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا مِنْ وَلَدِ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ. وَلَدَ كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ، فَسُمُّوا " أَسْبَاطًا ".³ الا ان هذا مستبعد جدا فهؤلاء كانوا أبعد الناس عن خلق الأنبياء وحمل رسالة السماء وقد كذبوا على أبيهم واختطفوا اخاهم يوسف والقوه في البئر، وهذا ما يرجح كون المقصود بالأسباط: الأنبياء من احفاد يعقوب من القبائل العظيمة. وقد كان فيها أنبياء كثيرون لم يذكر القرآن أسماءهم، ولكنه اشار اليهم بالجملة ضمن سلسلة الأنبياء ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب.

وعلى أية حال لا توجد لدينا صورة واضحة عن طبيعة الوحي النازل الى الأسباط .

6 - النبي موسى

3 - حيث قال: حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ مُعَاذٍ قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: الْأَسْبَاطُ، يُوسُفُ وَإِخْوَتُهُ، بَنُو يَعْقُوبَ. وَلَدَ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا فَوَلَدَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ، فَسُمُّوا: " أَسْبَاطًا " .

حَدَّثَنِي مُوسَى قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو قَالَ: حَدَّثَنَا أَسْبَاطُ، عَنِ السَّيِّدِيِّ: أَمَّا الْأَسْبَاطُ، فَهُمُ بَنُو يَعْقُوبَ: يُوسُفُ، وَبَنِيَامِينَ، وَرُوبِيلُ، وَيَهُودَا، وَشَمْعُونُ، وَلاوِيٌّ، وَدَانُ، وَفَهَاتُ.

حَدَّثَنِي الْمُتَنِّي قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ الرَّبِيعِ، قَالَ: " الْأَسْبَاطُ " يُوسُفُ وَإِخْوَتُهُ بَنُو يَعْقُوبَ، اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا فَوَلَدَ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ، فَسُمُّوا " الْأَسْبَاطُ " .

بالرغم من حوار الله المباشر مع نوح وإبراهيم، إلا ان القرآن لم يطلق عليه عنوان "الكلام" أو "التكليم" واحتفظ بهذه الصفة للنبي موسى فقط، فقال: "وكلم الله موسى تكليماً" (النساء: 164) وشرح ذلك مفصلاً في سورة القصص: "فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ". (القصص: 30) وفي سورة طه: " فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى (11) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (12) وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى (13) إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (طه 14) وأكد ذلك في سورة الأعراف: " وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ " (الأعراف : 143)

ومما يوضح الكلام المباشر من الله تعالى لموسى، ذلك الحوار المفصل الذي ينقله القرآن: " وَمَا تَلَكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى (17) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى (18) قَالَ أَلْقَاهَا يَا مُوسَى (19) فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَبِيبَةٌ تُسَعَى (20) قَالَ خُذْهَا وَلَا تَحْزَنْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى (21) وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى (22) لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى (23) اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (24) قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (25) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (26) واحلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (27) يَفْقَهُوا قَوْلِي (28) واجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي (29) هَارُونَ أَخِي (30) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (31) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (32) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (33) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا (34) إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا (35) قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى (36) ... اذْهَبْ أَنْتَ وَأُخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِينَا فِي ذِكْرِي (42) اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (43) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْسَ لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى (44) قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطَّعَى (45) قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمِعُ وَأَرَى (46) فَأَتَيْنَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى (47) إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (طه 48)

وهو الحوار الذي يتكرر ذكره ثلاث مرات أخرى في سور الشعراء والنمل والقصص.⁴

4 - "وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (10) قَوْمٌ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ (11) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ (12) وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ (13) وَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ (14) قَالَ كَلَّا فَادْخُلَا

وفي هذا السياق استخدم القرآن كلمة "قلنا" منسوبة الى الله تعالى في جوابه لموسى : "وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ". (البقرة: 60)

وفي الحقيقة لم يقتصر الوحي النازل الى النبي موسى على الكلام المباشر من الله، وانما امتاز أيضا بنزول الوحي في ألواح مكتوبة، كما يشير الى ذلك القرآن الكريم في سورة الأنعام: "قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ" (الأنعام 91) وفي سورة هود: "أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة" (هود 17)

وهو ما يؤكد بصراحة في سورة الأعراف: "قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ (144) وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَا خُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ" (الأعراف 145) وهي تلك الألواح التي ألقاها موسى عندما رجع الى قومه من ميقات ربه ورأى قومه قد عبدوا العجل "ولما رجع موسى الى قومه غضبان

بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ (15) فَآتَيْنَا فِرْعَوْنَ قُفُولًا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (16) أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ". (الشعراء 17)

"فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (8) يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (9) وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ (10) إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلْ حِسَابًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي عَفُورٌ رَحِيمٌ (11) وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضًا مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ". (النمل 12)

" فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (30) وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ (31) اسئلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم إليك جناحك من الرهب فدانك برهانان من ربك إلى فرعون وملئه إنهم كانوا قوماً فاسقين (32) قال رب إني قتلت منهم نفساً فأخاف أن يقتلون (33) وأخي هارون هو أفصح مِنِّي لساناً فأرسله معي ردءاً يصدفني إني أخاف أن يكذبون (34) قال سنشد عضدك بأخيك ونجعل لك سلطاناً فلا يصلون إليكما بآياتنا أنثما ومن اتبعكما الغالون". (القصص 35)

أسفا، قال: بئسما خلفتموني من بعدي أعجلتم أمر ربكم، وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه"
(الأعراف 150)

وبالرغم من الكلام والحوار المباشر بين موسى والله عز وجل، فإن القرآن يذكر أيضا، في أكثر من مناسبة، كلمة "الوحي" بالنسبة لموسى، فهل كانت تشير الى نوع آخر من الوحي، وهو الوحي الخفي المشابه للإلهام؟ أم كانت تعني أيضا الكلام المباشر؟ فقد ورد في سورة الأعراف: "وأوحينا الى موسى ان ألق عصاك فإذا هي تلقف ما يافكون". (الأعراف 117) و " وأوحينا الى موسى اذ استسقاها قومه ان اضرب بعصاك الحجر ". (الأعراف 160) "وأوحينا الى موسى واخيه ان تبوءا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة واقموا الصلاة وبشر المؤمنين". (يونس 87) "وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرْكًا وَلَا تُنْجِسِي" (طه 77) " وأوحينا الى موسى ان أسر بعبادي انكم متبعون". (الشعراء 52) "فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ" (الشعراء 63) وقد قلنا سابقا بأن الوحي يشمل المعنيين الخاص والعام، أي الوحي الخفي والوحي بواسطة الكلام المباشر.

7 - أم موسى

وبمناسبة الحديث عن نوع الوحي الى موسى، يجدر بنا التوقف عند الوحي الى أمه، هل كان بالإلهام الخفي؟ أم أيضا كلاما بالصوت؟، وهو ما توحى به هذه الآيات في سورة القصص: "وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْبِئْرِ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزِنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ". (القصص 7) وفي سورة طه: "وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىكَ مَرَّةً أُخْرَى (37) إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى (38) أَنْ اقْدِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْدِفِيهِ فِي الْبِئْرِ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ". (طه 39)

8 - النبي داود

بالنسبة للنبي داود، يذكر القرآن اجراء حوار مباشر بينه وبين الله، حيث يخاطبه قائلاً: "يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب". (ص: ٢٦) كما يصرح باعطائه "الزبور": "وآتينا داود زبوراً". (النساء ١٦٣) أي الكتاب المكتوب، وهو أمر بسيط اذا ما قورن بما أعطى الله لداود من تسخير الجبال وحشر الطير: "إنا سخرنا له الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق، والطير محشورة لك له أواب" (سورة ص: 18 - 19) ومع ذلك لا نعرف بدقة كيف انزل الزبور على داود؟ هل انزل كألواح موسى؟ أم بصورة ورقية؟ أم قام هو بجمع الوحي وكتابته؟

ويشير القرآن الى منح الله داود الحكمة وفصل الخطاب: "وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب". (ص: 20)

9 - سليمان

تتضمن صورة العلاقة بين الله تعالى وبين سليمان، في القرآن: الوحي والتفهم والتعليم والتمكين من استخدام الريح والسيطرة على الجن والشياطين وتعليمه منطق الطير والحشرات، ونلاحظ ذلك جلياً في الآيات العديدة التالية:

- "ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما". (الأنبياء 79)

- "وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون". (الأنبياء 80)

- "ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالوا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين". (النمل 15)

- "وورث سليمان داود وقال: يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء، ان هذا هو الفضل المبين". (النمل 16)

وكل ذلك يكشف عن علاقة وثيقة مع الله تتضمن الوحي الخفي والالهام والكلام. ولكن القرآن لم يوضح طبيعة الوحي النازل الى سليمان هل كان قلبيا؟ أم عبر الملائكة؟

10 - أيوب

يذكر القرآن عدة حوارات مباشرة جرت بين النبي أيوب مع الله عز وجل، كما في هذه الآية: "واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أي مسني الشيطان بنصب وعذاب، اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب" (ص 41 - 42) " وخذ بيدك ضعفا فاضرب به ولا تحنث". (ص 44)

11 - زكريا ويحيى

تمتج صورة الوحي النازل الى زكريا بين الكلام المباشر من الله والوحي المنقول عنه بواسطة الملائكة، ولعل الوحي الى زكريا انحصر بواسطة الملائكة ولكن القرآن عبر عنه بكلام الله باعتباره صادرا عن الله تعالى: "هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ (38) فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ (39) قَالَ رَبِّ أُنِّىْ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (40) قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا زَمْزَأً وَادُّكُرًا كَثِيرًا وَسَبِّحَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ (آل عمران 41)

ولا توضح هذه الآيات مشاهدة زكريا للملائكة، أو ظهورهم له كرجال مثل الرسل الذين ذهبوا الى ابراهيم ولوط، أو الملاك الذي ظهر لمريم بنت عمران، ولكنها تعبر عن الوحي اليه بالنداء منهم، وهو ما يشير الى الصوت المرتفع، وليس الوحي الخفي أو الإلهام.

وبينما تشير آيات سورة آل عمران الى حديث الملائكة مع زكريا، فان آيات سورة مريم تنقل الحوار وكأنه حوار مباشر بين الله وزكريا: "ذكر رحمة ربك عبده زكريا، إذ نادى ربه نداء خفيا: قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيئا... يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى، لم نجعل له من قبل سميا. قال: رب أنى يكون لي

غلام وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا؟ قال: كذلك قال ربك هو علي هين، وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا، قال: رب اجعل لي آية، قال: آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا". (مریم 2- 10)

اذن فنحن أمام صورة للحوار المباشر بين الله وركريا، ولكن اذا جمعنا بين سورة آل عمران وسورة مریم، يتضح لنا ان الحوار ربما كان عبر الملائكة وليس بصورة مباشرة.

وهكذا يمكن القول بالنسبة للوحي النازل الى يحيى بصورة خطاب مباشر من الله: "يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا". (مریم 12) فقد يكون حوارا مباشرا ونداءا من الله وقد يكون وحيا عبر الملائكة أو حتى وحيا خفيا.

12 - مریم بنت عمران

كذلك تتمرج صورة الوحي النازل الى مریم بنت عمران بين الكلام المباشر من الله وبين الكلام بواسطة الملائكة، والمعبر عن كلام الله، كما في هذه الآيات: " وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (42) يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ (43) ... إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (45) وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ (46) قَالَتْ رَبِّ أُنَّى يُكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ (آل عمران 47)

ويلاحظ أن مریم كانت تخاطب الله مباشرة بعد أن تستمع لكلام الروح أو الملائكة، فيأتيها الجواب من الله عبرهم: "واذكر في الكتاب مریم إذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا، فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا، قالت: إني أعوذ بالرحمن إن كنت تقيا، قال: إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا، قالت: أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا؟ قال: كذلك قال ربك هو علي هين، ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا". (مریم 16 - 21)

وتكتمل صورة الوحي الى مريم بالكلام معها على لسان ابنها الوليد النبي عيسى "فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحت سرياء، وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا، فكلي واشربي وقري عينا، فإما ترين من البشر أحدا فقولي: إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا". (مريم 24 - 26)

13 - النبي عيسى

تختلف طبيعة الوحي النازل الى النبي عيسى عن سائر الوحي النازل على الأنبياء السابقين واللاحقين، لاختلاف طبيعته أو عملية خلقه، فهو لم يكن انسانا عاديا يخلق من اب وأم عن طريق النكاح، وإنما خلق من أم فقط وكان كلمة الله وروحه، كما يقول القرآن الكريم: " إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه" (النساء 171) " اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والاخرة ومن المقربين". (آل عمران ٤٥) "ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين". (التحريم 12)

ومن هنا فقد كان النبي عيسى مؤيدا بروح القدس: " اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ ايدتك بروح القدس" (المائدة 110) " واتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس" (البقرة ٨٢) "تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات واتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس" (البقرة ٢٥٣)

ويبدو ان التأييد بروح القدس للنبي عيسى كان نوعا من التفضيل لم يحض به أي نبي آخر، بغض النظر عن هوية الروح القدس سواء كان ملكا مستقلا أم كان جبرئيل، وان علاقته بعيسى لم تكن كعلاقته مع سائر الأنبياء يلقي اليهم بالوحي ويذهب عنهم بعيدا، وإنما كان يرافقه دائما ويعطيه قوة خارقة عظيمة بإذن الله، لم تتوفر لأي نبي آخر، وهو ما تتكفل الآية التالية بشرحه: " اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ ايدتك بروح القدس تكلم الناس في المهدي وكهلا واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل واذ تخلق من الطين كهيفة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيرا باذني وتبرئ الأكمه والابرص باذني واذ تخرج الموتى باذني". (المائدة ١١٠) " ورسولا الى بني اسرائيل أني قد جئتكم بأية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيفة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله، وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله، وأنبعثكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم". (آل عمران 49)

وقد تمثل تفضيل عيسى على سائر الأنبياء بالاستجابة له بإنزال مائدة من السماء، كما تقول هذه الآية: " قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وانت خير الرازقين، قال الله إني منزلها عليكم...". (المائدة ١١٤ - 115)

وكانت خاتمة عيسى مختلفة أيضا عن خواتم الأنبياء، كما يقول القرآن: " اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك الي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الي يوم القيامة ثم الي مرجعكم فاحكم بينهم فيما كنتم فيه تختلفون". (آل عمران ٥٥)

وبعد كل هذا القرب من الله (ومن المقربين) يغدو الحديث عن طبيعة الوحي النازل الي النبي عيسى أمرا ثانويا بسيطا، حيث كان هو كلمة الله وروحه وواسطته في إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وشفاء المرضى. ولذلك غلا فيه النصارى وقالوا انه ابن الله، وقد جاء القرآن ليخفف من غلوهم قائلا: " يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الي مريم وروح منه فامنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولد له ما في السماوات وما في الارض وكفى بالله وكبيرا". (النساء ١٧١) وينقل عنه أنه قال عند ولادته: "قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا، وجعلني مباركا أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا".

(مريم 30 - 31)

وأما الكتاب الذي جاء به عيسى فقد كان الانجيل، وهو لم يكن على شكل ألواح من السماء، كتوراة موسى، وانما كان كلاما يتلوه عيسى على الناس، الا ان القرآن يستخدم كلمة "آتيناه الانجيل" في أكثر من آية: "وقفينا على اثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين". (المائدة ١٤٦) "ثم وقفينا على اثارهم برسلانا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الانجيل". (الحديد ٢٧) وهو ما يشير الي كونه كتابا كالتوراة والزبور.⁵ والله أعلم.

واذا القينا نظرة شاملة على قصص الأنبياء السابقين التي ذكرها القرآن الكريم فسوف نجد ان الوحي الإلهي بكل أنواعه اقتصر على كلام الله، ولم يكن يشمل كلام الأنبياء أنفسهم مع الله أو الملائكة والرسل، وقد نقل القرآن أيضا اقوالا لبعض الأنبياء بعيدا عن الوحي، مثل قول موسى: "وقال موسى اني عدت بري وربكم من

5 - " وآتيناه داوود زبوراً". (النساء ١٦٣)

كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب" فهل يعتبر هذا القول وحيا من الله لموسى؟ أم انه سيعتبر لاحقا جزءا من الوحي الإلهي، عند نزول الوحي على النبي محمد؟.

وإذا لم نعتبر اقوال الأنبياء السابقين ودعاءهم لله جزءا من الوحي، فهل نعتبر الأدعية والخطابات الموجودة في القرآن على لسان النبي محمد كسورة الفاتحة وحيا إلهيا ابتداءيا؟ أم وحيا متأخرا بعدما اعتبره الله جزءا من القرآن؟ وكما هو معروف فان كاتب الوحي الأول عبد الله بن مسعود لم يكن يعتبر الفاتحة جزءا من القرآن. وهذا ما يدعوننا للتساؤل حول حقيقة الأدعية الكثيرة الموجودة في القرآن، والصاعدة من الأرض الى السماء، فهل كانت تعتبر في البداية جزءا من الوحي النازل من السماء الى النبي محمد؟ أم اعتبرت فيما بعد؟

المبحث الثاني:

كيف كانت طبيعة الوحي الى النبي محمد؟

ونصل أخيرا الى الحديث عن طبيعة الوحي النازل الى النبي محمد، وهو موضوعنا الأساس، بعد أن نقلنا صور الوحي المتعددة الى الأنبياء السابقين، وقد رأينا ان بعضها كان عبارة عن رؤية في المنام، وبعضها كان عبارة عن إلهام خفي، وبعضها مكاملة من قبل الملائكة، وبعضها كان كلاما مباشرا من قبل الله تعالى للنبي، فكيف كانت طبيعة الوحي النازل الى النبي محمد (ص)؟ وهل كانت وحيا خفيا؟ أو إلهاما؟ أو مشافهة من قبل الملك جبرئيل؟ هناك آيات عديدة في القرآن الكريم تخاطب النبي بصورة مباشرة من الله مثل : "وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان..". ، "نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن، وان كنت من قبله لمن الغافلين". (يوسف 3) "كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمم لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك". (الرعد 30) "فأوحى الى عبده ما أوحى". (النجم 53) "والذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه". (فاطر 31) "وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها". (الشورى 7)

وهناك آيات أخرى تتحدث عن دور جبرئيل في إنزال الوحي على قلب النبي محمد، كما في الآيات التالية: "وانه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين، على قلبك لتكون من المنذرين، بلسان عربي مبين". (الشعراء

192 – 195) "قل من كان عدوا لجبريل فإنه نُزِّلَ على قلبك بإذن الله..." (البقرة 97) ⁶ "قل نزل روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين". (النحل 102)

وإذا فتشنا في القرآن الكريم عن رؤية النبي للملاك جبريل فلا نعثر الا على آية أو آيتين غامضتين، الأولى: "ولقد رآه في الأفق المبين" (التكوير 23) وقد جاءت بعد عدة آيات يبدو أنها تتحدث عن جبرئيل وهي "إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ، ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ، مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ، وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ" (التكوير 19-22). أما الآية الثانية فهي تتحدث عن رؤية النبي له مرة أخرى "ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى" (النجم 13 – 14) ولكن هذه الآية غامضة وتحتل تأويلين إذ لا تصرح بالمشاهد هل هو جبرئيل؟ أم الله تعالى؟ ولا بكيفية المشاهدة، بالعين أو الفؤاد. وقد اختلفت الروايات في تفسيرها، فابن عباس يقول: ان النبي رأى ربه، وأنه رآه بفؤاده مرتين. ⁷ على عكس السيدة عائشة التي ترفض هذا التأويل وتؤكد أن النبي رأى جبرئيل. ⁸ وتقول: مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَغْطَمَ الْفَرِيَةَ عَلَى اللَّهِ، وَلَكِنْ قَدْ رَأَى جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ، وَخَلَقَهُ سَادًّا مَا بَيْنَ الْأَفُقِ (متفق عليه) والله يقول: "لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار. وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب"... إنما هو جبريل رآه مرة على خلقه وصورته التي خلق عليها ، وراه مرة أخرى حين هبط من السماء إلى الأرض سادا عظم خلقه ما بين السماء والأرض ، قالت : أنا أول من سأل النبي (ص) عن هذه الآية ، قال : " هو جبريل عليه السلام". (متفق عليه)؟؟؟؟

⁶ - يحتل أن يكون المراد من "بلسان عربي مبين" الإشارة الى صفة الوحي النازل على قلب النبي، كما يحتمل أن يكون المراد متعلقا بالانذار والمندرين، أي المتلقين العرب، وهو ما يتفق مع قوله تعالى "إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون". (الزخرف 4)

⁷ - صحيح مسلم، كتاب الإيمان ، باب معنى قول الله عز وجل **ولقد رآه نزلة أخرى** وهل رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه ليلة الإسراء، حديث رقم 175

⁸ - كما ينقل الطبري في تفسيره: عن مسروق يقول: حدثنا **محمد بن المنني** قال : ثنا عبد الوهاب الثقفي قال : ثنا داود ، عن عامر ، عن مسروق عن عائشة...

ولكن القرآن لم يحدد في هاتين الآيتين السابقتين مشافهة الملك للنبي وجها لوجه وتكلمه معه بالصوت والصورة في أثناء القاء الوحي أو نص القرآن، وإنما يكفي بالاخبار بتنزيل الروح الأمين للوحي على قلب النبي، كما لم يذكر القرآن تمثل جبريل بصورة انسان عادي وتحدثه مع النبي، وهو ما تحكيه بعض الروايات التي سندكرها لاحقا.

ولكن قد يفهم من آية "لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ" أن النبي كان يستمع الى صوت الملك جبريل، وهو ما تحكيه بصراحة رواية ابن عباس، قال: كان رسول الله (ص) يشتد عليه حفظ التنزيل وكان إذا نزل عليه الوحي يحرك لسانه وشفثيه قبل فراغ جبريل مخافة أن لا يحفظ، فأنزل تعالى: (لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ) أي بالوحي والتنزيل والقرآن، وإنما جاز هذا الإضمار وإن لم يجر له ذكر لدلالة الحال عليه، كما أضمر في قوله: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ) قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.⁹ ويروى عن ابن عباس أيضا: أن جبريل كان يلقي النبي في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن. متفق عليه.¹⁰

ويمكن اعتبار الكلمة الأولى التي انزلت الى النبي محمد وهي "اقرأ باسم ربك الذي خلق" دليلا على صدورها من الله بواسطة الملك الذي خاطب النبي ودعاه الى القراءة. ولكن لا يوجد دليل قرآني على مشاهدة النبي في أول البعثة للملك، وفيما اذا كانت المشاهدة في اليقظة أو المنام، كما في بعض الروايات.

ب- الرؤيا الصادقة أولى مراحل النبوة وأشكالها

⁹ - ولفظ مسلم عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال: كان النبي (ص) يعالج من التنزيل شدة، كان يحرك شفثيه، فقال لي ابن عباس: أنا أحركهما كما كان رسول الله (ص) يحركهما؛ فقال سعيد: أنا أحركهما كما كان ابن عباس يحركهما، فحرك شفثيه؛ فأنزل الله عز وجل: (لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ) قال جمعه في صدرك ثم تقرؤه (فإذا قرأناه فاتبع قرآنه) قال فاستمع له وأنصت. ثم إن علينا أن نقرأه؛ قال: فكان رسول الله (ص) بعد ذلك إذا أتاه جبريل عليهما السلام أستمع، وإذا أنطلق جبريل عليه السلام قرأه النبي (ص) كما أقرأه؛ خرجه البخاري أيضا. وقيل: كان عليه السلام إذا نزل عليه الوحي حرك لسانه مع الوحي مخافة أن ينساه، فنزلت (وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ) (طه: 114) ونزل: (سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى) (الأعلى: 6) ونزل: (لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ). قاله ابن عباس انتهى

وقبل أن ندخل في موضوع مشافهة الملك للنبي محمد، لا بد أن نتحدث عن الشكل الأول من الوحي النازل الى النبي محمد، وهو كما تحدثنا الروايات التاريخية (في ظل عدم وجود أية اشارة قرآنية الى ذلك) كان يتم عبر الرؤى في المنام. وهو ما كان يحدث للنبي قبل البعثة بشهور أو سنوات.

يحدثنا محمد ابن اسحاق في (السيرة النبوية) عن تدرج الوحي النازل الى النبي في مراحل متعددة ابتدأت من الرؤيا الصادقة، الى سماع الصوت، الى رؤية الملك، ويقول تحت عنوان: (أول ما بدئ به الرسول صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصادقة): " فذكر الزهري عن عروة بن الزبير ، عن عائشة رضي الله عنها أنها حدثته أن أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من النبوة حين أراد الله كرامته ورحمة العباد به الرؤيا الصادقة لا يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا في نومه إلا جاءت كفلق الصبح".¹¹

ب - سماع الصوت

ثم ينتقل ابن اسحاق الى المرحلة الثانية ، فيقول تحت عنوان:(تسليم الحجارة والشجر عليه صلى الله عليه وسلم) : وحدثني عبد الملك بن عبيد الله بن أبي سفيان بن العلاء بن جارية الثقفي ، وكان واعية عن أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراده الله بكرامته وابتدأه بالنبوة كان إذا خرج لحاجته أبعد حتى تحسر عنه البيوت ويفضي إلى شعاب مكة ويطون أوديتها ، فلا يمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر ولا شجر إلا قال السلام عليك يا رسول الله . قال فيلنفت رسول الله صلى الله عليه وسلم حوله وعن يمينه

11 - ابن اسحاق، السيرة النبوية، العهد المكي ، بعثة النبي وبدء الوحي . ان هذه الرواية عن السيدة عائشة تعتبر الوحيدة والمشهورة حول بدء الوحي، ويفترض أن عائشة تنقلها عن سمعته يتحدث فهي لم تكن شاهدة عليها حيث لم تكن قد ولدت بعد، ولا تصرح عن أخذت الرواية، ولكن يفترض أنها سمعتها من النبي أو من المقربين منه، وهي لم تكتب الا بعد أكثر من مائة وخمسين سنة على البعثة ونزول الوحي ، وكان أول من سجلها المؤرخ ابن اسحق في (السيرة النبوية) ثم أخذها من بعده البخاري والطبري، ولم تكن روايات الآخرين متطابقة تماما إذ تم حذف بعض النقاط وإضافة نقاط أخرى إليها، كما سنرى لاحقا. وهي على أية حال محطة مهمة جدا لمعرفة طبيعة الوحي النبوي بالرغم من عدم امكانية الاعتماد عليها مائة بالمائة، لضعف السند.

وشماله وخلفه فلا يرى إلا الشجر والحجارة . فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك يرى ويسمع ما شاء الله أن يمكث " .

وهذه الرواية مقطوعة بلا سند، وفيها تأويل متعسف لمصدر الصوت والسلام أنه الشجر والحجر، وهو ما تشكك به نفس الرواية حيث تقول " فيلتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم حوله وعن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى إلا الشجر والحجارة" وهناك رواية أخرى تشير الى أن النبي اعتقد في البداية أن السلام عليه يصدر من الجن . 12

ج - نزول الملك وبدء الوحي

ثم يكمل ابن اسحاق روايته حول نزول الوحي على النبي، ويقول ان الكلمات الأولى من الوحي أي أوائل سورة العلق نزلت في المنام، وليس في عالم اليقظة، فيروي تحت عنوان (ابتداء نزول جبريل عليه السلام) : وحدثني وهب بن كيسان مولى آل الزبير . قال سمعت عبد الله بن الزبير وهو يقول لعبيد بن عمير بن قتادة

12 - أبو داود الطيالسي في مسنده من طريق أبي عمران الجوني عن رجل عن عائشة " أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - اعتكف هو وخديجة فوافق ذلك رمضان فخرج يوماً فسمع : السلام عليكم قال : فظننت أنه من الجن فقال أبشروا فإن السلام خير" . وهذه الرواية ضعيفة أيضاً لأنها مروية عن رجل مجهول عن عائشة.

وهناك رواية شيعية قريبة من هذا المعنى يرويها علي بن إبراهيم القمي: إنَّ النبيَّ (ص) لما أتى له سبع وثلاثون سنة، كان يرى في منامه كأنَّ آتياً يأتيه فيقول: يا رسول الله! ومضت عليه برهة من الزمان وهو على ذلك يكتبه، وإذا هو في بعض الأيام يرمى غنماً لأبي طالب في شعب الجبال، إذ رأى شخصاً يقول له: يا رسول الله! فقال له: من أنت؟ قال: أنا جبرئيل، أرسلني الله إليك ليأخذك رسولاً، فجعل يعلمه الوضوء والصلاة. ؟؟؟؟؟؟ أين وما هو السند؟؟؟؟؟ وفي تاريخ الطبري: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من قبل ان يظهر له جبرئيل (عليه السلام) برسالة الله إليه، يرى ويعاين آثاراً وأسباباً من آثار من يريد الله إكرامه واختصاصه بفضله، فكان من ذلك ما مضى من خبره عن الملكين اللذين آتياه فشقاً بطنه واستخرجا ما فيه من الغلِّ والندس، وهو عند أمه من الرضاعة حليلة. ومن ذلك أنه كان إذا مرَّ في طريق لا يمرَّ بشجر ولا حجر إلاَّ سلم عليه. وهكذا كان إذا خرج لحاجته أبعد حتى لا يرى بيتاً، ويفضي إلى الشعاب وبطن الأودية. فلا يمرَّ بحجر ولا شجر إلاَّ قال: السلام عليك يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فكان يلتفت عن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى أحداً . تاريخ الطبري: ج 2 ص 294-295.

الليثي حدثنا يا عبيد ، كيف كان بدء ما ابتدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من النبوة حين جاءه جبريل عليه السلام ؟ قال فقال عبيد - وأنا حاضر يحدث عبد الله بن الزبير ومن عنده من الناس - : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور في حراء من كل سنة شهرا ... قال ابن إسحاق : وحدثني وهب بن كيسان قال قال عبيد : ... حتى إذا كان الشهر الذي أراد الله تعالى به فيه ما أراد من كرامته من السنة التي بعث الله تعالى فيها ؛ وذلك الشهر (شهر) رمضان خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حراء ، كما كان يخرج لجواره ومعه أهله حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه الله فيها برسالته ورحم العباد بها ، جاءه جبريل عليه السلام بأمر الله تعالى . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءني جبريل وأنا نائم بنمط من ديباج فيه كتاب فقال: اقرأ، قال قلت : ما أقرأ ؟ قال فغطني به حتى ظننت أنه الموت ثم أرسلني فقال: اقرأ، قال قلت : ما أقرأ ؟ قال فغطني به حتى ظننت أنه الموت ثم أرسلني ، فقال: اقرأ، قال قلت : ماذا أقرأ ؟ قال فغطني به حتى ظننت أنه الموت ثم أرسلني ، فقال اقرأ قال فقلت : ماذا أقرأ ؟ ما أقول ذلك إلا افتداء منه أن يعود لي بمثل ما صنع بي ، فقال: "اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم" قال فقرأتها ثم انتهى فانصرف عني وهببت من نومي ، فكأنما كتبت في قلبي كتابا. قال فخرجت حتى إذا كنت في وسط من الجبل سمعت صوتا من السماء يقول يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل قال فرفعت رأسي إلى السماء أنظر فإذا جبريل في صورة رجل صاف قدميه في أفق السماء يقول يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل . قال فوقفتم أنظر إليه فما أتقدم وما أتأخر وجعلت أصرف وجهي عنه في آفاق السماء قال فلا أنظر في ناحية منها إلا رأيته كذلك فما زلت واقفا ما أتقدم أمامي وما أرجع ورائي حتى بعثت خديجة رسلها في طلبي ، فبلغوا أعلى مكة ورجعوا إليها وأنا واقف في مكاني ذلك ثم انصرف عني ."

هذا ما ينقله ابن اسحق في أواسط القرن الثاني الهجري عن وهب بن كيسان مولى آل الزبير عن عبيد بن عمير بن قتادة الليثي، عن رسول الله ، وهو يختلف عن رواية البخاري عن عائشة، وخاصة في المقطع الثاني من الرواية، أي رؤية النبي للملك جبريل بعد استيقاظه من النوم، حيث تقول رواية البخاري أن النبي رأى جبريل في اليقظة، وليس في المنام.

وتتفق رواية البخاري مع ابن اسحاق في التحدث عن المرحلة الأولى من الوحي وهي (الرؤيا الصادقة)، ولكنها لا تتحدث عن المرحلة الثانية (سماع الصوت). ثم تتحدث عن المرحلة الثالثة وهي حوار الملك مع النبي في غار حراء ، حيث قال له : اقرأ . "اقرأ باسم ربك الذي خلق - حتى بلغ - ما لم يعلم". (العلق 1

– 5) 13

ويكمل البخاري روايته عما حدث للنبي بعد ذلك، فيروي عن جابر بن عبد الله ، قال: قال رسول الله (ص): "بينما أنا أمشي إذ سمعت صوتا في السماء فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض فرعبت منه فرجعت فقلت: زملوني. فأنزل الله - تبارك وتعالى - : "يا أيها المدثر قم فأندر". (المدثر: 1-5) ¹⁴ وفي بعض الروايات أنه رأى جبريل جالسا على عرش بين السماء والأرض فسدد الأفق. ¹⁵

الرب والشك

ويواصل ابن اسحق روايته لما حدث بعد نزول النبي من غار حراء، فيقول تحت عنوان (رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص على خديجة ما كان من أمر جبريل معه) على لسان النبي: "وانصرفت راجعا إلى أهلي حتى أتيت خديجة فجلست إلى فخذاها : فقالت يا أبا القاسم أين كنت ؟ فوالله لقد بعثت رسلي في طلبك حتى بلغوا مكة ورجعوا لي ، ثم حدثتها بالذي رأيت فقالت أبشر يا ابن عم واثبت فوالذي نفس خديجة بيده إنني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة".

13 - البخاري ، في بدء الوحي باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله (ص)

14 - البخاري ، في بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله (ص) 5-6/1

15 - كما في تفسير القرطبي: " فرفعت رأسي فإذا جبريل صافاً قدميه بين السماء والأرض يقول: يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل ، فجعلت لا أصرف بصري إلى ناحية إلا رأيت كذلك". 87/17 وصحيح مسلم ، في كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله (ص) 135/1

وهو ما يوحى بأن النبي محمد لم يكن قد اطمأن بعد الى ما رأى في المنام أو اليقظة، وأنه قد اعتراه نوع من الشك والريبة ، ولم يعرف أنه قد أرسل.

ثم يحكي ابن اسحق الفصل التالي من الرواية، فيقول تحت عنوان (خديجة بين يدي ورقة تحدّثه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم): ثم قامت فجمعت عليها ثيابها ، ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، وهو ابن عمها ، وكان ورقة قد تنصر وقرأ الكتب وسمع من أهل التوراة والإنجيل ، فأخبرته بما أخبرها به رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رأى وسمع فقال ورقة بن نوفل : قدوس قدوس والذي نفس ورقة بيده لئن كنت صدقتيني يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى ، وإنه لنبي هذه الأمة فقولي له فليثبت . فرجعت خديجة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بقول ورقة بن نوفل ، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره وانصرف صنع كما كان يصنع بدأ بالكعبة فطاف بها ، فلقبه ورقة بن نوفل وهو يطوف بالكعبة فقال يا ابن أخي أخبرني بما رأيت وسمعت فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ورقة والذي نفسي بيده إنك لنبي هذه الأمة ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى ولتكذبه ولتؤذينه ولتخرجنه ولتقاتلنه ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرن الله نصرًا يعلمه ثم أدنى رأسه منه فقبل يافوخه ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى منزله .

ويحدثنا القرآن عن حالة الشك التي أصابت النبي في البداية، واحتماله أن يكون المتحدث معه من الجن أو الشياطين، وأمر الله له بمراجعة أهل الكتاب وسؤالهم عن صحة نبوته:"فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين". (يونس ٩٤) .

ويضيف ابن اسحاق الى هذه الرواية محاولة السيدة خديجة للتأكد من حقيقة ما يرى النبي هل هو ملك أم شيطان، وقيامها ب (امتحان برهان الوحي) فيقول: وحدثني إسماعيل بن أبي حكيم مولى آل الزبير : أنه حدث عن خديجة رضي الله عنها أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أي ابن عم أتستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاءك ؟ قال: نعم . قالت فإذا جاءك فأخبرني به. فجاءه جبريل عليه السلام كما كان يصنع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخديجة يا خديجة هذا جبريل قد جاءني ، قالت: قم يا ابن عم فاجلس على فخذي اليسرى ; قال فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس عليها ، قالت هل

تراه ؟ قال نعم قالت فتحول فاجلس على فخذي اليمنى ؛ قالت فتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس على فخذهما اليمنى ، فقالت هل تراه ؟ قال نعم . قالت فتحول فاجلس في حجري ، قالت فتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس في حجرها . قالت هل تراه ؟ قال نعم قال فتحسرت وألقت خمارها ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في حجرها ، ثم قالت له هل تراه ؟ قال لا ، قالت يا ابن عم اثبت وأبشر فوالله إنه ملك وما هذا بشيطان قال ابن إسحاق : وقد حدثت عبد الله بن حسن هذا الحديث فقال قد سمعت أُمي فاطمة بنت حسين تحدث بهذا الحديث عن خديجة إلا أنني سمعتها تقول أدخلت رسول الله صلى الله عليه وسلم بينها وبين درعها ، فذهب عند ذلك جبريل فقالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن هذا ملك وما هو بشيطان .

ومن الواضح ان الرواية الأولى عن اسماعيل بن حكيم مقطوعة ولا سند لها، وكذلك رواية فاطمة بنت الحسين، عن جدة أبيها خديجة، الا ان الروایتين قد تعضد إحداهما الأخرى، واحتمال شيوعها في الاوساط القريبة من أهل البيت.

وتتفق رواية البخاري مع رواية ابن اسحاق في حكاية عوارض الشك والصدمة والرعب التي أصابت النبي ، حيث تقول:"فرجع رسول الله يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد فقال: زَمُّلُونِي زَمُّلُونِي، فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة: ما لي؟ فأخبرها الخبر، وأضاف: لقد خشيت على نفسي، فقالت خديجة: كلا، والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق" . وتتفق رواية البخاري مع ابن اسحاق في بقية القصة عن انطلاق خديجة بالنبي الى ابن عمها المنتصر ورقة بن نوفل، وطمانته للنبي أنه يرى الناموس الذي نزله الله على موسى .

وتختلف رواية البخاري عن ابن اسحاق، في موضوع رؤية النبي للملك وهو يقول له: " يا محمد، أنت رسول الله حقا" وتاريخ هذا المقطع، فبينما يقول ابن اسحاق أنه كان مباشرة بعد استيقاظ النبي من النوم، تقول رواية البخاري أنه تم في أثناء انقطاع الوحي بعد وفاة ورقة خلال السنوات الأولى.

كما تختلف رواية ابن اسحاق في رؤية الملك على شكل رجل صاف قدميه على الأفق، وبين روايات أخرى تقول ان الملك كان يغطي المشرق والمغرب.؟؟؟؟

وما يهمننا من هذه الروايات هو كيفية نزول الوحي على النبي عبر الملك في اليقظة بالصوت والصورة؟ أم في المنام على القلب كما تقول رواية ابن اسحق والتي تنفق مع القرآن الكريم.

ان تحدث الروايات المختلفة عن حالة الشك التي اصابته النبي محمد، في البداية، تقودنا الى استبعاد ان يكون النبي قد رأى جبريل بنفسه في البداية والا لما كان يمكن أن يشك بنزول الوحي عليه، ولما كان بحاجة الى سؤال ورقة بن نوفل ليؤكد له أن نبي وأن ما رآه هو الناموس الذي نزله الله على موسى. وهو ما يؤكد سماع النبي للصوت فقط؟ أو رؤية الملك في المنام وليس في اليقظة.

وحسبما نعرف من القرآن فان أحدا من الأنبياء لم يرتعب من سماع كلام الله أو رؤية الملائكة أو يشك بالوحي النازل اليه، ما عدا ابراهيم ولوط اللذين لم يعرفا الرسل الذين جاءوا لمعاقبة قوم لوط، وأنكراهم في البداية لعدم تناولهم الطعام. فلماذا يرتعب النبي محمد من رؤية الملك أو سماع الصوت؟ أو يشك بحقيقة ما يرى ويسمع الا أن يكون بطريقة خفية.

ومما يؤكد أن الوحي في البداية لم يكن واضح المصدر أو بالصوت والصورة من الملك، رواية عائشة التي تقول إن رسول الله كان يسمع من يسلم عليه، ولا يرى الا الشجر والحجارة. وأن الوحي كان ينقطع عنه فيصاب بالاحباط والحزن الشديدين، بحيث كان يفكر في الانتحار بإلقاء نفسه من فوق قمم الجبال، فكان يتبدى له جبريل ويقول له: "يا محمد، إنك رسول الله حقا" فيهدأ ويتراجع، ثم يعاود الكرة مرة أخرى. ¹⁶

16 - ورد في طبقات ابن سعد وتاريخ الطبري وبلاغات البخاري؛ بعد وفاة ورقة بن نوفل، أن الوحي كان ينقطع، فيصاب النبي بحالة إحباط وحزن شديدين حتى أنه يفكر في الانتحار بإلقاء نفسه من فوق قمم الجبال، لكنه كلما كان يصل لقمة جبل ليلقي نفسه كان يتبدى له جبريل ويقول له: "يا محمد، إنك رسول الله حقا" فيهدأ ويتراجع، لكنه كان يكررها كلما انقطع الوحي.

أخرج ابن سعد من حديث ابن عباس بنحو هذا البلاغ الذي ذكره الزهري، وقوله: " مكث أياما بعد مجيء الوحي لا يرى جبريل فحزن حزنا شديدا حتى كاد يغدو إلى ثبير مرة وإلى حراء أخرى يريد أن يلقي نفسه فبينما هو كذلك عامدا لبعض تلك الجبال إذ سمع صوتا فوق فزعا ثم رفع رأسه فإذا جبريل على كرسي بين السماء والأرض مترعا يقول يا محمد أنت رسول الله حقا وأنا جبريل، فانصرف وقد أقر الله عينه وانبسط جأشه ثم تتابع الوحي.

وهو ما يتفق مع آيات قرآنية تخاطب النبي وتحاول أن تؤكد له أنه نبي وليس بمجنون: " ما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون". (القلم 2) و: "وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ، عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ، وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ" (الشعراء 192-196) ولكن لا يمكن التأكد من خلال رواية البخاري عن ابن عباس وغيره: من رؤية النبي للملك أثناء محاولته الانتحار، وسماع صوته، وأنه كان يقول له: (يا محمد أنت رسول الله حقا وأنا جبريل).

د - الصور المختلفة للوحي النازل الى النبي محمد

وتفصل الأحاديث في طريقة تحدث الملك مع النبي بالقاء الوحي على القلب او بصورة مباشرة، كما في حديث النبي للحارث بن هشام عندما سأله : " يا رسول الله كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله : أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس ، وهو أشده علي ، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال ، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول " (متفق عليه) ¹⁷ . وتصديقا لذلك تقول عائشة : " ولقد رأيته ينزل عليه في اليوم الشاتي الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا" (صحيح ابن حبان) وتنقل عن النبي قوله : "إن روح القدس نفث في روعي لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب". ¹⁸ وعن زرارة عن أبي جعفر الباقر قال: الأنبياء على خمسة أنواع منهم من يسمع الصوت مثل صوت السلسلة فيعلم ما عني به ومنهم من ينبأ في منامه مثل يوسف وإبراهيم ومنهم من يعاين ومنهم من ينكت في قلبه ويوقر في أذنه. وعنه أيضا، قال: سألت أبا جعفر عن قول الله عز وجل: وكان رسولا نبيا. ما الرسول؟ وما

وأخرج الطبري من طريق النعمان بن راشد عن ابن شهاب فذكر نحو حديث الباب وفيه : " فقال لي يا محمد أنت رسول الله حقا" قال فلقد هممت أن أطرح نفسي من حالق جبل " أي من علوه.
البخاري، كتاب التعبير، باب أول ما بدئ به رسول الله من الوحي.

17 - البخاري، بدء الوحي 6/1

18 - أخرجه ابن حبان في صحيحه والحاكم في المستدرک وصححه وافقه الذهبي وابن ماجه في سننه من حديث عبد الله بن مسعود

النبي؟ قال: النبي الذي يرى في منامه ويسمع الصوت ولا يعاين الملك، والرسول الذي يسمع الصوت ويرى في المنام ويعاين الملك.¹⁹

وفي رواية أخرى عن عمر بن الخطاب أن جبرئيل كان يتمثل أحيانا للنبي بصورة انسان ظاهر يراه الآخرون (غير النبي)، ويخاطبه بالوحي ، أي كما حدث مع النبيين إبراهيم ولوط، قال عمر : بينما نحن عند رسول الله (ص) ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي (ص) فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال يا محمد أخبرني عن الإسلام؟ فقال رسول الله (ص): الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا. قال صدقت. قال فعجبنا له يسأله ويصدقه قال فأخبرني عن الإيمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره قال صدقت قال فأخبرني عن الإحسان قال أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك قال فأخبرني عن الساعة قال ما المسؤول عنها بأعلم من السائل قال فأخبرني عن أمارتها قال أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان قال ثم انطلق فلبثت مليا ثم قال لي يا عمر أتدري من السائل ؟ قلت الله ورسوله أعلم قال فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم " . (رواه مسلم)

ويقال أيضا ان الملك كان يتمثل بشخصية الصحابي دحية الكلبي وهو صحابي كان يضرب به المثل في حسن الهيئة وجمال الصورة وقد اسلم في العام الثالث للهجرة قبل معركة أحد، ويراها النبي والصحابة ، كما عن عبد بن عمر عن أنس أن النبي كان يقول: "يأتيني جبريل في صورة دحية".²⁰

وعن عائشة: " أن رسول الله (ص) كان عندها فسلم علينا رجل ونحن في البيت فقام رسول الله (ص) فزعا وقمت في أثره فإذا بدحية الكلبي فقال هذا جبريل أمرني أن أذهب إلى بني قريظة وقال قد وضعت السلاح لكننا لم نضع طلبنا المشركين حتى بلغنا حمراء الأسد وذلك حين رجع رسول الله (ص) من الخندق فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فزعا وقال لأصحابه عزمتم عليكم أن لا تصلوا صلاة العصر حتى تأتوا

19 - الصفار، بصائر الدرجات، ج 7 باب 6 ح رقم (13) والصفار، بصائر الدرجات، ج 8، باب 1 في الفرق بين الأنبياء والرسل والأئمة عليهم السلام ومعرفتهم وصفتهم ، ح رقم (6)

بني قريظة ... وخرج رسول الله (ص) فمر بمجالس بينه وبين بني قريظة فقال هل مر بكم أحد فقالوا مر علينا دحية الكلبي على بغلة شهباء تحته قطيفة ديباج فقال: ذلك جبريل أرسل إلى بني قريظة ليزلزلهم ويقذف في قلوبهم الرعب".²¹

وقالت عائشة: رأيت رسول الله (ص) واضعا يده على معرفة فرس وهو يكلم رجلا، قلت: رأيتك واضعا يدك على معرفة فرس دحية الكلبي وأنت تكلمه، قال: ورأيتيه؟ قالت: نعم، قال: ذاك جبريل عليه السلام وهو يقرئك السلام.²²

وكما في رواية أم سلمة فيما نقله البخاري في باب علامات النبوة: "عن أبي عثمان قال: أنبت أن جبريل (ع) أتى النبي (ص) وعنده أم سلمة، فجعل يحدث، ثم قام فقال النبي (ص) لأم سلمة: من هذا؟! أو كما قال، قال: قالت: هذا دحية، قالت أم سلمة: أيم الله ما حسبته إلا إياه، حتى سمعت خطبة نبي الله يخبر جبريل أو كما قال، قال: فقلت لأبي عثمان: ممن سمعت هذا؟ قال: من أسامة بن زيد".²³

وما رواه البخاري أيضا في كتاب الإيمان باب سؤال جبريل النبي عن الإيمان والاسلام والاحسان، عن أبي هريرة قال: "كان النبي (ص) بارزا يوما للناس، فأتاه جبريل فقال: ما الإيمان؟ ... ثم أدبر، فقال: ردوه، فلم يروا شيئا، فقال: هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم".²⁴

²¹ - والحاكم النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین، حدیث رقم 4388 دار المعرفة، 1988 والمحدث الألباني، السلسلة الصحيحة، رقم 4/119

²² - المحدث الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم 3/105

²³ - البخاري ج 4 ص 250

²⁴ - البخاري، ج 1 ص 20

وهناك روايات أخرى تتحدث عن رؤية النبي للجن والشياطين، واستماعه الى أحاديثهم، كما يروي الامام أحمد بن حنبل عن رسول الله أنه قال : " ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن " قالوا : وإياك يا رسول الله ؟ قال : " وإياي إلا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير ".²⁵

ولكن هذه أخبار آحاد لا يمكن ان تفيدنا علما، وما ورد في القرآن عن نزول الملائكة لا يتحدث عن رؤية النبي ولا احد من المسلمين للملائكة.²⁶

نستخلص من كل ما سبق أن الوحي الذي كان ينزل على النبي محمد أنه كان ينزل على قلبه، دون أن يرى الملك.

حديث الغرائق

²⁵ - أخرجه أحمد (رقم 3647 ، 3778 ، 3801 ، 4393) طبعة المكتب الإسلامي ومسلم (8 / 139) عن ابن مسعود ، و في رواية أخرى للبخاري ومسلم أن الله تعالى مَنَّ نبيه من إبليس حتى كاد أن يخنقه وهمَّ أن يربطه بسارية من سواري مسجد المدينة. (البخاري (3 / 62) بشرح ابن حجر ومسلم (2 / 72) وغيرهما. وقد روى البخاري عن أبي هريرة أنه رأى شيطانا يسرق من أموال الزكاة التي كلف بحفظها، فأراد أن يعتقله، فعلمه تعويذة، وقال له: " إذا أويت إلى فراشك فقرأ آية الكرسي (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) حتى تختم الآية فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربنك شيطان حتى تصبح". ولكن لا يمكن الاعتماد تماما على رواية أبي هريرة الذي يعترف فيها أنه خالف أوامر النبي ثلاث مرات. (رواه البخاري)

²⁶ - حيث تقول احدى الآيات: "إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن بمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين، بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين". (آل عمران 124 - 125) وفي سورة الأنفال: " إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين، وما جعله الله الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم، وما النصر الا من عند الله، إن الله عزيز حكيم". (الأنفال 9 - 10) "إذ يوحي ربك الى الملائكة أني معكم فنبتوا الذين آمنوا، سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان". (الأنفال 12) وهذه الآيات إخبار من الله للنبي بنزول الملائكة، ولكن الطبري يروي عن ابن عباس عن رجل من بني غفار المشركين أنهم رأوا الملائكة في سحابة وسمعوا حممة الملائكة وسمعوا قائلا يقول: اقدم حيزوم. الطبري، حديث رقم 7749

وتحدثنا سورة الحج أن الشيطان ذات مرة ألقى في أمنية النبي كما كان يلقي في أمنية الأنبياء والرسل السابقين: "وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَتَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ". (الحج 52) مما يشير الى اختلاط الوحيين الإلهي والشيطاني أحيانا. ولم يفصل القرآن في شرح ذلك، ولكن بعض المفسرين والمحدثين يذكرون قصة الغرائق ، ويقولون: إن النبي، بعد أن تلا "واللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى" من سورة النجم، أضاف آيتين هما (تلك الغرائق العلى وان شفاعتهن لترتجى) مما دفع المشركين الى السجود مع المسلمين خلف النبي، ولكن جبريل نبه النبي الى أنه لم ينزل هاتين الآيتين وأنها من وحي الشيطان، فاشتد ذلك على رسول الله (ص) واغتم به ، فسلاه الله مما به من ذلك بهذه الآيات من سورة الحج .

وقد روى هذه القصة محمد بن اسحاق في (السيرة النبوية) ومحمد بن جرير الطبري في (تفسيره)، وابن حجر المصري في (فتح الباري) (8 / 354 - 355) ، وأخرجها الواحدي في (أسباب النزول) (ص 233).

وفيما عدا هؤلاء، فان عامة المفسرين والمحدثين رفضوا حكاية الغرائق، واستبعدوا قيام النبي بإضافة آيتين لسورة النجم من وحي الشيطان، بناء على ضعف السند، أو إجماع الأمة على عصمة النبي في الوحي. وقد حذر المفسر المعاصر محمد حسين الطباطبائي من قبول الرواية قائلا: "على أنه لو جاز مثل هذا التصرف من الشيطان في لسانه (ص) بإلقاء آية أو آيتين في القرآن الكريم لارتفع الأمن عن الكلام الإلهي فكان من الجائز حينئذ أن يكون بعض الآيات القرآنية من إلقاء الشيطان... وبذلك يرتفع الاعتماد و الوثوق بكتاب الله من كل جهة و تلغو الرسالة والدعوة النبوية بالكلية جلت ساحة الحق من ذلك." . وألف المحدث محمد ناصر الدين الألباني، كتابا خاصا حول الموضوع تحت عنوان: (نصب المجانيق لنسف قصة الغرائق).²⁷

الرسول والنبي والمحدث

²⁷ - الألباني، محمد ناصر الدين ، نصب المجانيق لنسف قصة الغرائق (1372 هـ)، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة

ومن الجدير بالذكر هنا أن الروايات السننية والشيعية تضيف الى آية النسخ (الحج 52) كلمة (ولا محدّث) لتصبح الآية هكذا: "وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدّث...". وهي قراءة مروية عن ابن عباس وأبي هريرة ومحمد بن علي الباقر، فقد أخرج البخاري عن أبي هريرة قال: قال النبي (ص): لقد كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل رجال يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء، فإن يكن من أمي منهم أحد فعمر. قال ابن عباس: "من نبي ولا محدث". وأخرج مسلم في باب فضائل عمر عن عائشة عن النبي (ص): قد كان في الأمم قبلكم محدثون، فإن يكن في أمي منهم أحد فإن عمر بن الخطاب منهم.²⁸ بل ذكر ابن حجر إن الأمر لا يختص بعمر بل يشمل الكثيرين فقد نقل عنه المناوي قوله: "وقد كثر هؤلاء المحدثون بعد العصر الأول وحكمته زيادة شرف هذه الأمة بوجود أمثالهم فيها ومضاهاة بني إسرائيل في كثرة الأنبياء فلما فات هذه الأمة المحمدية كثرة الأنبياء لكون نبيهم خاتم الأنبياء عوضوا تكثير الملهمين".²⁹

وروى محمد بن الحسن الصفار عن أبي حمزة الثمالي والمغيرة بن سعيد أن الباقر قال لهما: "وجدنا علم علي في آية من كتاب الله" وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدّث" فقالا له: ليست هكذا هي، فقال: في كتاب علي "وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدّث إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته" فقال أبو حمزة: وأي شئ المحدث؟ فقال: ينكت في أذنه فيسمع طيننا كطين الطست أو يقرع على قلبه فيسمع وقعا كوقع السلسلة على الطست".³⁰ وأخرج الكليني في "أصول الكافي" تحت عنوان:

²⁸ - البخاري، بشرح ابن حجر، فتح الباري ج7 ص 50 والبخاري، باب مناقب عمر بن الخطاب ج 2 ص 194 و الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد للبيهقي ص 435 - 436 ولكن أبا بكر بن أبي داود السجستاني يروي هذا الحديث في (كتاب المصاحف) عن ابن عباس بدون حرف (ولا) لتصبح الآية هكذا: "وما أرسلنا لك من قبلك من رسول ولا نبي محدث". ، ولا ندري هل سقطت (ولا) منه سهوا؟ أم أن البخاري والآخرين أضافوها الى الآية؟ علما بأن السجستاني المتوفي سنة (316) متأخر عن البخاري. السجستاني، أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث: كتاب المصاحف، صفحة 75، دار التكوين للنشر والتوزيع، دمشق 2004 الطبعة الأولى

²⁹ - فيض القدير ج4 ص 643

³⁰ - الصفار، بصائر الدرجات، ج 7 باب 6 ح رقم (13) و باب 1 في الفرق بين الأنبياء والرسول والأئمة عليهم السلام ومعرفتهم وصفتهم، ح رقم (6)

(باب الفرق بين الرسول والنبي والمحدث) عن بريد عن أبي جعفر الباقر أنه قرأ: "وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث". قال بريد: قلت: جعلت فداك ليست هذه قراءتنا، فما الرسول والنبي والمحدث؟ قال: الرسول الذي يظهر له الملك فيكلمه، والنبي هو الذي يرى في منامه، وربما اجتمعت النبوة والرسالة لواحد، والمحدث الذي يسمع الصوت ولا يرى الصورة. قال: قلت أصلحك الله كيف يعلم أن الذي رأى في النوم حق وأنه من الملك؟ قال: يوفق لذلك حتى يعرفه، ولقد ختم الله عز وجل بكتابتكم الكتب وختم بنبيكم الأنبياء. 31

وإذا تأملنا في آية النسخ، فسوف نجد أنها لا تشير الى تحدث الملك مع النبي ولا تحدث النبي مع الملك، ولا رؤيته ولا الحوار معه، بينما تتضمن الروايات التي تتحدث عن قصة الغرائق أمرين: أولهما: إلقاء الشيطان الآيتين المضافتين "تلك الغرائق العلى ، وان شفاعتهن لترتجى" بصورة خفية أي من دون مشاهدة النبي للشيطان، وإنما بالوحي الخفي الذي يشابه الوحي الإلهي، مما يعزز فرضية الوحي الإلهي الخفي، ونزول سورة النجم على الأقل على قلب النبي وليس بواسطة الملك. وأما الأمر الثاني: فهو نزول الملك جبريل على النبي في المساء وسؤاله عن الزيادة وتبرؤه منها بالقول "لقد تلوت على الناس ما لم آتك به عن الله عز وجل، وقلت ما لم يقل لك". وهو ما يكشف عن طريقة أخرى في الوحي عن طريق المواجهة والمشاهدة والكلام. ولكن اذا وضعنا الأحاديث جانبا فاننا لن نحصل الا على الوحي القلبي الخفي.

جدل المعنى واللفظ

ان ما يدعونا الى التحقق من طريقة الوحي هو محاولة معرفة موضوع مهم جدا: وهو هل كان الوحي للنبي محمد بالكلام من الملك؟ أم بإلقاء المعنى في القلب؟، علما بأنه لا توجد آية في القرآن تتحدث عن مخاطبة الله تعالى للنبي مباشرة أو تكليمه كما كان يكلم النبي موسى، وحتى ابراهيم.

وإذا تأكدنا من موضوع الوحي الخفي القلبي، يأتي سؤال آخر: هل كانت الألفاظ التي قرأ النبي بها القرآن، ألفاظا مطابقة للنص النازل اليه حرفيا؟ أم تعبيرا شخصيا منه عن المعنى؟ وهل ان ألفاظ القرآن مقدسة مثل المعنى، أو يمكن ان تتغير وتتبدل قليلا بما لا يغير المعنى؟، حسبما تقول بعض الروايات التي سنعرضها في الفصل القادم؟ وأن المهم هو المحافظة على المعنى العام للقرآن فلا تستبدل الجنة بالجحيم ولا الواجب بالحرام، وأن لا فرق كبيرا بين القول ان الله عزيز حكيم أو عليم حكيم؟.

الباب الأول: القرآن في ظل الرسول

الفصل الثاني: نزول القرآن على سبعة أحرف

32

جدل المعنى واللفظ

طرحنا في نهاية الفصل الماضي سؤالاً هو: هل كانت الألفاظ التي قرأ النبي بها القرآن، ألفاظا مطابقة للنص النازل اليه حرفيا؟ أم تعبيرا شخصيا منه عن المعنى النازل على قلبه؟ وهل يمكن لألفاظ القرآن أن تتغير وتتبدل قليلا بما لا يغير المعنى؟

خلق القرآن: جدل المعنى واللفظ

الفصل الثاني: نزول القرآن على سبعة أحرف

الباب الأول: القرآن في ظل الرسول القرآن الكريم..

سبعة أحرف وسبع قراءات

طرحنا في نهاية الفصل الماضي سؤالاً هو: هل كانت الألفاظ التي قرأ النبي بها القرآن، ألفاظا مطابقة للنص

النازل اليه حرفيا؟ أم تعبيرا شخصيا منه عن المعنى
النازل على قلبه؟ وهل يمكن لألفاظ القرآن أن تتغير وتتبدل
قليلا بما لا يغير المعنى؟

خلق القرآن: جدل المعنى واللفظ

وكما هو معروف فقد اختلف المسلمون في القرون الأولى
، حول طبيعة القرآن ، فقال بعضهم: إنه مخلوق وقال
بعضهم: غير مخلوق، وكما يقول ابن تيمية: فانهم قد
انقسموا الى عدة اقوال: الأول: " قول المتفلسفة " ومن
وافقهم من متصوف و متكلم كابن سينا وابن عربي الطائي
وابن سبعين وأمثالهم ممن يقول ... إن كلام الله ليس له
وجود خارج عن نفوس العباد ; بل هو ما يفيض على
النفوس من المعاني : إعلاما و طلبا : إما من العقل الفعال
كما يقوله كثير من المتفلسفة وإما مطلقا كما يقوله بعض
متصوفة الفلاسفة .

و القول الثاني: قول الجهمية من المعتزلة وغيرهم الذين
يقولون : كلام الله مخلوق يخلقه في بعض الأجسام فمن
ذلك الجسم ابتداء لا من الله ولا يقوم - عندهم - بالله كلام ولا
إرادة وأول هؤلاء " الجعد بن درهم " الذي ضحى به خالد
بن عبد الله القسري - لما خطب الناس يوم عيد النحر -
وقال : ضحوا تقبل الله ضحاياكم فإني مضح بالجعد بن
درهم إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا ولم [ص:
164] يكلم موسى تكليما تعالى الله عما يقول الجعد علوا

كبيراً ثم نزل فذبحه . و القول الثالث : قول أبي محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب البصري ومن اتبعه : كالقلانسي وأبي الحسن الأشعري وغيرهم أن كلام الله معنى قائم بذات الله هو الأمر بكل مأمور أمر الله به والخبر عن كل مخبر أخبر الله عنه إن عبر عنه بالعربية كان قرآناً وإن عبر عنه بالعبرية كان توراة وإن عبر عنه بالسريانية كان إنجيلاً . ابن تيمية، مجموع فتاوى ابن تيمية ، التفسير، كتاب القرآن كلام الله حقيقة، المسألة المصرية في القرآن، ص ١٦٣-١٦٥ وقد ذهب ابن كلاب ، و أبو الحسن الأشعري والقاضي أبو بكر بن الباقلاني الى أن القرآن ليس بمخلوق وانه قديم ، و لا يمكن أن يكون قديماً إلا أن يكون معنى قائماً بنفس الله كعلمه ، وقالوا بان الله لا يتكلم بصوت ولا لغة لا قديم ولا غير قديم ، و أن كلامه ليس بحرف ولا صوت ولا لغة . ابن تيمية، مجموع فتاوى ابن تيمية، التفسير، كتاب القرآن كلام الله حقيقة، فصل الكلام في القرآن هل هو حرف وصوت أم لا ، ص ٥٧٩-٥٨١ وذهب الامام احمد بن حنبل و من تبعه من أهل الحديث والفقه والكلام والتصوف الى أن القرآن غير مخلوق، وأن الله يتكلم بصوت.

وهؤلاء يعتقدون بأن القرآن الكريم بجميع ألفاظه ومعانيه منزل من الله تعالى على محمد بن عبد الله (ص) بواسطة الملك جبريل. بناء على قوله تعالى: "وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ

الْعَالَمِينَ. نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ . عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ . بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ". (الشعراء 192 - 195)

وهذا ما يذهب اليه الدكتور السوداني محمد المجذوب، حيث يقول: "ذهب علماء القرآن إلى عدة مذاهب؛ فمنهم من قال: أن المنزل كان هو اللفظ والمعنى؛ وأن جبريل حفظ القرآن من الكتاب المكنون ثم نزل به. ومنهم من ذهب إلى القول؛ بأن جبريل تلقى القرآن سمعاً من الله تعالى بلفظه المخصوص الذي عليه المعنى؛ وأن الله أفهم كلامه جبريل؛ وهو في السماء وهو عال عن المكان وعلمه قراءته؛ ثم أن جبريل أداه في الأرض وهو يهبط في المكان". ويفسر المجذوب المروييات التي تنسب إلى الرسول، والتي يحكي فيها أن الوحي كان يأتيه أحياناً مثل "صلصلة الجرس" وأحياناً مثل "طنين النحل" "بأنها أوصاف لجبريل الذي هو أمين الوحي؛ لا الوحي في حد ذاته؛ وهي الحالة التي تم تطبيعها من خلال ظهور جبريل في صورة البشرية. مما يدل على أن التواصل كان لغوياً بالمعنى المفهوم من العبارة". صفحة الدكتور محمد المجذوب، على الفليسبوك، بتاريخ ٣-١٢-٢٠١٢:

ومن أنصار هذا الرأي صاحب (تفسير الميزان) محمد حسين الطباطبائي الذي يميل الى نزول القرآن باللفظ والمعنى، والذي يستظهر أن المقصود بالانزال في الآية السابقة هو القرآن بمعانيه وألفاظه، ويقول: إن "الضمير في

"نزل به" للقرآن بما أنه كلام مؤلف من ألفاظ لها معانيها الحقة، فإن ألفاظ القرآن نازلة من عنده تعالى، كما أن معانيها نازلة من عنده على ما هو ظاهر قوله "فإذا قرأناه فاتبع قرآنه" (القيامة 18) وقوله "تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق". (آل عمران 108، والجمعة 6) إلى غير ذلك". ويضيف: "فلا يعبأ بقول من قال: إن الذي نزل به الروح الأمين إنما هو معاني القرآن الكريم ثم النبي (ص) كان يعبر عنها بما يطابقها ويحكيها من الألفاظ بلسان عربي". ومع ذلك فإن الطباطبائي يتوقف عند الانزال على قلب النبي فيقول: "لعل الوجه في قوله: "نزل به الروح الأمين على قلبك" دون أن يقول: عليك، هو الإشارة إلى كيفية تلقيه (ص) القرآن النازل عليه، وأن الذي كان يتلقاه من الروح هو نفسه الشريفة من غير مشاركة الحواس الظاهرة التي هي الأدوات المستعملة في إدراك الأمور الجزئية. فكان (ص) يرى ويسمع حينما كان يوحى إليه من غير أن يستعمل حاستي البصر والسمع كما روي أنه كان يأخذه شبه إغماء يسمى برجاء الوحي. فكان (ص) يرى الشخص ويسمع الصوت مثل ما نرى الشخص ونسمع الصوت غير أنه ما كان يستخدم حاستي بصره وسمعه الماديتين في ذلك كما نستخدمهما. ولو كان رؤيته وسمعه بالبصر والسمع الماديين لكان ما يجده مشتركا بينه وبين غيره فكان سائر الناس يرون ما يراه ويسمعون ما يسمعه والنقل القطعي يكذب ذلك فكثيرا ما كان يأخذه برجاء

الوحي وهو بين الناس فيوحي إليه ومن حوله لا يشعرون بشيء ولا يشاهدون شخصا يكلمه ولا كلاما يلقي إليه".
الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، البقرة 192-196 ويؤكد الطباطبائي ، لدى تفسير آية "وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ...". (الحج 52) على رؤية النبي للملك، حيث يفصل بين الرسول والنبي ويقول: "ان الرسول هو من ينزل عليه الملك بالوحي فيراه ويكلمه، والنبي هو من يرى المنام ويوحي إليه فيه، وقد استفدنا مضمون هذه الروايات من قوله تعالى: "قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا". (الإسراء: 95) وفي الكافي، بإسناده عن زرارة عن أبي جعفر (عليه السلام) في حديث: النبي الذي يرى في منامه ويسمع الصوت ولا يعاين الملك، والرسول الذي يسمع الصوت ويرى في المنام ويعاين الملك". وقد تبني هذا الرأي أيضا المستشار احمد عبده ماهر، ونشر مقالة على صفحته على الفيسبوك بتاريخ ٨ حزيران ٢٠١٧، تحت عنوان: "القرءان نزل مكتوبا من السماء ولم ينزل شفويا" واستشهد فيها بما جاء في سيرة ابن هشام من أن جبريل نزل على النبي بديباج مكتوب فيه [اقرأ باسم ربك الذي خلق.....] ولكن ماهر حذف فقرة من الرواية التي تقول ان نزول حبرئيل على النبي كان في المنام وليس في اليقظة. ثم استشهد ماهر بما ورد في القرآن الكريم من

ذكر (الكتاب) في آيات عديدة، وتساءل: هل يمكن أن يقول الله تعالى [إن هذا الكتاب...] دون أن يكون كتابا مكتوبا....ويقول [اقرأ] وليس هناك ما يمكن قراءته؟.. وهل كلمة كتاب تعني بأنه غير مكتوب؟. ألا تعني شيئا موجودا أمام المتلقي للوحي وهو النبي؟، وأمام من يقول لهم النبي وينقل إليهم الخبر؟ واستدل أيضا على رأيه بكلمة (الصحف) الواردة في القرآن مثل قوله تعالى: {رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً} {البينة} 2 وحاول قياس القرآن على الزبور وصحف إبراهيم وموسى، ثم قال: "فهل يكون لأنبياء الله إبراهيم وموسى صحفا لا تكون لمحمد؟! وهل يأتي الله بالزبور لداوود ولا يأتي لمحمد بالقرآن مكتوبا؟". وقام أخير برفض الرواية التاريخية المتواترة عن جمع أبي بكر وعثمان بن عفان للقرآن، وفسر ذلك "بصورة من صور تكرار عدد النسخ المكتوبة...وليست كتابة من صدور الرجال كما يصوّرون لنا". وربما يتمسك البعض بهذه الآية: "وإنه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين، على قلبك لتكون من المنذرين، بلسان عربي مبين". (الشعراء 192 – 195) ليقول إن القرآن نزل على رسول الله لفظا باللغة العربية، ولكن الجملة الأخيرة "بلسان عربي مبين" يحتمل أيضا أن تكون إشارة الى لغة المنذر والمنذرين، إذ يحتمل أن يكون الإنذار باللغة العربية والمنذرين الذين يتحدثون بلسان عربي مبين، بدليل: "ولو نزلناه على بعض الأعجمين

فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين". (الشعراء 198 – 199) وهو ما تشير إليه أيضا آية أخرى هي: " ولقد نعلم أنهم يقولون: إنما يعلمه بشر، لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين". (النحل 104)

نزول القرآن على سبعة أحرف

وفي مقابل تلك النظرية التي تقول بنزول القرآن معنى ولفظا أو مكتوبا، هناك نظرية تقول: ان نزول الوحي على قلب النبي بالمعنى والجوهر هو أساس القرآن أو الذكر، وأما اللفظ فهو من النبي وهو تعبير عن ذلك المعنى وهو نص مقدس ، ولذلك كان في بداية الوحي مرنا وقابلا للتعدد ، - كالفرق بين هاتين الآيتين: "يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون " (التوبة 32) و"يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون". (الصف 8) أو كالفرق بين هاتين القراءتين: قراءة: (حفص عن عاصم) قال تعالى: (فَمَتَّعْنَاهُمْ "إِلَى" حِينٍ) (148 الصافات). وقراءة عبد الله بن عباس : (فمتعناهم "حتى" حين). وذلك قبل أن يتم الاجماع في زمان الخليفة عثمان بن عفان على حرف واحد، هو الموجود بين أيدينا اليوم.

وأخذنا الآراء الأخرى الفلسفية والجهمية والمعتزلية والأشعرية، فان كلام الله يغدو معنى ينزله الله على قلب النبي ، وليس لفظا، وعلى هذا فان اللفظ لا بد أن يكون من

النبي.

وقد ذهب الى ذلك المفسر جلال الدين السيوطي فقال أن الصياغة اللغوية كانت من فعل النبي محمد (ص) وان جبريل إنما نزل بالمعاني وأن النبي علم تلك المعاني وعبر عنها بلغة العرب؛ مستدلاً بقوله تعالى: "نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ" {الشعراء 193/195}؛ وبقوله: "فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ" {الدخان/58}؛ أو بقوله: "فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا" {مريم/97}.

وهو ما تؤكد به بعض الأحاديث النبوية الواردة في الصحاح وأمّهات الكتب الاسلامية، حول نزول القرآن على سبعة أحرف. يروي الامام مالك بن أنس والامام أحمد بن حنبل والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وأبو داود والطبري والطحاوي، وغيرهم بأسناد مختلفة، عن مجموعة من الصحابة على رأسهم عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود وابي كعب وأبي هريرة وابن عباس عن النبي الأكرم حديثاً بصيغ شتى يدور حول نزول القرآن على سبعة أحرف وجواز قراءته بأي حرف. ولكن المخالفين لهم يروون الحديث بتفسير آخر كما يروي الطبري ، في مقدمة التفسير: حديث رقم 58 - حدثنا محمد بن بشار ، قال : حدثنا عباد بن زكريا ، عن عوف ، عن أبي قلابة ... وروي عن أبي ، عن رسول الله (ص) انه قال : " أنزل

القرآن على سبعة أحرف : أمر ، وزجر ، وترغيب ، وترهيب ، وجدل ، وقصص ، ومثل".

نزول القرآن على سبعة أحرف

وفي مقابل تلك النظرية التي تقول بنزول القرآن معنى ولفظاً، هناك نظرية تقول: ان نزول الوحي على قلب النبي بالمعنى والجوهر هو أساس القرآن أو الذكر، وأما اللفظ فهو تعبير عن ذلك المعنى وهو نص مقدس ولكنه في بداية الوحي كان مرناً وقابلاً للتعدد³³، قبل أن يتم الاجماع في زمان الخليفة عثمان بن عفان على حرف واحد، هو الموجود بين أيدينا اليوم.

وهو ما تؤكد بعض الأحاديث النبوية الواردة في الصحاح وأمّهات الكتب الاسلامية، حول نزول القرآن على سبعة أحرف.

يروى الامام مالك بن أنس والامام أحمد بن حنبل والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وأبو داود والطبري والطحاوي، وغيرهم بأسناد مختلفة، عن مجموعة من الصحابة على رأسهم عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود وإبي كعب وأبي هريرة وابن عباس عن النبي الأكرم حديثاً بصيغ شتى يدور حول نزول القرآن على سبعة أحرف وجواز قراءته بأي حرف.

حديث عمر بن الخطاب

يقول عمر بن الخطاب³⁴ : سمعت هشام بن حكيم (وهو مهاجر قرشي) يقرأ سورة الدخان³⁵ في حياة

33 - كالفق بين هاتين الآيتين: "يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبي الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون" (التوبة 32) و"يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون". (الصف 8) أو كالفق بين هاتين القراءتين: قراءة: (حفص عن عاصم) قال تعالى: (فَمَمَّعَتَهُمْ "إِلَى" حِينٍ) (148_ الصافات). وقراءة عبد الله بن عباس : (فممعناهم "حتى" حِين).

34 - يقول الطبري في مقدمة تفسيره: حديث رقم 13 - حدثني يونس بن عبد الاعلى ، قال :

رسول الله (ص) ، فاستمعت لقراءته ، فإذا هو يقرؤها على حروف كثيرة ، لم يقرئها رسول الله (ص) ، فكدت أساوره (أي كدت أوثبه وأبطش به) في الصلاة ، فتصبرت حتى سلم ، فلما سلم لببته بردائه ، فقلت : من أقرأك هذه السورة التي سمعت تقرأها ؟ قال : أقرأنيها رسول الله (ص) . فقلت : كذبت ، فوالله إن رسول الله (ص) لهو أقرأني هذه السورة التي سمعتك تقرأها ! فانطلقت به أقوده إلى رسول الله (ص) ، فقلت : يا رسول الله ، إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان³⁶ على حروف لم تقرأنيها ، وأنت أقرأني سورة الفرقان . قال : فقال رسول الله (ص) : " أرسله يا عمر ! اقرأ يا هشام " . فقرأ القراءة التي سمعته يقرأها ، فقال رسول الله (ص) : " هكذا أنزلت " . ثم قال رسول الله (ص) : " اقرأ يا عمر ! " فقرأت القراءة التي أقرأني رسول الله (ص) ، فقال رسول (ص) : " هكذا أنزلت " . ثم قال رسول الله (ص) : " إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فاقرءوا ما تيسر منها " .³⁷

أخبرنا ابن وهب . قال : أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرني عروة بن الزبير ، أن المسور بن مخزومة وعبد الرحمن بن عبد القارئ أخبراه أنهما سمعا عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، يقول ..

35 - أو الفرقان، كما في آخر الرواية.

36 - أو الدخان، كما في أول الرواية.

37 - رواه البخاري في الخصومات باب 4 ، واستتابة المرتدن باب 9 . ومسلم في صلاة المسافرين وقصرها حديث رقم 270 . وأبو داود في أبواب الوتر باب 22 . والترمذي في القراءات باب 9 . والنسائي في الافتتاح باب 37 . ومالك في الموطأ ، كتاب القرآن حديث رقم 5 . واحمد في المسند (ج 1) حديث رقم 277 ، وحديث رقم 296 .

يلاحظ: ان عمر وهشام من المهاجرين، والسورتان التي يرد ذكرهما في هذه الرواية مرة باسم الدخان ومرة باسم الفرقان هما سورتان مكيتان، ولكن الراوي لا يذكر اين ومتى حدثت القصة، في مكة؟ أو المدينة؟ وان كان يرجح أنها حدثت في المدينة: كما يفهم منها أنها حدثت في مسجد النبي، وهي تشبه القصة التي يرويها أبي بن كعب عن نفسه ، ويرويها آخرون عن عمر وأبي، وبصيح مجهولة أحيانا ، أي من دون ذكر الصحابي.

وهناك طرق أخرى لهذه الرواية عن عمر ولكنها لا تذكر اسم هشام بن حكيم، وتضيف إحداها الى الرواية الأولى (فوقع في صدر عمر شئ ، فعرف النبي (ص) ذلك في وجهه ، قال : فضرب صدره ، وقال : " ابعده شيطاناً " قالها ثلاثاً ، ثم قال : " يا عمر ، إن القرآن كله صواب ، ما لم يجعل رحمة عذاباً ، أو عذاباً رحمة " 38 بينما تضيف رواية أخرى : (فقال رسول الله (ص) : " أنزل القرآن على سبعة أحرف ، كلها شاف كاف ") .39

حديث أبي بن كعب (أحد كتاب الوحي من الأنصار)

وأما الحديث الآخر فهو حديث أبي بن كعب، وهو أحد كتاب الوحي من الأنصار، وأحد النقباء الاثني عشر الذين دعوا الرسول الى المدينة، وقصته تشابه قصة عمر الى حد كبير، حيث يقول: دخلت المسجد، فصليت فقرأت النحل ، ثم جاء رجل آخر فقرأها على غير قراءتي ، ثم دخل رجل آخر فقرأ بخلاف قراءتنا ، فدخل في نفسي من الشك والتكذيب أشد مما كان في الجاهلية ، فأخذت بأيديهما ، فأنتيت بهما النبي (ص) ، فقلت : يا رسول الله ، استقرئ هذين ! فقرأ أحدهما : فقال " أصبت " ، ثم استقرأ الآخر، فقال : " أصبت " ! فدخل قلبي أشد مما كان في الجاهلية من الشك والتكذيب ، فضرب رسول الله (ص) ، صدري ، وقال : " أعاذك الله من الشك ، وأخسأ عنك الشيطان " .40 ولهذه القصة طرق عديدة تزيد فيها

38 - الطبري في مقدمة تفسيره: حديث رقم 14 - حدثني أحمد بن منصور ، قال : حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، قال : حدثنا حرب بن أبي ثابت من بني سليم ، قال : حدثنا إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ، عن أبيه ، عن جده ، قال. ورواه الامام أحمد في المسند ، ج 5 رقم 16366

39 - الطبري في مقدمة تفسيره: حديث رقم 15 - حدثنا عبيدالله بن محمد الفريابي ، قال حدثنا عبد الله بن ميمون ، قال : حدثنا عبيدالله ، يعني ابن عمر (عبيدالله بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب) ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال :

40 - الطبري في مقدمة تفسيره: حديث رقم 27 - حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا وكيع ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن عبد الله بن عيسى بن أبي ليلى - (و) وعن ابن أبي ليلى عن الحكم - عن ابن أبي ليلى ، عن أبي .

قليلا وتذكر جوانب أخرى من القصة. كما في إحدى الروايات : (قال لهم النبي : " قد أصبتم وأحسنتم ").
أو " قال لي : أعيدك بالله من الشك والتكذيب ".⁴¹ أو (فلما رأى رسول الله (ص) ، ما غشيني ، ضرب
على صدري ، ففضت عرقا كما أنظر إلى الله فرقا ، فقال لي : " يا أباي أرسل إلي أن اقرأ القرآن على حرف
، فرددت عليه أن هون على أمي ! فرد علي في الثانية أن اقرأ القرآن على حرف ، فرددت عليه أن هون
على أمي ! فرد علي في الثالثة : أن اقرأ القرآن على سبعة أحرف ، ولك بكل ردة رددتها مسألة تسألنيها
، فقلت : اللهم اغفر لأمتي الله اغفر لأمتي ، وأخرت الثالثة ليوم يرغب إلي فيه الخلق كلهم ، حتى إبراهيم
").⁴² أو كما في هذه الرواية التي تشرح الحوار بين النبي وبين الملكين جبريل وميكائيل : (" إن الملكين
أتياي ، فقال أحدهما : اقرأ القرآن على حرف ، وقال الآخر : زده . قال : فقلت زدي . قال : اقرأه على
حرفين ، حتى بلغ سبعة أحرف ، فقال اقرأ على سبعة أحرف ").⁴³
وتضيف رواية أخرى مشابهة: " إن جبرئيل وميكائيل ، عليهما السلام ، أتياي ، فقعد جبريل عن يميني
وميكائيل عن يساري ، فقال جبريل : اقرأ القرآن على حرف واحد ، وقال ميكائيل : استزده . قال جبريل
: اقرأ القرآن على حرفين . فقال ميكائيل : استزده ، حتى بلغ ستة أو سبعة .. وكل شاف كاف".⁴⁴

41 - الطبري في مقدمة تفسيره: حديث رقم 26 وحدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا محمد بن فضيل ،
عن إسماعيل بن أبي خالد ، بإسناده عن النبي (ص) ، نحوه

42 - الطبري في مقدمة تفسيره: حديث رقم 25 - حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا ابن نمير ، قال :
حدثنا إسماعيل بن أبي خالد . وحدثنا عبد الحميد بن بيان القناد ، قال : حدثنا محمد بن يزيد الواسطي ،
عن إسماعيل ، عن عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن جده ، عن أبي بن كعب . إلا أن
ابن بيان قال في حديثه ، فقال لهم النبي ، (ص) : " قد أصبتم وأحسنتم ". ورواه مسلم في صلاة
المسافرين حديث رقم 273 . وأحمد في المسند ، ج 8 حديث 21229 و 21237

43 - الطبري في مقدمة تفسيره: حديث رقم 21 - حدثنا أبو كريب ، قال : حدثني يحيى بن آدم ، قال :
حدثني إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن فلان العبدي - قال أبو جعفر : ذهب عني اسمه - عن سليمان بن
سرد عن أبي بن كعب . ورواه الامام أحمد مختصرا قليلا في المسند ، ج 8 حديث رقم 21210 .

44 - الطبري في مقدمة تفسيره: حديث رقم 22 - حدثنا محمد بن بشار ، قال : حدثنا ابن أبي عدي .
وحدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا محمد بن ميمون الزعفراني ، جميعا عن حميد الطويل ، عن أنس بن مالك

وفي رواية أخرى عن نفس القصة يقول أبي: فوجدت في نفسي وسوسة الشيطان ، حتى احمر وجهي ، فعرف ذلك رسول الله (ص) في وجهي ، فضرب بيده في صدري ، ثم قال : " اللهم أخسئ الشيطان عنه ! أتاني أت من ربي ، فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد ، فقلت : رب ، خفف عني ! ثم أتاني الثانية ، فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد ، فقلت : رب خفف عن أمي ! ثم أتاني الثالثة ، فقال مثل ذلك ، وقلت مثله . ثم أتاني الرابعة ، فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف ولك بكل ردة مسألة ، فقلت : يا رب اغفر لأمتي ، يا رب اغفر لأمتي ، واختبأت الثالثة شفاعتي لأمتي يوم القيامة " . 45

ويبدو ان هذه التتمة التي لا توجد في الرواية الأولى قد حدثت بصورة منفصلة في وقت آخر، ولكنها أضيفت للقصة لأنها تكمل الموضوع، فهناك روايات عديدة تنقل التتمة بصورة مستقلة، حيث يقول أبي بن كعب: أتى النبي (ص)، جبريل ، وهو بأضائة بني غفار ، فقال : إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرف واحد . قال : فقال : " أسأل الله مغفرته ومعافاته ... إنهم لا يطيقون ذلك ، فسل الله لهم التخفيف ! " . فانطلق ثم رجع ، فقال : إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرفين . قال : " أسأل الله مغفرته ومعافاته ... إنهم لا يطيقون ذلك ، فسل الله لهم التخفيف ! " . فانطلق ثم رجع ، فقال : إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف . فقال : " أسأل الله مغفرته ومعافاته ... إنهم لا يطيقون ذلك ، سل الله لهم التخفيف ! " . فانطلق ثم رجع ، فقال : إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على سبعة أحرف ، فمن قرأ منها بحرف فهو كما قرأ " . 46

رضي الله عنه ، عن أبي بن كعب رضي الله عنه ، ولفظ الحديث لابي كريب . ورواه الامام أحمد في المسند ، ج 8 حديث رقم 21150 و 21190 ،

45 - الطبري في مقدمة تفسيره: حديث رقم 30 :حدثني يونس بن عبد الاعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني هشام بن سعد ، عن عبيدالله بن عمر ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن أبي بن كعب .

46 - الطبري في مقدمة تفسيره: حديث رقم 38 - حدثنا محمد بن مرزوق قال : حدثنا أبو معمر عبد الله بن عمرو بن أبي الحجاج ، قال : حدثنا عبد الوارث ، : قال حدثنا محمد بن جحادة ، عن الحكم بن عتيبة ، عن مجاهد ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن أبي بن كعب. وكذلك: حديث رقم 59 - حدثني به أبو

ويقول أيضا في حديث مشابه مع هذه النهاية " فأما حرف قرءوا عليه فقد أصابوا".⁴⁷ كما يقول في حديث آخر مختصر يذكر فيه (أحجار المراء)⁴⁸ بدل (أضاة بني غفار) ، ويتميز بشرح النبي لجبرئيل أسباب طلبه التخفيف في قراءة القرآن: " إني بعثت إلى أمة الأميين ، منهم الغلام والخادم والشيخ الفاني والعجوز " .⁴⁹

ويختصر حديث آخر الموضوع جدا بهذه العبارة : قال رسول الله (ص) : " أنزل القرآن على سبعة أحرف " .⁵⁰

حديث عبد الله بن مسعود (أحد أوائل كتاب الوحي)

كريب ، قال : حدثنا محمد بن فضيل ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن عبيدالله بن عيسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن أبيه ، عن جده ، عن أبي بن كعب .

47 - الطبري في مقدمة تفسيره: حديث رقم 29 - حدثنا محمد بن المثنى ، قال : حدثنا محمد بن جعفر ، قال : حدثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، عن ابن أبي ليلى ، عن أبي بن كعب . و رواه مسلم في صلاة المسافرين وقصرها حديث 274 . وأحمد في المسند ، ج 8 حديث 21230 راجع أيضا الطبري ، التفسير ، المقدمة ، حديث رقم 31

48 - أحجار المراء : موضع بقاء خارج المدينة . وذكر ابن الاثير في النهاية والفيروز أبادي في القاموس عن مجاهد أنها هي قباء . أما البكري في « معجم ما استعجم » فقد ذكر أنه موضع بمكة .

49 - الطبري في مقدمة تفسيره: حديث رقم 24 - حدثنا أبو كريب قال : حدثنا حسين بن علي ، وأبو أسامة ، عن زائدة ، عن عاصم ، عن زر ، عن أبي . ورواه الترمذي في القرآن باب 9 . وأحمد في المسند ، ج 8 حديث 21262

50 - الطبري في مقدمة تفسيره حديث رقم 23 - حدثنا محمد بن مرزوق ، قال : حدثنا أبو الوليد ، قال : حدثنا حماد بن سلمه ، عن حميد ، عن أنس بن مالك ، عن عبادة بن الصامت ، عن أبي بن كعب . ورواه الامام أحمد في المسند ، ج 8 حديث رقم 21149 هكذا مختصرا .

وقد أكد عبد الله بن مسعود، وهو مهاجر مكّي هذلي من أوائل الناس اسلامًا، ومن كتاب الوحي، حديث أبي بن كعب، قائلًا : إن رسول الله (ص) قال : " أمرت أن أقرأ القرآن على سبعة أحرف ، كل كاف شاف " . 51

وذكر عبد الله قصة قريبة من قصتي عمر وأبي، قائلًا: اختلف رجلان في سورة فقال هذا : أقرأني النبي (ص) وقال هذا : أقرأني النبي (ص) . فأتي النبي (ص) فأخبر بذلك قال : فتغير وجهه وعنده رجل فقال : " اقرءوا كما علمتم " - فلا أدري أبشئ أمر أم بشئ ابتدعه من قبل نفسه - " فإنما أهلك من كان قبلكم اختلفهم على أنبيائهم " . وقال : فقام كل رجل منا وهو لا يقرأ على قراءة صاحبه . 52

وفي رواية أخرى، نقل ابن مسعود نفس القصة تقريبًا ، مع بعض الاختلاف، فقال: تمارينا في سورة من القرآن ، فقلنا : خمس وثلاثون ، أو ست وثلاثون آية ، قال : فانطلقنا إلى رسول الله (ص) فوجدنا عليا يناجيه ، قال : فقلنا : إنا اختلفنا في القراءة ، قال : فاحمر وجه رسول الله (ص) ، وقال : " إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم بينهم " . قال : ثم أسر إلى علي شيئا ، فقال لنا علي : إن رسول الله (ص) يأمركم أن تقرؤوا كما علمتم . 53

وعندما حدثت فتنة الاختلاف في قراءة القرآن بين المسلمين، أكد عبد الله بن مسعود موضوع التعدد في

51 - الطبري في مقدمة تفسيره: حديث رقم 35 - حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، أخبرني سليمان بن بلال ، عن أبي عيسى بن عبد الله بن مسعود ، عن أبيه ، عن جده عبد الله بن مسعود

52 - الطبري في مقدمة تفسيره: حديث رقم 10 - حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء قال : حدثنا أبو بكر بن عياش قال : حدثنا عاصم عن زر عن عبد الله قال . ورواه من حديث عبد الله بن عمرو : الامام أحمد في المسند (ج 2 حديث رقم 6815) ومسلم في صحيحه ، كتاب العلم ، حديث رقم 2 ، ولفظه فيه : عن عبد الله بن عمرو قال : هجرت إلى رسول الله (ص) يوما ، قال : فسمع أصوات رجلين اختلفا في آية ، فخرج علينا رسول الله (ص) يعرف في وجهه الغضب ، فقال : " إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب " .

53 - الطبري في مقدمة تفسيره: حديث رقم 11 حدثنا سعيد بن يحيى بن سعيد الاموي ، قال : حدثنا أبي قال : حدثنا الاعمش . وحدثني أحمد بن منيع قال : حدثنا يحيى بن سعيد الاموي عن الاعمش عن عاصم عن زر بن حبيش ، قال : قال عبد الله بن مسعود:

القراءة وقال: قال رسول الله (ص): " أنزل القرآن على سبعة أحرف لكل حرف منها ظهر وبطن ولكل حرف حد ولكل حد مطلع " .54

ولما خرج من الكوفة ، اجتمع إليه أصحابه فودعهم ، ثم قال : لا تنازعوا في القرآن فإنه لا يختلف ولا يتلاشى ولا يتغير لكثرة الرد ، وإن شريعة الاسلام وحدوده وفرائضه فيه واحدة ، ولو كان شئ من الحرفين ينهى عن شئ يأمر به الآخر ، كان ذلك الاختلاف ، ولكنه جامع ذلك كله ، لا تختلف فيه الحدود ولا الفرائض ، ولا شئ من شرائع الاسلام ، ولقد رأيتنا نتنازع فيه عند رسول الله (ص) ، فيأمرنا فنقرأ عليه ، فيخبرنا أننا كلنا محسن ، ولو أعلم أحدا أعلم بما أنزل الله على رسوله مني لطلبت حتى أزداد علمه إلى علمي . ولقد قرأت من لسان رسول الله (ص) سبعين مرة ، وقد كنت علمت أنه يعرض عليه القرآن في كل رمضان ، حتى كان عام قبض ، فعرض عليه مرتين . فكان إذا فرغ أقرأ عليه ، فيخبرني أي محسن . فمن قرأ قرأتني فلا يدعنها رغبة عنها ، ومن قرأ على شئ من هذه الحروف فلا يدعنه رغبة عنه ، فإنه من جحد بأية جحد به كله . 55

54 - الطبري في مقدمة تفسيره: حديث رقم 9 وحدثنا محمد بن حميد الرازي قال : حدثنا جرير بن عبد الحميد عن مغيرة عن واصل بن حيان عن ذكره عن أبي الاحوص عن عبد الله بن مسعود . ومطلع الحديث " أنزل القرآن على سبعة أحرف " دون الزيادة التالية له هنا ، رواه البخاري في الخصومات وبدء الخلق وفضائل القرآن والاستتابة والتوحيد . ومسلم في المسافرين . وأبو داود في الوتر . والترمذي في القرآن . والنسائي في الافتتاح . ومالك في القرآن . وأحمد في مسنده في غير موضع . والحديث المذكور هنا رواه بتمامه السيوطي في الجامع الصغير (حديث رقم 2727) وعزاه للطبراني في المعجم الكبير .

الطبري: - حدثنا ابن حميد قال : حدثنا مهران قال : حدثنا سفيان عن إبراهيم الهجري عن أبي الاحوص عن عبد الله بن مسعود عن النبي (صلى الله عليه وسلم) مثله .

55 - الطبري في مقدمة تفسيره: حديث رقم 16 - حدثني يونس بن عبد الاعلى ، قال أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني هشام بن سعد ، عن علي بن أبي علي ، عن زيد (في نسخة زيد) ، عن علقمة النخعي ، قال . ورواه الامام أحمد في المسند مطولا ، وفيه : " إن القرآن لا يختلف ولا يستثن ولا يتفه لكثرة الرد " . انظر المسند ج 2 حديث 3845 وفي رواية أخرى قال عبد الله : من كفر بحرف من القرآن أو بأية منه فقد كفر به كله . الطبري في مقدمة تفسيره: حديث رقم 49 - حدثنا ابن حميد قال : حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، عن عبد الله . ورواه أحمد بأطول من هذا في المسند (ج 2 حديث 3845)

وقال عبد الله : إني قد سمعت القراء فوجدتهم متقاربين، فافرؤوا كما علمتم وإياكم والتنطع⁵⁶ فإنما هو كقول أحدكم " هلم وتعال " .⁵⁷ وقال: من قرأ منكم على حرف فلا يتحولن ، ولو أعلم أحدا أعلم مني بكتاب الله لأتيته.⁵⁸

قال عبد الله بن مسعود: ان القرآن أنزل على نبيكم من سبعة أبواب على سبعة أحرف (أو حروف) وان الكتاب قبلكم كان ينزل (أو نزل) من باب واحد على حرف واحد معناهما واحد.⁵⁹

حديث ابن عباس

وهناك أحاديث مشابهة عن عبد الله ابن عباس عن رسول الله ، (ص) ، قال : " أقرأني جبرئيل القرآن على حرف ، فاستزدته ، فزادني ، ثم استزدته فزادني ، حتى انتهى إلى سبعة أحرف". أو " أقرأني جبرئيل على حرف، فراجعتة ، فلم (أزل) أستزیده فيزيدني ، حتى انتهى إلى سبعة أحرف ".⁶⁰

56 - التنطع : المغالاة والتكلف ، يقال : تنطع في كلامه : تفصح فيه وتعمق ، وتنطع في شهواته : تأنق فيها وتشيع منها . (المعجم الوسيط : ص 930)

57 - الطبري في مقدمة تفسيره: حديث رقم 39 - حدثني أبو السائب سالم بن جنادة السوائي ، قال : حدثنا أبو معاوية ، وحدثنا محمد بن المثنى ، قال : حدثنا ابن أبي عدي ، عن شعبة ، جميعا عن الاعمش ، عن شقيق ، قال : قال عبد الله :

58 - الطبري في مقدمة تفسيره: حديث رقم 40 - وحدثنا محمد بن المثنى ، قال : حدثنا أبو داود ، قال : حدثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن سمع ابن مسعود ، يقول. وقال أيضا: وقال : من قرأ القرآن على حرف ، فلا يتحولن منه إلى غيره.

59 - السجستاني، أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث : كتاب المصاحف، ص 18

60 - الطبري في مقدمة تفسيره: حديث رقم 17 - حدثني يونس بن عبد الاعلى ، قال : أنبأنا ابن وهب ، قال : أخبرني يونس ، وحدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا رشدين بن سعد ، عن عقيل بن خالد ، جميعا عن ابن شهاب . قال : حدثني عبيدالله بن عبد الله بن عتبة ، أن ابن عباس حدثه . والطبري: حدثنا ابن

حديث أبي هريرة

وهناك حديث عن أبي هريرة عن رسول الله (ص) يقول فيه: " أنزل القرآن على سبعة أحرف عليم حكيم غفور رحيم ".⁶¹ و"إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فاقروا ولا حرج ، ولكن لا تحتّموا ذكر رحمة بعذاب ، ولا ذكر عذاب برحمة".⁶² وروى الطبري قريبا من هذا الحديث، بسنده عن عبد الرحمن بن أبي بكرة ، عن أبيه ، قال : قال رسول الله (ص) : " قال جبريل : اقرءوا القرآن على حرف، فقال ميكائيل : استزده ، فقال : على حرفين ، حتى بلغ ستة أو سبعة أحرف ، فقال : كلها شاف كاف ، ما لم يجتم آية عذاب برحمة ، أو آية رحمة بعذاب ، كقولك هلم وتعال". كما رواه أحمد بزيادة: " نحو قولك تعال وأقبل وهلم واذهب وأسرع وأعجل".⁶³

البرقي ، قال : حدثنا ابن أبي مریم ، قال : حدثنا نافع بن يزيد ، قال : حدثني عقيل بن خالد ، عن ابن شهاب ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس ، عن رسول الله (ص). ورواه البخاري في فضائل القرآن باب 5 ، وبدء الخلق باب 6 . ومسلم في صلاة المسافرين وقصرها حديث رقم 272 . والنسائي في الافتتاح باب 37 . وأحمد في المسند ، ج 1 حديث 2375 و 2717 و 2860

61 - الطبري وحدثني عبيد بن أسباط بن محمد قال : حدثنا أبي عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة، ورواه الامام أحمد في المسند ، ج 3 حديث 8398

62 - الطبري في مقدمة تفسيره: حديث رقم 37 - عمرو بن عثمان العثماني ، قال حدثنا ابن أبي أويس ، قال حدثنا أخي ، عن سليمان بن بلال ، عن محمد بن عجلان ، عن المقبري ، عن أبي هريرة . وقال ابن عبد البر في التمهيد: أما قوله في هذا الحديث قلت : سميعاً عليماً وغفوراً رحيماً وعليماً حكيماً ونحو ذلك؛ فإنما أراد به ضرب المثل للحروف التي نزل القرآن عليها أنها معان متفق مفهومها مختلف مسموعها، لا تكون في شيء منها معنى وضده، ولا وجه يخالف وجهاً خلافاً ينفيه أو يضاده، كالرحمة التي هي خلاف العذاب وضده وما أشبه ذلك .

63 - الطبري في مقدمة تفسيره: حديث رقم 32 - حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا زيد بن الحباب ، عن حماد بن سملة ، عن علي بن زيد ، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة ، عن أبيه ، قال : قال رسول الله . ورواه الامام أحمد في المسند (ج 7 حديث 20447) بشئ من الاختصار . ورواه أيضا بنحوه وفيه زيادة (ج 7 حديث 20537)

حديث أم أيوب

وروى الامام أحمد في مسنده، والطبري بسنده عن أم أيوب قالت أن النبي (ص) قال : " أنزل القرآن على سبعة أحرف ، أيها قرأت أصبت " . أو " أيها قرأت أجزأك " . 64

وروى الإمام أحمد والطبري حديثين متشابهين عن نزول القرآن على سبعة أحرف، مع إضافة تحذير النبي عن المرء في القرآن، فقد روى عن أبي جهم (جهيم) الانصاري : أن رجلين اختلفا في آية من القرآن ، فقال هذا : تلقيتها من رسول الله (ص) ، وقال الآخر : تلقيتها من رسول الله (ص) فسألا رسول الله (ص) عنها ، فقال رسول الله (ص) : " إن القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فلا تماروا في القرآن ، فان المرء فيه كفر " . 65 وروى أحمد في مسنده، عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ص) قَالَ: نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ، عَلَى أَيِّ حَرْفٍ قَرَأْتُمْ فَقَدْ أَصَبْتُمْ، فَلَا تَتَمَارَوْا فِيهِ فَإِنَّ الْمِرَاءَ فِيهِ كُفْرٌ. 66

وكما هو واضح فان بعض تلك الأحاديث التي تتحدث عن الأحرف السبعة تشي بأن القرآن نزل بالمعنى وليس في قالب نص واحد، ولذلك فقد كان النبي يتساهل حتى في كتابة القرآن ويقراه على كل صحابي بشكل معين، وان الاختلاف بين الصحابة لم يكن فقط من قلة حفظهم أو غلطهم في القرآن، وانما كان ذلك مقصودا من النبي نفسه أثناء استكتاب القراء كعبد الله بن مسعود وأبي بن كعب وغيرهم، وهو ما أدخل الشك على قلب أبي كما يقول " فسقط في نفسي من التكذيب ولا إذ كنت في الجاهلية". وعندما

64 - الطبري في مقدمة تفسيره: حديث رقم 18 - حدثني محمد بن عبد الله ابن أبي مخلد الواسطي ، ويونس بن عبد الاعلى الصديني ، قالا : حدثنا سفيان بن عيينة ، عن عبيدالله ، أخبره أبوه ، أن أم أيوب أخبرته . وحديث رقم 20، ورواه الامام أحمد في المسند (ج 10 حديث رقم 27513 و 27694)

65 - الطبري في مقدمة تفسيره: حديث رقم 33 - حدثني يونس بن عبد الاعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنا سليمان بن بلال ، عن يزيد بن خصيفة ، عن بشر بن سعيد ، أن أبا جهم (جهيم) الانصاري . ورواه الامام أحمد في المسند (ج 6 حديث 17550) وابن عبد البر ، التمهيد، 8 / 281

66 - الامام أحمد بن حنبل، المسند، مسند الشاميين (5/ 232)

قال النبي (ص): "كلكم محسن مجمل" ردَّ عليه قائلاً: "ما كلنا أحسن ولا أجمل". ولكنه عاد فاستقر إيمانه. كما أدخل الشك أيضاً في قلب عمر ، فـضرب النبي صدره، وقال ثلاثاً: "ابعد شيطاناً".⁶⁷

فتنة عبد الله بن أبي سرح العامري

وإذا كان عمر بن الخطاب، وأبي بن كعب، وهما الصحابيَّان الجليلان، قد اهتز إيمانهما قليلاً بسبب الاختلاف في قراءة القرآن، فإن صحابياً آخر هو كاتب الوحي المهاجر عبد الله بن أبي سرح العامري لم يستوعب فكرة تعدد الأحرف، ولا نزول القرآن بالمعنى، فارتد عن الإسلام بعد أن كان قد حفظ سورة البقرة وآل عمران، وعاش مع النبي حتى سنواته الأخيرة في المدينة ، وعاد قبيل الفتح إلى مكة ليقول للمشركين: "أوحى إلي كما يوحى إلى محمد". ويقول: كنت أصرف محمداً حيث أريد. كان يملي عليّ (عزيز حكيم) فأكتب (عليم حكيم) فيقول نعم كلُّ سواء. وفي لفظ آخر: كان يقول أكتب كذا، فأقول أكتب فيقول أكتب كيف شئت. وما يدري محمد ما يقول، اني لأكتب له ما شئت، هذا الذي كتبت يوحى إلي كما يوحى إليه.⁶⁸

وكانت القشة التي قصمت ظهر البعير: أن عبد الله بن أبي سرح كان يكتب لرسول الله (ص) فلما نزلت "ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين" فلما بلغ قوله "ثم أنشأناه خلقاً آخر"، قال عبد الله تعجباً من تفصيل خلق الإنسان (تبارك الله أحسن الخالقين). فقال عليه الصلاة والسلام: أكتبها فكذلك نزلت. فشك عبد الله وقال: لئن كان محمد صادقاً، لقد أوحى إليّ كما أوحى إليه، ولئن كان كاذباً لقد قلتُ كما قال.⁶⁹

⁶⁷ - الطبري في مقدمة تفسيره: حديث رقم 14 - حدثني أحمد بن منصور ، قال : حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، قال : حدثنا حرب بن أبي ثابت من بني سليم ، قال : حدثنا إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ، عن أبيه ، عن جده ، قال . ورواه الامام أحمد في المسند ، ج 5 رقم 16366

⁶⁸ - راجع السيرة النبوية لابن اسحاق وتفسير الطبري، وتفسير القرطبي، وفتح القدير للشوكاني، وتفسير الزمخشري، وتفسير الرازي ، والدر المنثور لجلال الدين السيوطي ، والبداية والنهاية لابن كثير، وكذلك المصادر الشيعية كتفسير القمي وتفسير العياشي، والكافي، ومجمع البيان للطبرسي، وتفسير الميزان للطباطبائي. وهم يروون عن الباقر والصادق نفس الرواية.

⁶⁹ - البيضاوي في تفسيره. وروى عن ابن أبي نُجَيْح قال: كان (عبد الله) يكتب لرسول الله الوحي؛ فارتد مشركاً راجعاً إلى قريش، فقال: والله إني لأصرفه حيث أريد، إنه ليملي عليّ فأقول: أو كذا أو كذا؟ فيقول: نعم، وذلك أن رسول الله كان يملي عليه فيقول: "عزيز حكيم" أو "حكيم عليهم"، فكان يكتبها على أحد الحرفين، فيقول: "كلُّ صواب".

وكما هو معروف فقد أهدر رسول الله (ص) دمه يوم الفتح وكان واحدا ممن قال عنهم : "اقتلوهم وان وجدتموهم تحت أستار الكعبة" فلما كان يومئذ جاء ابن أبي سرح إلى عثمان بن عفان، وكان أخاه من الرضاعة، فتوسط له لدى النبي وعفى عنه، في قصة مفصلة.

وقد روى ابن أبي داود السجستاني في (كتاب المصاحف) والبخاري ومسلم وأحمد وآخرون قصة عبد الله بن أبي سرح، ولكنهم لم يذكروا اسمه، ورووا عن أنس بن مالك: أن رجلا كان يكتب لرسول الله (ص) فكان إذا أملى عليه (سميعا بصيرا)، كتب: (سميعا عليما)، وإذا أملى عليه (سميعا عليما) كتب (سميعا بصيرا). وكان قد قرأ البقرة وآل عمران، وكان من قرأهما قرأ قرآنا كثيرا، فتنصر الرجل وقال: إنما كنت أكتب ما شئت عند محمد. 70

كما أشار الطبري الى قصة "الرجل" الذي افتتن، وذكره الله تعالى بقوله: " **إنما يعلمه بشر** ". (النحل ، 103) وقال: أنه كان يكتب الوحي ، فكان يملي عليه رسول الله (ص) : " **سميع عليم** " ، أو " **عزيز حكيم** " ، أو غير ذلك من خواتم الآي ، ثم يشتغل عنه رسول الله (ص) وهو على الوحي ، فيستفهم رسول الله

70 - السجستاني، أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث (ت : 316 هـ) : كتاب المصاحف، ص 3 تحقيق : آرثر جفري ، المطبعة الرحمانية ، القاهرة ، 1936 م ، والبخاري في الصحيح، المناقب، علامات النبوة في الاسلام، وابن حجر، فتح الباري، ج10 ص 418 ورواه مسلم من حديث سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس، والإمام أحمد وغيره من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس، والمتقي الهندي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، حرف الهمزة (58 من 651) حديث رقم 4042 و 4043 و 4044

وقد رد القاضي عياض الرواية من أساسها وقال: "اعلم - ثبتنا الله وإياك على الحق، ولا جعل للشيطان وتليسه الحق بالباطل إلينا سبيلا - أن مثل هذه الحكاية لا تقبل، ولا توقع في قلب مؤمن ريبا، إذ هي حكاية عمن ارتد وكفر بالله، ونحن لا نقبل خبر المسلم المتهم فكيف بكافر افتري هو ومثله على الله ورسوله ما هو أعظم من هذا؟ والعجب لسليم العقل يشغل بمثل هذه الحكاية سره، وقد صدرت من عدو كافر مبغض للدين مفتر على الله ورسوله، ولم ترد عن أحد من المسلمين، ولا ذكر أحد من الصحابة أنه شاهد ما قاله وافتراه على نبي الله، وإنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون.(القاضي عياض ، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ص 104 - مكتبة الصفا) وقد رجح الشيخ ابن تيمية صحة هذه الرواية، وقال : قد قال من ذهب إلى القول الأول : (أعل البزار حديث ثابت عن انس قال : رواه عنه و لم يتابع عليه ورواه حميد عن أنس، و أظن حميدا إنما سمعه من ثابت. قالوا : ثم أن أنسا لم يذكر أنه سمع النبي صلى الله عليه و سلم أو شاهده، يقول ذلك ولعله حكى ما سمع) وفي هذا الكلام تكلف ظاهر والذي ذكرناه في حديث أبن إسحاق والواقدي وغيرهما موافق لظاهر هذه الرواية، وكذلك ذكر طائفة من أهل التفسير وقد جاءت آثار فيها بيان صفة الحال على هذا القول؟؟؟؟؟

(ص) ، فيقول : أعزير حكيم ، أو سميع عليم ، أو عزيز عليم ؟ فيقول له رسول الله (ص) : "أي ذلك كتبت ، فهو كذلك " . ففتنه ذلك ، فقال : إن محمدا وكل ذلك إلي ، فأكتب ما شئت. ⁷¹

72

ولا يوجد في التاريخ ذكر لكاتب وحي ارتد غير عبد الله بن أبي سرح، ولو كان لبان، ولا اعرف السر في عدم التصريح باسمه مع انه يفترض أنه كان معروفا ، ولذلك احتمل ان يكون الرواة قد اجموا الاسم لغاية في أنفسهم، مع ان القصة واحدة والرجل واحد. ربما لم يشأ بعضهم التصريح باسمه بعد أن تاب وعاد الى الاسلام وأصبح واليا على العراق ومصر في عهد عثمان.

71 - الطبري في مقدمة تفسيره: حديث رقم 48 - حدثنا يونس بن عبد الاعلى ، قال : أنبأنا ابن وهب، قال : حدثنا يونس ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرني سعيد بن المسيب . ولعله كان يشير الى قصة كاتب الوحي المرتد عبد الله بن أبي سرح العامري.

72 - " عبد الله بن سعد بن أبي سرح بن الحارث بن حبيب بن جذيمة، أبو يحيى القرشي العامري. أسلم قبل الفتح وهاجر وكان يكتب الوحي لرسول الله (ص) ثم ارتدّ منصرفاً وصار إلى قريش بمكة" (الوافي بالوفيات للصفدي 2394). فلماذا ارتدّ الرجل، وهو الذي أسلم وهاجر؟ كما لاحظنا، كان عبد الله من كتبة الوحي؛ وهذا سبب ارتداده. يقول القرطبي في تفسيره: "وسبب ذلك فيما ذكر المفسرون أنه لما نزلت الآية التي في «المؤمنون»: "ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين" (المؤمنون:12) دعاه النبي (ص) فأملاها عليه؛ فلما انتهى إلى قوله "ثم أنشأناه خلقا آخر" (المؤمنون: 14) عجب عبد الله في تفصيل خلق الإنسان؛ فقال: "تبارك الله أحسن الخالقين" (المؤمنون: 14). فقال رسول الله (ص) : "وهكذا أنزلت عليّ"; فشك عبد الله حينئذ؛ وقال: لئن كان محمد صادقاً لقد أوحى إليّ كما أوحى إليه، ولئن كان كاذباً لقد قلت كما قال. فارتدّ عن الإسلام ولحق بالمشركين، فذلك قوله: "ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله" رواه الكلبي عن ابن عباس " (1341). ويقول الصفدي في الوافي نقلاً عن ابن أبي سرح: "إني كنت أصرف محمداً حيث أريد - كان يملي عليّ عزيز حكيم؛ فأقول: أو عليم حكيم؟! فيقول: كلُّ صواب" (2394). ويختصرها أبو الفداء بقوله: "وكان عبد الله المذكور قد أسلم قبل الفتح، وكتب الوحي، فكان يبذل القرآن، ثم ارتدّ". (السابق). وفي العقد الفريد: "كان عبد الله بن سعد بن أبي سرح يكتب له، ثم ارتدّ ولحق بالمُشركين، وقال: إن محمداً يكتب بما شئت" (537). لذلك، حين دخل محمد مكة بعد انتصاره على قريش، كان ابن أبي سرح أحد أربعة أمر محمد بقتلهم "صباية ولو وجدوا تحت أستار الكعبة، ففرّ عبد الله بن سعد إلى عثمان - وكان أخاه من الرضاة، أرضعته أم عثمان - فغيبه عثمان حتى أتى به رسول الله (ص) بعدما اطمأن أهل مكة فأستأمنه له، فصمت رسول الله (ص) طويلاً؛ ثم قال: نعم! فلما انصرف عثمان قال رسول الله (ص) لمن حوله: ما صمتُ إلا ليقوم إليّ بعضكم فيضرب عنقه! فقال رجل من الأنصار: فهلا أومات إلي يا رسول الله؟" (الوافي). فقال النبي: "إن الأنبياء لا تكون لهم خانة الأعين" (مختصر أبي الفداء

وبغض النظر عن تفاصيل قصة عبد الله بن أبي سرح وارتداده عن الاسلام، فان القصة تؤكد تسامح النبي في القراءات والألفاظ والتكرير على المعنى ، وهو ما كان يسمح بتعدد الأحرف في قراءة القرآن.

الاجماع على الأحرف السبعة

وقد روى الطبري روايات أخرى عن الصحابة والتابعين والمحدثين والفقهاء تؤكد قراءتهم للقرآن على سبعة أوجه، فقد روى عن أنس أنه قرأ هذه الآية : " إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأصوب قبلا " (الزمر 6) فقال القوم : يا أبا حمزة ، إنما هي (وأقوم) . فقال : أقوم وأصوب وأهدى واحد .⁷³ وروى عن عبد الله ابن مسعود أنه كان يقرأ الآيتين من سورة يس "إن كانت إلا صيحة واحدة..." (يس 29 و 53) : "إن كانت إلا زقية واحدة" .⁷⁴ وفي البخاري ومسلم قال الزهري: إنما هذه الأحرف في الأمر الواحد، ليس يختلف في حلال ولا حرام. على نحو: هلم وتعال وأقبل، واذهب وأسرع وعجل. وروى ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس عن أبي بن كعب: أنه كان يقرأ (للذين آمنوا انظرونا) (للذين آمنوا أمهلونا) (للذين آمنوا آخرونا) (للذين آمنوا ارقبونا). وبهذا الإسناد عن أبي: أنه كان يقرأ (كلما أضاء لهم مشوا فيه): (مروا فيه) (سعوا فيه). وقال القرطبي : الذي عليه أكثر أهل العلم، كسفيان بن عيينة وعبد الله بن وهب والطبري والطحاوي وغيرهم أن المراد: سبعة أوجه في المعاني المتقاربة بألفاظ مختلفة؛ نحو: أقبل وتعال وهلم.⁷⁵

وروى الطبري عن مجاهد أنه كان يقرأ القرآن على خمسة أحرف.⁷⁶ وأن سعيد بن جبير كان يقرأ القرآن

73 - الطبري في مقدمة تفسيره: حديث رقم 42 - حدثنا يحيى بن داود الواسطي ، قال : حدثنا أبو أسامة ، عن الاعمش ، قال .

74 - الطبري في مقدمة تفسيره: حديث رقم 46 - وحدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا ابن عليّة ، قال : حدثنا أيوب ، عن محمد ، قال...

75 - (تفسير القرطبي) 1 / 42

76 - الطبري في مقدمة تفسيره: حديث رقم 43 - وحدثني محمد بن حميد الرازي ، قال : حدثنا

على حرفين . 77 أو ثلاثة أحرف. 78 ونقل عن شعيب قوله: كان أبو العالية إذا قرأ عنده رجل لم يقل "ليس كما يُقرأ" وإنما يقول: "أما أنا فأقرأ كذا وكذا". قال: فذكرت ذلك لابراهيم النخعي، فقال: أرى صاحبك قد سمع أن من كفر بحرف منه فقد كفر به كله. 79 وهو ما يؤكد احترام الصحابة والتابعين وتابعيهم للتعدد في قراءة القرآن على سبعة أحرف. وقال القاضي أبو بكر الباقلاني: "الصحيح أن هذه الأحرف السبعة ظهرت واستفاضت عن رسول الله (ص) وضبطها عنه الأئمة، وأثبتها عثمان والصحابة في المصحف، وأخبروا بصحتها، وإنما حذفوا منها ما لم يثبت متواتراً". 80

وقد بلغ حديث (الأحرف السبعة) درجة عالية من الشهرة بلغت حد التواتر، كما يقول الدكتور صبحي الصالح: "يبدو أن حديث نزول القرآن على سبعة أحرف مروى عن جمع كبير من الصحابة يتعذر احصاؤه، ففي مسند الحافظ أبي يعلى أن عثمان رضي الله عنه قال يوماً وهو على المنبر: "أذكر الله رجلاً سمع النبي

حكاهم ، عن عنيسة ، عن ليث.

77 - الطبري في مقدمة تفسيره: حديث رقم 44 - وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا حكام ، عن عنيسة ، عن سالم.

78 - الطبري في مقدمة تفسيره: حديث رقم 45 - وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا جرير ، عن مغيرة ، قال : كان يزيد بن الوليد يقرأ القرآن على ثلاثة أحرف. يقول المعلق: جاءت هذه الفقرة في بعض النسخ هكذا : حدثنا ابن حميد قال : حدثنا حكام ، عن مغيرة قال : حدثنا يزيد بن الوليد أنه كان يقرأ القرآن على ثلاثة أحرف . ومنها يفهم أن المتحدث عنه ، وهو سعيد بن جبير المذكور في الفقرة السابقة ، هو الذي كان يقرأ على ثلاثة أحرف . وهذا هو الاقرب إلى الصواب ، ويعكس ما يفهم مما هنا ، والفقرة الآتية تؤيد رأينا . (راجع تراجم سعيد بن جبير ويزيد بن القعقاع ويزيد بن رومان في كتاب طبقات القراء).

79 - الطبري في مقدمة تفسيره: حديث رقم 47 - وحدثني يعقوب ، قال : حدثنا ابن علية ، قال : حدثنا شعيب - يعني ابن الحبحاب - قال .

80 - الصالح، صبحي 1958 مباحث في علوم القرآن، ص 102

(ص) قال: " ان القرآن أنزل على سبعة أحرف كلها شاف كاف" لما قام. فقاموا حتى لم يحصوا فشاهدوا بذلك، فقال عثمان رضي الله عنه: " وأنا أشهد معهم".⁸¹ وتوافق هذه الجموع التي لم تحصى عددا على هذا الموضوع، حمل بعض الأئمة على القول بتواتر الحديث، وفي طليعة هؤلاء أبو عبيد القاسم بن سلام...⁸²

لا شك اذن بوجود أحرف متعددة للقرآن الكريم، وإذا كان البعض قد رفض هذه النظرية فان بعضا آخر قد توسع في تفسير معنى رقم (7) ليقول بأنه يدل على الكثرة وليس على الحصر في سبعة، حسب العادة العربية في اطلاق السبعة والسبعين والسبعمئة على الكثرة. وهو ما ذهب اليه القاضي عياض ؟؟؟؟، وهو ما قد يفهم من قول ابن الجزري: " وأما سبب وروده على سبعة أحرف فللتخفيف على هذه الأمة، وإرادة اليسر بها، والتهوين عليها شرفا بها، وتوسعة ورحمة وخصوصية لفضلها، وإجابة لقصد نبيها".⁸³ (في النشر في القراءات العشر؟؟؟؟) كما قال المستشرق (بلاشير) بأن الأحرف السبعة أو القراءة بالمعنى كانت مفتوحة

⁸¹ - الصالح، صبحي 1958 مباحث في علوم القرآن، ص 101 عن (الاتقان للسيوطي 78/1) . ورواه ابن قتيبة في (تأويل مشكل القرآن) ص 29 وأخرجه بهذا اللفظ "نزل القرآن على سبعة أحرف، كلها شاف كاف، فاقروا كيف شئتم" كل من أحمد في المسند 300/2 ، والهيثمي في مجمع الزوائد 7 / 151 والسيوطي في الدر المنثور 6/2 والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد 26/11 والربيع بن حبيب في مسنده 8/1 وابن أبي شيبة في مصنفه 516/10 والألباني في السلسلة الصحيحة 1532 . وأخرجه بلفظ "أنزل القرآن على سبعة أحرف" كل من النسائي في الفتح باب 26، وأحمد في المسند 232/2 ، والهيثمي في مجمع الزوائد 150/7 ، وابن حجر في المطالب العالية 3489 والبخاري في التاريخ الكبير 262/7 وابن كثير في تفسيره 9/2 والسيوطي في الدر المنثور 7/2، والشجري في الأمالي 113/1، والطبراني في المعجم الكبير 185/3، والهيثمي في موارد الضمان 1779، والتبريزي في مشاة المصابيح 238، والطحاوي في مشكل الآثار 172/4، والسيوطي في جمع الجوامع 4534، والمتقي الهندي في كنز العمال 3083، وأبو نعيم في تاريخ اصفهان 213/1، والعجلوني في كشف الخفا 241/1، وابن عدي في الكامل في الضعفاء 679/2، وابن عبد البر في التمهيد 278/4 ، كما يقول ابراهيم شمس الدين، في حاشية كتاب (تأويل مشكل القرآن) لابن قتيبة، ص 29، طبع دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثانية 2007

⁸² - الصالح، صبحي 1958 مباحث في علوم القرآن، ص 102

⁸³ - الصالح، صبحي 1958 مباحث في علوم القرآن، ص 115

بلا حدود أو "أنها أسلمت النص القرآني الى هوى كل شخص، يثبتته على ما يهواه".⁸⁴ ؟؟؟؟؟؟ وربما يفهم أيضا من قول النبي لعمر " يا عمر ، إن القرآن كله صواب ، ما لم تجعل رحمة عذابا، أو عذابا رحمة " 85 " أن الأمر موكول للناس لكي يقرأوا القرآن كما يشاءون، أو على الأقل ان ذلك موكول الى النبي، كما يفهم من حديث أبيّ "إن الملكين أتياي ، فقال أحدهما : اقرأ القرآن على حرف ، وقال الآخر : زده . قال : فقلت زدني . قال : اقرأه على حرفين ، حتى بلغ سبعة أحرف ، فقال اقرأ على سبعة أحرف".⁸⁶ الا أن الحديث الذي يقول "أنزل القرآن على سبعة أحرف" يدل على نزوله بالنص على سبعة أحرف، ولا يحق لأي إنسان أن يقرأه كما يشتهي على هواه بالمعنى.

وقد أنكر ابن الجزري في "النشر" القراءة بالمعنى فقال: "أما من يقول بأن بعض الصحابة كابن مسعود، كان يجيز القراءة بالمعنى فقد كذب عليه، أما قال: نظرت القراء فوجدتهم متقاربين فاقروا كما علمتم" انظر محاسن التأويل للقاسمي 290/1 . 87 ؟؟؟؟؟؟؟

ورفض السيوطي التوسع في قراءة القرآن بالمعنى.⁸⁸ ؟؟؟؟؟؟ (الاتقان في علوم القرآن 212/1)

كما رفض الدكتور صبحي الصالح هذا الرأي بشدة واتهم الذين يذهبون اليه بعدم المبالاة بالنصوص واخراجها عن ظاهرها وبالتسرع في الرأي. وقال: قد أخطأ من ظن أن النبي كان يضيفي الشرعية (القرآنية)

84 - الصالح، صبحي 1958 مباحث في علوم القرآن، ص 107

85 - الطبري ، مقدمة التفسير: حديث رقم 14 والامام أحمد ، المسند ، ج 5 رقم 16366

86 - الطبري ، مقدمة التفسير: حديث رقم 21 وأحمد ، المسند ، ج 8 حديث رقم 21210 .

87 - انظر مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد عبد العظيم الزرقاني، ج 1 ص 148 - 160 ففيه يعرض لآراء هؤلاء العلماء الكبار الثلاثة (ابن قتيبة، وابي الخير بن الجزري والقاضي أبي بكر بن الطيب الباقلائي)، ثم يقارنها برأي أبي الفضل الرازي ويرجحها ويختاره. وابن الجزري في (النشر في القراءات العشر 26/1 - 28) يفضل رأيه ثم رأي ابي الفضل الرازي وابن قتيبة، وعنه أخذ الزرقاني من غير عزو اليه. الصالح، صبحي 1958 مباحث في علوم القرآن، هامش ص 116

88 - (الاتقان 212/1). الصالح، صبحي 1958 مباحث في علوم القرآن، ص 103 - 104

على كل من ينقل القرآن بالمعنى ويقراه كيفما يشاء، إذ هناك فرق كبير بين نزول القرآن على سبعة أحرف وبين السماح لكل انسان بأن يقرأ القرآن على هواه. 89

ما هو الذكر الذي تعهد الله بحفظه في هذه الآية "إنا نحن نزلنا الذكر، وإنا له لحافظون" (الحجر:9)؟ هل هو النص؟ أم المضمون الذي يحتوي على ما يذكر الناس بالله تعالى؟

يقول محمد حسين الطباطبائي في تفسير (الميزان): "من أجمع الأوصاف التي يذكرها القرآن لنفسه أنه ذكر لله فإنه يذكر به تعالى بما أنه آية دالة عليه حية خالدة... ففي جميع ذلك ذكر الله، وهو الذي يرومه القرآن بإطلاق القول بأنه ذكر، ونجد ما بأيدينا من القرآن لا يفقد شيئاً من معنى الذكر. و لكون الذكر من أجمع الصفات في الدلالة على شئون القرآن عبر عنه بالذكر في الآيات التي أخبر فيها عن حفظه القرآن عن البطلان والتغيير والتحريف كقوله تعالى: "إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه تنزيل من حكيم حميد" (حم السجدة: 42)، فذكر تعالى أن القرآن من حيث هو ذكر لا يغلبه باطل ولا يدخل فيه حالا ولا في مستقبل الزمان لا بإبطال ولا بنسخ ولا بتغيير أو تحريف يوجب زوال ذكرته عنه. وكقوله تعالى "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون". (الحجر: 9) فقد أطلق الذكر وأطلق الحفظ فالقرآن محفوظ بحفظ الله عن كل زيادة ونقصية وتغيير في اللفظ أو في الترتيب يزيله عن الذكورية ويبطل كونه ذكراً لله سبحانه بوجه". الطباطبائي، الميزان، تفسير آية "إنا نحن نزلنا الذكر". (الحجر 9)

ولكن باحثاً مصرياً أزهرياً هو (نهر عبد الصبور طنطاوي) ذهب الى أبعد من ذلك ورفض أن تكون كلمة (الذكر) مرادفة للقرآن أو الكتاب، وقال (باختصار شديد منا): "إن الحق سبحانه تكفل بحفظ (الدُّكْر) فقط وليس حفظ القرآن وليس حفظ الكتاب...الذكر ليس هو القرآن وليس هو الكتاب..ولا يمكننا القول أن الذكر المحفوظ هو الكلمات والحروف المخطوطة في كتاب المصحف الكريم أي: ليس هو الصياغة اللسانية أو الصياغة اللغوية لكتاب القرآن الكريم...لم يتكفل الله سبحانه بحفظ (كلمات وحروف) كتاب (القرآن الكريم) كما يظن كافة المسلمين، لماذا؟، لأن الله لم يقل: (إنا نحن نزلنا الكتاب وإنا له لحافظون). وإنما قال: (إن نحن نزلنا الذكر وإن له لحافظون). و(الدُّكْر) قطعاً ليس هو (كلمات وحروف) كتاب

(القرءان الكرىم)، إذ لو قلنا أن الله قد تكفل بحفظ الكتاب الذي هو (كلمات وحروف) القرءان الكرىم، لأصبح هذا الحفظ حفظاً إلهياً مطلقاً وفيه تحدٍ وتعجيز لأي مخلوق ولأي شيء في هذا الكون أن يبدل فيه أو يغير حرفاً واحداً سواء بالزيادة أو بالنقصان، ولانتفى حتماً وقطعاً وجود أي تغيير أو تبديل لا بالزيادة ولا بالنقصان في حرف واحد منه لا في داخل الكتاب ولا في خارجه على الإطلاق.. والقرءان الكرىم له أكثر من عشرين رواية، عشر قراءات متواترة، رواها عشرون راويًا عن أصحابها الأصليين العشرة، وله روايات كثيرة أخرى شاذة غير معترف بها " .⁹⁰ ثم استنتج: " وعليه ف (الذكر) الذي تكفل الله بحفظه ليس هو ذات كتاب (القرءان الكرىم) بحروفه وكلماته، وإنما هو الهيئة والصور الذهنية والنفسية والقلبية لمعاني ودلائل وبراهين وحقائق وعلوم وأخبار وأنباء موضوعات كتاب (القرءان الكرىم) المستمدة من الوجود الموضوعي الحقيقي المادي لها في هذا الكون منذ مبدأه لمنتهاه، وإن حدث اختلاف أو زيادة أو نقصان أو تغيير أو تبديل في نصوص الكتاب الكرىم التي هي الحروف والكلمات، يكون الذكر المحفوظ الذي هو الجمع بين الهيئة والصور الذهنية والنفسية والقلبية لمعاني ودلائل وبراهين وحقائق وعلوم وأخبار وأنباء موضوعات كتاب (القرءان الكرىم) وبين الوجود الموضوعي الحقيقي المادي لها في هذا الكون والتي أشارت لها نصوص الكتاب الكرىم هي التي تصوب الحروف والكلمات في الكتاب المخطوط الذي بين أيدينا إن وجد فيه اختلاف أو تعدد بالزيادة أو بالنقصان".⁹¹

فمعنى (الذكر) إذن أعم من اللفظ، أو من النسخة النهائية من القرآن، وقد أشار القرآن الكرىم الى إطلاق اسم (الذكر) من قبل الكفار في مكة على القرآن، كما في هذه الآية: "وقالوا: يا أيها الذي نُزِّل عليه الذكر إنك لمجنون". (الحجر:6) كما اطلق القرآن اسم (الذكر) في هذه الآية "وما أرسلنا من قبلك الا رجالاً، فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون". (الأنبياء:7، والنحل:43) على التوراة والانجيل، رغم تأكيد القرآن على وقوع التحريف فيها وعدم الاحتفاظ بنسخة واحدة مضبوطة منها، وذلك في إشارة الى مضمونها وجوهرها.

90 - طنطاوي، نهر عبد الصبور، السنة ماها وما عليها: الفصل الرابع عشر: هل حفظ الله كتاب القرآن الكرىم؟، موقع الحوار المتدين العدد 4023 بتاريخ 2013/3/6 محور العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني.

وفي تفسير الطبري ومسند أحمد، قالا ما موجزه: لما خرج ابن مسعود من الكوفة، اجتمع إليه أصحابه فودّعهم، ثم قال: لانتازعوا في القرآن، فإنه لا يختلف... وإنّ شريعة الاسلام وحدوده وفرائضه فيه واحدة، ولو كان شيء من الحرفين ينهى عن شيء يأمر به الآخر كان ذلك الاختلاف... ولقد رأيتنا نتنازع فيه عند رسول الله (ص) فيأمرنا، فنقرأ عليه، فيخبرنا أنّ كلانا محسن... ولقد قرأت من لسان رسول الله (ص) سبعين سورة. وكان يعرض عليه القرآن في كلّ رمضان. وعرض عليه في عام قبض مرتين، فكان إذا فرغ أقرأ عليه، فيخبرني أيّ محسن، فمن قرأ على قراءتي فلا يدعنها رغبة عنها، ومن قرأ شيئاً من هذه الحروف فلا يدعنه رغبة عنه، فمن جحد بآية جحد به كآية (28).⁹²

4 - الباب الأول: القرآن في ظل الرسول.

الفصل الثالث: ما هي مبررات نزول القرآن على سبعة أحرف؟ وهل كانت القراءة بما اضطرارية ومؤقتة؟ أم أصيلة وثابتة؟

93

العوامل المختلفة لنزول القرآن على سبعة أحرف

يمكننا أن نتصور سبب نزول القرآن على سبعة أحرف، أو سماح النبي بقراءته بتلك الأحرف المختلفة ببعض الظروف المحيطة بنزول القرآن وانتشاره، ومنها اختلاف اللهجات العربية، وصعوبة الحفظ، ومشكلة الكتابة سواء بسبب طفولة الحرف العربي وقت نزول القرآن، وعدم وجود نقاط أو حركات، أو ضعف الإملاء، أو ندرة وسائل الكتابة من ورق وأحبار وأقلام، أو عدم نزول القرآن مرة واحدة، وإنما منجماً، وقيام النبي بوضع

_ 92

_ 93

المقاطع الجديدة هنا وهناك في أواسط أو أواخر السور، وعدم معرفة جميع المسلمين في كل مكان بنزول كل الآيات أو معرفة مواقعها من القرآن، فضلا عن الناسخ والمنسوخ منها.

ومن هنا فقد سمح النبي بقراءة القرآن على سبعة أحرف، وقال لكل قارئ: "هكذا نزلت" رغم وجود الاختلاف بين القراء، في الوقت الذي كان بإمكانه أن يصبو واحدا ويخطئ الآخرين ويلزمهم باتباع قراءة واحدة. وليس ذلك من النبي الا بسبب التخفيف على الأمة، كما يقول ابن الجزري: "وأما سبب وروده على سبعة أحرف فللتخفيف على هذه الأمة، وإرادة اليسر بها، والتهوين عليها شرفا بها، وتوسعة ورحمة وخصوصية لفضلها، وإجابة لقصد نبيها".⁹⁴

2 - العامل اللغوي:

وربما كان الاختلاف اللغوي بين القبائل العربية أول سبب للسماح لكل قبيلة بتلاوة القرآن على أحرف سبعة، وهو ما ذهب اليه ابن قتيبة في (تأويل مشكل القرآن) عندما قال: "... كان من تيسيره أن أمره بأن يقرئ كل قوم بلغتهم وما جرت عليه عادتهم، فالهذلي يقرأ "عتى حين" يريد "حتى حين" (المؤمنون 54) لأنه هكذا يلفظ بها ويستعملها، والأسدي يقرأ: "تعلمون وتعلم و"تسود وجوه" آل (عمران 106) و"ألم. إعهد اليكم" (يس 60)، والتميمي يهمز والقرشي لا يهمز (مثل: مؤمن ومومن، وكفوا وكفؤا)... ولو أن كل فريق من هؤلاء، أمر أن يزول عن لغته وما جرى عليه اعتياده طفلا وناشئا وكهلا، لاشتد ذلك عليه، وعظمت المحنة فيه... فأراد الله برحمته ولطفه أن يجعل لهم متسعا في اللغات ومتصرفا في الحركات".⁹⁵

⁹⁴ - الصالح، صبحي 1958 مباحث في علوم القرآن، ص 115

⁹⁵ - ابن قتيبة الدينوري (276 هـ) : تأويل مشكل القرآن، ص 32، تحقيق وتعليق ابراهيم شمس الدين، 2007

دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 2

وقد روى الطبري عن ابن عباس ، قال : نزل القرآن بلسان قريش ، ولسان خزاعة ، وذلك أن الدار واحدة .⁹⁶ كما روى عن أبي الاسود الدؤلي ، قال : نزل القرآن بلسان الكعبين : كعب بن عمرو ، وكعب بن لؤي . فقال خالد بن سملة لسعد بن إبراهيم : ألا تعجب من هذا الأعمى يزعم أن القرآن نزل بلسان الكعبين ، وإنما نزل بلسان قريش ! . قال أبو جعفر : والعجز من هوازن : سعد بن بكر ، وجشم بن بكر ، ونصر بن معاوية ، وثقيف .⁹⁷

وقد رفض ابن قتيبة عددا من تأويلات حديث (السبعة أحرف) وقال: "إنما تأويل قوله (ص): (نزل القرآن على سبعة أحرف) على سبعة أوجه من اللغات متفرقة في القرآن، يدلك على ذلك قول رسول الله (ص): "فاقرؤوا كيف شئتم".⁹⁸ ولكن لا يمكن حصر تأويل الاختلاف بين الحروف السبعة في الاختلاف اللغوي بين القبائل العربية، وإنما توجد عوامل أخرى.⁹⁹

2 - صعوبة الحفظ

ويمكن لصعوبة الحفظ أن تشكل عاملا ثانيا للسماح بتعدد القراءات للقرآن، وخصوصا حفظ السور الطوال التي نزلت في أواخر العهد المكي والعهد المدني، وهو ما يكشف عن سبب صدور حديث (السبعة أحرف) من النبي في المدينة، بعد اختلاف الصحابة في قراءة السور الطوال كالدخان والفرقان (في حديث عمر). وهو ما يشير إليه النبي الأكرم في حديثه (عن أبي بن كعب): " إني بعثت إلى أمة الأميين ، منهم الغلام والخادم

⁹⁶ - الطبري في مقدمة تفسيره: حديث رقم 55 - حدثني بذلك أصحابنا ، قال : حدثنا صالح بن نصر الخزاعي ، قال : حدثنا الهيثم بن عدي ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن ابن عباس

⁹⁷ - الطبري في مقدمة تفسيره: حديث رقم 56 - وحدثني بعض أصحابنا ، قال : حدثنا صالح بن نصر ، قال : حدثنا شعبة ، عن قتادة ، عن أبي الاسود الدؤلي .

⁹⁸ - ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص 29 - 30

⁹⁹ - وقد رفض الدكتور صبحي الصالح حصر هذه الأحرف في بعض اللهجات أو اللغات. الصالح، صبحي 1958 مباحث في علوم القرآن، ص104

والشيخ الفاني والعجوز" ¹⁰⁰ وطلبه من جبرئيل لذلك ، التخفيف في قراءة القرآن على أكثر من حرف .
وهناك حديث آخر يؤكد هذا السبب، وهو قول النبي للمسلمين: (من أراد أن يقرأ القرآن غَضاً كما أنزل
فليقرأه على قراءة ابن أم عبد) أي عبد الله بن مسعود. الزمخشري؟؟؟؟ وهذا ما يدفعنا لتصور مشكلة حفظ
القرآن وانتقاله من مسلم الى آخر، واحتمال نسيان بعض الكلمات أو الجمل واختلاف الحروف، وهو أمر
طبيعي جدا ، خصوصا مع تقادم الزمن بالحفظ وضعف ذاكرة العجائز أو عدم تركيز الغلمان.

4 - مشاكل الكتابة

وأما الكتابة فقد كانت تعاني من عدة مشاكل، منها ندرة المتعلمين الذين يجيدون القراءة والكتابة، ولم يعرف
من كتبه القرآن في مكة الا علي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن أبي سرح العامري، وأما في
المدينة فلم يعرف من كتبه القرآن الا أبي بن كعب وزيد بن أرقم، ولذلك كان الاعتماد في حفظ القرآن يتركز
على الحفظ عن قلب، أكثر من الكتابة، وسمي القرآن "قرآنا" لأنه مقروء وأكثر شهرة من "الكتاب" أو
"المصحف".

وكان الخط العربي يعاني من تخلف كبير ، إذ لم يكن يعرف النقط والحركات بعد، الا بعد حوالي مائة عام
من نزول الوحي القرآني، حيث كانت الباء والتاء والثاء والياء والنون تكتب - مثلا - على شكل واحد
بدون نقط، وكذلك الجيم والحاء والخاء، والذال والذال، والراء والزاي، والسين والشين، والصاد والضاد،
والطاء والظاء، والعين والغين، والفاء والقاف.

ولم يكن الورق متوفرا الا نادرا، حيث كانت الكتابة تتم عادة على الجلود والحجارة والخشب والعسب
وجذوع النخل وأكتاف العظام، وما الى ذلك، وهي لا تتسع بالطبع لمقطع طويل من القرآن. وأما الحبر
الذي كانت تتم به الكتابة فهو لم يكن بالطبع مثل الأحبار الثابتة التي نستعملها اليوم، وانما كان أشبه
بالطباشير التي تزول بسرعة بالماء أو لمس اليد. ولم يكن النحت على الصخر أو طبخ الرُقم الطينية معروفا
لدى أهل مكة والمدينة، كما كان الحال في العراق أيام السومريين والآشوريين والبابليين.

وكانت هذه المشاكل في الكتابة تصب في مصلحة الحفظ القلبي والاضطرار للاعتماد عليه، رغم المشاكل

¹⁰⁰ - الطبري في مقدمة تفسيره: حديث رقم 24 - حدثنا أبو كريب قال : حدثنا حسين بن علي ، وأبو
أسامة ، عن زائدة ، عن عاصم ، عن زر ، عن أبي . ورواه الترمذي في القرآن باب 9 . وأحمد في المسند ،

المحدقة به، كما مر معنا آنفا. وهو ما كان يدفع باتجاه السماح بالاختلافات الطفيفة في الألفاظ والكلمات وتعدد قراءة القرآن على سبعة أحرف.

هل كانت القراءة بالأحرف السبعة أصلية وثابتة ؟ أم مؤقتة واضطرابية؟

بعض النظر عن تلك الظروف الموضوعية الصعبة المحيطة بحفظ القرآن وكتابته في زمن النبي، فإن الأحاديث النبوية التي استعرضناها في الفصل الماضي (الثاني) ، حول نزول القرآن على أحرف سبعة، توحى بأن القراءة على تلك الأحرف أصلية ودائمة فكلها منزلة من الله ولا فضل لحرف على حرف، وكما رأينا في قصة عمر واستكراهه قراءة أحد الصحابة لسورة الأحقاف (أو الدخان أو الفرقان) بصورة مخالفة لما كان قد تعلمها من الرسول، وتأكيده النبي له وللصحابي بأن قراءتهما منزلة من الله، وكذلك تأكيد النبي لأبي بن كعب وصحابة آخرين بأن قراءتهم المختلفة كلها منزلة من الله وكافية وشفافية، أن الاختلاف كان من المصدر وليس من الصحابة، ولكن بعض علماء القرآن يذهبون ، بناء على بعض الروايات، الى أن سبب الاختلاف بين القراءات السبع يعود الى المسلمين أكثر منه الى مصدر الوحي (أو النبي) كما رأينا في الصفحات الماضية، ويقول هؤلاء بأن القرآن نص واحد، ولكن النبي كان يتساهل مع المسلمين في قراءتهم للقرآن، والتي قد يشوبها بعض الاختلاف وعدم الدقة في النقل، بسبب النقل الشفوي من واحد الى آخر، أو عدم الحفظ القلبي اللفظي الدقيق للقرآن، وبناء على ذلك فإن القراءة على الأحرف السبعة كانت اضطرابية ومؤقتة وليست أصلية ولا دائمية.

من العلماء الذين ذهبوا الى أن القراءات على الأحرف السبعة أصلية ودائمة العالم الأندلسي المختص بالقراءات: مكّي بن أبي طالب القيسي، الذي يقول: "كان قد تعارف بين الصحابة على عهد النَّبِيِّ ، فلم يكن ينكر أحدٌ ذلك على أحدٍ، لمشاهدتهم من أباح ذلك، وهو النَّبِيُّ ، فلمَّا انتهى ذلك الاختلاف إلى من لم يعاين صاحب الشرع، ولا علم بما أباح من ذلك، أنكر كلُّ قومٍ على الآخرين قراءتهم، واشتدَّ الخصام بينهم". 101

ومنهم محمد بن جرير الطبري الذي يقول: أن القراءة على الأحرف السبعة، لم يكن واجباً على الأمة، وإنما كان جائزاً لهم مرخصاً لهم فيه، وقد جعل إليهم الاختيار في أي حرف اختاروه، كما أن ترتيب السور لم يكن واجباً عليهم منصوصاً بل مفوضاً إلى اجتهادهم؛ ولهذا كان ترتيب مصحف عبد الله على غير ترتيب مصحف زيد وكذلك مصحف غيره. فلما رأى الصحابة أن الأمة تفترق وتختلف وتتقاتل إذا لم يجتمعوا على حرف واحد، اجتمعوا على ذلك اجتماعاً سائعاً، وهم معصومون أن يجتمعوا على ضلالة، ولم يكن في ذلك ترك لواجب ولا فعل لمحذور.... وذهب طوائف من الفقهاء والقراء وأهل الكلام إلى أن هذا المصحف مشتمل على الأحرف السبعة، وقرر ذلك طوائف من أهل الكلام، كالقاضي أبي بكر الباقلاني وغيره؛ بناء على أنه لا يجوز على الأمة أن تحمل نقل شيء من الأحرف السبعة،/102

ومن العلماء والمفسرين الذين ذهبوا إلى أن القراءة بالأحرف السبعة كانت مؤقتة واضطرابية، المفسر الطحاوي الذي يعزو سبب التعدد والتسامح إلى تفتشي الأمية بين المسلمين، ويقول: "إنما كانت السعة للناس في الحروف لعجزهم عن أخذ القرآن لأنهم كانوا أميين لا يكتب إلا القليل منهم، ... فوسع لهم في اختلاف الألفاظ إذا كان المعنى متفقاً، فكانوا كذلك حتى كثر منهم من يكتب وعادت لغاتهم إلى لسان رسول الله (ص) فقدروا بذلك على تحفظ ألفاظه، فلم يسعهم حينئذ أن يقرءوا بخلافها". 103

وكذلك البيهقي الذي يعتبر جميع الأحرف قرآنا قبل أن يوحدتها الله في العرصة الأخيرة، فيقول في (السنن الصغرى): "يُحْتَمَلُ أَنَّهُ إِتِمَا جَازَ قِرَاءَةُ بَعْضِهَا بَدَلَ بَعْضٍ لِأَنَّ كُلَّ ذَلِكَ مُنَزَّلٌ ، فَإِذَا أُبْدِلَ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ فَكَأَنَّهُ قَرَأَ مِنْ هَهُنَا وَمِنْ هَهُنَا ، وَكُلُّ قُرْآنٍ ، وَأُطْلِقَ لِلْكَاتِبِ كِتَابَةَ مَا شَاءَ مِنْ ذَلِكَ لِأَنَّ النَّبِيَّ ص كَانَ يَعْزِضُ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً ، فَلَمَّا كَانَ الْعَامُ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ عَرَضَ عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ ، فَكَانَ الْاِعْتِبَارُ بِمَا يَقَعُ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ عِنْدَ إِكْمَالِ الدِّينِ ، وَتَنَاهَى الْفَرَائِضِ ، فَكَانَ لَا يُبَالِي بِمَا يَكْتُبُ قَبْلَ الْعَرَضِ مِنْ اسْمٍ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ مَكَانَ اسْمٍ ، فَلَمَّا اسْتَقَرَّتِ الْقِرَاءَةُ ، عَلَى مَا اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ وَأَثْبَتُوهُ فِي الْمَصَاحِفِ عَلَى

102 - ابن نيمية /// يراجع المصدر ///

اللُّغَاتِ الَّتِي قَرَأُوهُ عَلَيْهَا صَارَ ذَلِكَ إِمَامًا يُقْتَدَى بِهِ لَا يَجُوزُ مُفَارَقَتُهُ بِالْقَصْدِ إِلَّا أَنْ يَرَلَ الْحِفْظَ فَيَبْدَلَ اسْمًا
بِاسْمٍ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ ، فَلَا يُخْرَجُ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى "104

وهكذا يبرر ابن عبدالبر التسامح بالقراءة على أحرف سبعة في زمن النبي، بالضرورة المؤقتة، ويقول: " إن
تلك السبعة الأحرف إنما كان في وقت خاص لضرورة دعت إلى ذلك ثم ارتفعت تلك الضرورة فارتفع حكم
هذه السبعة الأحرف وعاد ما يقرأ به القرآن على حرف واحد".؟؟؟؟؟؟؟؟ ويضيف " كان نزول الآية على
عدة من هذه الحروف أمراً معتاداً ثم إن الله نسخ بعض تلك الحروف لما كان جبريل يُعارض النبي بالقرآن في
كل رمضان.؟؟؟؟؟" 105

ويؤكد ابن تيمية الرخصة بقراءة القرآن على أحرف سبعة، قبل أن ينسخ الله بعض تلك الحروف، وينقل
عن بعض العلماء قولهم " بأن الترخيص في الأحرف السبعة كان في أول الإسلام؛ لما في المحافظة على حرف
واحد من المشقة عليهم أولاً، فلما تذلت ألسنتهم بالقراءة، وكان اتفاهم على حرف واحد يسيراً عليهم،
وهو أرفق بهم، أجمعوا على الحرف الذي كان في العرصة الآخرة، ويقولون: إنه نسخ ما سوي ذلك". 106
ويقول أيضاً: " وكان نزول الآية على عدة من هذه الحروف أمراً معتاداً، ثم إن الله نسخ بعض تلك الحروف
لما كان جبريل يعارض النبي صلى الله عليه و سلم بالقرآن في كل رمضان". 107

104 - السنن الصغرى للبيهقي 1028

105 -

106 - ابن تيمية،

107 - تكملة: وكانت العرصة الأخيرة هي حرف زيد بن ثابت الذي يقرأ الناس به اليوم، وهو الذي جمع عثمان والصحابة
رضي الله عنهم أجمعين عليه الناس ولهذا ذكر ابن عباس هذه القصة في النسخ و المنسوخ وكذلك ذكرها الإمام أحمد في
كتابه في [النسخ و المنسوخ] لتضمنها نسخ بعض الحروف. ابن تيمية،

ومن ذهب الى أن القراءة على الأحرف السبعة كانت مؤقتة واستثناء اضطراريا الشيخ المعاصر الدكتور صبحي الصالح الذي علل تسامح النبي بقبول الاختلاف في القراءة بسبب ظروف المسلمين الأولى، ورفض كون الأحرف الأخرى جزءا من القرآن، فقال: "إذا صح انه عليه السلام وسع على المسلمين في أول الأمر، وراعى التخفيف على العجوز والشيخ الكبير، وأذن لكل منهم أن يقرأ على حرفه، أي على طريقته في اللغة، لما يجده من المشقة في النطق بغير لغته، فليس معنى هذا أنه كان يأذن لهم بإثبات هذه القراءات وكتابتها على أنها حروف نزل عليها القرآن. وإذن، فما كانت توسعته عليه السلام في هذا النوع من القراءة الا تخفيفا على بعض الأفراد في حالات خاصة، وأما ما أذن فيه من هذه الحالات بإثباته وأقر كتبه الوحي عليه فهو محفوظ بطريق التواتر في أحرف قليلة معدودة يرفض ما عداها ولو جاء من طريق صحيح آحادي، لأن التواتر شرط في إثبات القرآنية، فتعميم هذه الحالات الفردية على جميع الأحرف السبعة، كأنها ضرب من القراءة بالمعنى، لا يمكن أن تقتصر عليه في فهم الحديث". 108

وحاول الصالح التهرب من الأحرف السبعة باسقاط بعضها باعتباره مرويا عن طريق آحاد واتهام بعضها بالشذوذ¹⁰⁹ ، والتخفيف من درجة الاختلاف بين الأحرف السبعة، بالقول إنه من قبيل "اختلاف

108 - الصالح، صبحي 1958 مباحث في علوم القرآن، ص 108

109 - فقال: "وأما قراءة ابن مسعود فاقطعوا أيماهما" بدلا من "أيديهما" فشاذ، لأنها وردت من طريق آحادي. ومن المؤكد أن قراءة هذا الصحابي بما إنما كانت إدراجا على سبيل التفسير". و"قوله تعالى في سورة التوبة "وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار" قرئ "من تحتها الأنهار" وهما قراءتان متواترتان، وقد وافق كل منهما رسم مصحف الامام، فان زيادتها وافقت رسم المصحف المكي، وحذفها وافق غيره.

ومن النقصان: قوله تعالى " قالوا اتخذ الله ولدا" من سورة البقرة بغير واو، وقد وافقت رسم المصحف الشامي. وأما قراءة "والذكر والأنثى" بدلا من قوله تعالى: " وما خلق الذكر والأنثى" بنقص لفظي "ما خلق" وقراءة ابن عباس "وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا" بزيادة (صالحة) وابدال كلمة (أمام) من كلمة (وراء) فقراءتان آحاديتان لا يثبت بمثلهما قرآن. ويشبههما في الآحادية زيادة لفظ "أنثى" في قوله تعالى "تسع وتسعون نعجة" أنثى، وزيادة عبارة "وكان كافرا" في قوله تعالى "وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين" وكان كافرا، وزيادة عبارة "وصلاة العصر" في قوله "حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى" وصلاة العصر، فهذه الزيادات جميعا أدرجت على سبيل التفسير والإيضاح، ولا سبيل الى عدها حرفا من

اللهجات في الفتح والإمالة، والترقيق والتفخيم، والهمز والتسهيل، وكسر حروف المضارعة وقلب بعض الحروف وإشباع ميم الذكور، واشتمام بعض الحركات...والحق أن هذا الوجه أهم الأوجه السبعة، لأنه يبرز الحكمة الكبرى من انزال القرآن على سبعة أحرف، ففيه تخفيف وتيسير على هذه الأمة التي تعددت قبائلها فاختلقت بذلك لهجاتها وطريقة نطقها، أما لغاتها نفسها فلا موجب لمراعاتها، لأن القرآن اصطفى ما شاء بعد أن صهره في لغة قريش التي تمثلت فيها لغات العرب قاطبة، لا لغات قبائل معينة ينتصر لها بعض العلماء بتعسف لا يؤيده دليل عقلي ولا نقلي". 110

ويبدو ان الدكتور الصالح كان يعتبر المصاحف الأخرى التي تتضمن الأحرف السبعة (ما عدا مصحف عثمان) نوعا من العبث الضار بحيث قال: "لقد أحرقت تلك المصاحف، وكفى الله المؤمنين شر بقائها". 111 وهو كلام غريب لا يتوقع من باحث في القرآن فضلا عن عالم كبير مسلم مثله، ولا ادري كيف يجرؤ على القول "كفى الله المؤمنين شر بقائها"؟

ولكن هذا الرأي القائل بارتباط السماح بقراءة القرآن على أحرف سبعة، بظروف المسلمين، وبالتالي فانه ضرورة استثنائية مؤقتة، لا يقوم على دليل قوي، ويضعف أمام قيام النبي بالسماح بالتعدد في المدينة وفي وقت متأخر من حياته، وليس في مكة فقط، وفي تلك الفترة ارتد ابن ابي سرح، وشك أبي وعمر، واختلف الصحابة فيما بينهم.

وإذا لاحظنا اقوال أكثر المفسرين لرأيانهم يعترفون بسماح النبي بالتعدد اصالة من المصدر، وليس بسبب صعوبة الحفظ لدى المسلمين، وان الاختلاف في زمان النبي كان عاديا، كما يقول مكّي بن أبي طالب

الأحرف السبعة ولو أثبتتها ابن مسعود في مصحفه الخاص". الصالح، صبحي 1958 مباحث في علوم القرآن، ص 110-

110 - الصالح، صبحي 1958 مباحث في علوم القرآن، ص 112 - 113

111 - الصالح، صبحي 1958 مباحث في علوم القرآن، هامش ص 82

القيسي. 112 والطبري الذي يعزو الاجتماع على حرف واحد الى الصحابة في وقت متأخر. والبيهقي الذي يعتبر جميع الأحرف قرآنا منزلا من الله. 113

وحتى الذين قالوا بالسماح بالتعدد اضطرارا فانهم لم يذكروا نھيا صريحا من النبي عن القراءات بالأحرف الاخرى، وانما نسبوا الاجتماع على حرف واحد الى اجتهاد المسلمين درءا للخلاف الذي حصل بينهم في وقت لاحق. وأما الذين يدعون النسخ كابن عبد البر وابن تيمية فانهم يدعون ذلك بدون دليل، واستنادا الى رواية غير ثابتة عن العرضة الأخيرة للقرآن. 114

وفي الحقيقة لم أجد دليلا قويا على النسخ أو تحريم القراءة بالأحرف السبعة، لأن المسلمين (الصحابة والتابعين) ظلوا يقرأون بتلك الأحرف الى أواسط عهد عثمان، ولم يعرف أحد منهم موضوع النسخ، وظل بعض المسلمين يقرأ بتلك الأحرف الى وقت متأخر، حتى بعد قيام عثمان بتوحيد المصاحف، بل رفض بعضهم عمل عثمان واعتبره خطأ كبيرا، وكان ذلك سببا من اسباب الثورة عليه.؟؟؟؟ ولم يشك أحد باعتبار بعض الآيات المنسوبة الى أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود او ابن عباس أنها جزء من القرآن.

وبعد اجماع المسلمين على (مصحف عثمان) اصبح موضوع القراءة بتلك الأحرف السبعة موضوعا للنقاش بين الفقهاء المتقدمين الذين اختلفوا في جواز القراءة بالأحرف السبع الخارجة عن رسم المصحف العثماني، في الصلاة، 115 فقال الامام مالك والامام أحمد بالجواز، في إحدى الروايتين عنهما "لأن الصحابة والتابعين كانوا يقرؤون بهذه الحروف في الصلاة". وقال معظم الفقهاء بعدم الجواز،/ ابن تيمية/ وأما ما عدا

112 - القيسي، مكّي ابن ابي طالب، الانابة عن معاني القراءات ، ص 48-49

113 - البيهقي، السنن الصغرى، 1028

114 - ابن تيمية،

115 - مثل قراءة ابن مسعود، وأبي الدرداء "والليل إذا يغشى، والنهار إذا تجلّى، والذكر والأنثى" التي وردت في الصحيحين، ومثل قراءة عبد الله "فصيام ثلاثة أيام متتابعات" وقراءته "إن كانت إلّا زَفِيّة واحدة" ونحو ذلك .

الصلاة فلا يوجد من يحرم قراءتها أو الاعتقاد بكونها جزءا من القرآن. يقول ابن تيمية: قال هؤلاء: ولا يجوز أن ينهى عن القراءة ببعض الأحرف السبعة، 116

نعم، يمكن التشكيك بأية معينة من الأحرف السبعة، أو التشكيك بتواترها عن النبي، أو القول بأنها منسوخة، ولكن لا يمكن رفضها إذا ثبتت عن طريق التواتر. وقد حاول ابن تيمية التشكيك بتواتر القراءات على الأحرف السبعة، لأنها لم تردنا كما وردت رواية المصحف العثماني التي أجمع عليها المسلمون، وهذا صحيح بصورة عامة بعد ضياع مصاحف الصحابة التي أحرقها عثمان، ولكننا أيضا يمكن ان نطمئن الى تواتر بعض الروايات الواردة عن أبي بن كعب وابن مسعود وابن عباس، فاذا ثبت ورودها فلا يمكننا ردها أو غض الطرف عنها، ولا يتعارض قبولنا لها مع قبولنا للمصحف العثماني واحترامنا له. وسوف نبحث لاحقا مسألة إجماع الصحابة على مصحف عثمان، وهل يشكل ذلك الإجماع المتأخر حجة في إلغاء الأحرف الأخرى الثابتة؟ أم لا؟

الباب الأول : القرآن في ظل النبي محمد

الفصل الرابع: كتابة القرآن في ظل النبي محمد/ عندما يتحول القرآن المتلو الى كتاب

117

استعرضنا في الفصل الماضي المشكلات التي رافقت نزول القرآن وانتشاره بين المسلمين في مكة والمدينة، ومنها مشكلة اختلاف اللهجات بين القبائل العربية، وصعوبة الحفظ وندرة وسائل الكتابة، وسوف نبحث

_ 116

_ 117

في هذا الفصل كيفية كتابة القرآن وهل تمت بصورة كاملة في زمن النبي؟ وهل كانت بصورة واحدة؟ أم بصور مختلفة تنطوي على الأحرف السبعة؟ وماذا يقال عن العرصة الأخيرة للقرآن؟

بغض النظر عن طبيعة الوحي وأنه باللفظ أو المعنى، يبدو أن عملية الانتشار الأولى التي مرَّ بها الوحي القرآني، كانت شفوية من فم النبي إلى أسماع الأصحاب، الذين كانوا يتناقلون الآيات من واحد إلى آخر، قبل أن يكتبها بعضهم أحياناً. وهناك حديث يشير إلى أن القرآن كان في البداية مقروءاً أكثر منه مكتوباً، وأن الاعتماد في نقل القرآن كان على القراءة وحفظ القلوب لا على المصاحف المكتوبة، كما يقول الحديث الذي رواه مسلم عن النبي أنه قال: "إن ربي قال لي أن قم في قريش فأندرهم .فقلت: أي رب، إذأ يتلغوا (يشدخوا) رأسي فقال: إني مبتليكَ ومُبتَلٍ بك، ومنزل عليك كتاباً لا يغسله الماء، تقرؤه نائماً ويقظاناً...". فأخبر أن كتابه لا يحتاج في حفظه إلى صحيفة تغسل بالماء، بل يقرؤه في كل حال، كما جاء في نعت أمته "أناجيلهم في صدورهم" بخلاف أهل الكتاب الذين لا يحفظونه إلا في الكتب، ولا يقرؤونه كله إلا نظراً لا عن ظهر قلب. وهو ما يؤكد ابن الجزري الذي يقول "إن الاعتماد في نقل القرآن على حفظ القلوب والصدور، لا على خط المصاحف والكتب".¹¹⁸

ومع ذلك فهناك مؤشرات كثيرة على أن النبي اهتم بكتابة القرآن واتخذ له كتاباً للوحي¹¹⁹ ، في الوقت الذي نهي عن تدوين أحاديثه العادية.¹²⁰ إلا أنه لم يكن من المتوقع أن يكون الكتاب القلائل الذين

118 - الصالح، صبحي 1958 مباحث في علوم القرآن، ص 68 - 69

119 - اشتهر عدد من الكتاب في مكة منهم عبد الله بن مسعود وعبد الله بن أبي سرح وعلي بن أبي طالب.

120 - كما ورد في صحيح مسلم (229/8) عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله (ص) "لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحاه، وحدثوا عني ولا حرج". ويذهب الدكتور صبحي الصالح إلى حرص النبي على فصل الأحاديث القدسية عن كتاب الله وعدم خلطها به، بما كان يستهل به مطالعها من عبارات نبوية يشعر بها سامعيه أنه يصوغ بأسلوبه البشري معنى أنزله الله. الصالح، صبحي 1958 مباحث

يعدون على أصابع اليد الواحدة ملازمين للنبي دائماً حتى يكتبوا الوحي أولاً بأول، علماً بأن أحدهم (عبد الله بن مسعود) هاجر لفترة إلى الحبشة. ولكن يمكننا العثور على صحف مكتوبة وكتاب في مكة المكرمة، حيث يروى أن عمر بن الخطاب قبل أن يسلم، ضرب أخته في بيتها بمكة حين سمعها تقرأ بعض القرآن فلما رأى ما أصابها من الدم قال لها: "اعطيني هذه الصحيفة التي سمعتم تقرأون أنفاً أنظر ما هذا الذي جاء به محمد" وحين قرأ قسطاً من سورة طه التي كانت أخته و زوجها يقرأنها قرر الدخول في الإسلام.¹²¹ كما ورد ذكر (الصحف) في هذه الآية المكية التي تتحدث عن القرآن: "كلا إنها تذكرة في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة كرام برة" (عبس 13-16) قال في المجمع؟؟؟: الصحف جمع صحيفة، والعرب تسمي كل مكتوب فيه صحيفة كما تسميه كتاباً، رقا كان أو غيره. والسفرة جمع سفير، واختلف المفسرون في المقصود منها: السفراء الملائكة أم الرسل أم القراء والكتّاب.¹²² وإذا كان المقصود بالسفرة الملائكة فإن الآية ربما تتحدث عن صحف معنوية وليس عن كتاب ورقي أو ما شابه.

ومن هنا أطلق القرآن على نفسه في مكة اسم الكتاب، كما في هذه الآية: "وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد". (حم السجدة: 42) وفي هذه الآية "إنه لقرآن كريم، في كتاب مكنون". (الواقعة: 77 - 78) وأكد ذلك في المدينة في أول سورة البقرة فقال: "ألم. ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين". (البقرة 1-2) وتكرر اسم (الكتاب) في سور أخرى كيونس (الر. تلك آيات الكتاب الحكيم) آية 1، ويوسف (الر. تلك آيات الكتاب المبين) آية 1، والرعد (الر. تلك آيات الكتاب) آية 1، والحجر (الر. تلك آيات الكتاب وقران مبين) آية 1، والشعراء (تلك آيات الكتاب المبين) آية 2، والقصص (تلك آيات الكتاب المبين) آية 2، ولقمان (تلك آيات الكتاب الحكيم) آية 2، والزخرف

في علوم القرآن، ص 33 ولكن يمكن التوقف عند هذا الحديث فإذا كان القرآن يعاني من صعوبة في الكتابة، فكيف كان المسلمون يهتمون بكتابة أحاديث النبي؟

121 - سيرة بن هشام مجلد 2 صفحة 190

122 - راجع تفسير الميزان، للطباطبائي، في تفسير هذه الآيات من سورة عبس

(حم). والكتاب المبين، إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون، وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم) آية 1 -
.4

وقد مرَّ (القرآن) في طريقه ليصبح (كتابا) برحلة طويلة وعسيرة في ظروف بدائية متخلفة جدا من حيث تقنيات الكتابة، فقد كانت الأمية متفشية في أهل مكة، وكان الذين يحسنون القراءة والكتابة يعدون على الأصابع، وكانت الحروف العربية بدائية بلا نقاط ولا حركات، وكان الورق ووسائل الكتابة الأخرى كالأحبار نادرة وبدائية، وكما يقول زيد بن ثابت (أحد كتاب الوحي في المدينة الذي كتب لأبي بكر وعثمان المصحف): إنهم كانوا يكتبون على مثل الرقاع (وهي جمع رقعة وقد تكون من جلد أو ورق أو كاغد) واللخاف (وهي جمع لخرة أي الحجارة الدقاق أو صفائح الحجارة) والعسب (جمع عسيب وهو جريد النخل أو الطرف العريض بعد كشف الخوص عنه) والأكتاف (جمع كتف وهو عظم البعير أو الشاة) والأقتاب (جمع قتب وهو الخشب الذي يوضع على ظهر البعير ليركب عليه) وقطع الأديم أي (الجلد).¹²³ وفي هذا يقول ابن تيمية: "كان النبي (ص) به حاجة إلى من يكتب لقلة الكتاب في الصحابة، وعدم حضور الكتاب منهم في وقت الحاجة إليهم، فإن العرب كان الغالب عليهم الأمية حتى إن كان الحي العظيم يطلب فيه كاتب فلا يوجد، وكان أحدهم إذا أراد كتابة أو شقة وجد مشقة حتى يحصل له كاتب، فإذا اتفق للنبي (ص) من يكتب له انتهز الفرصة في كتابته، فإذا زاد الكاتب أو نقص تركه لحرصه على كتابة ما يملكه، ولا يأمره بتغيير ذلك خوفا من ضجره وأن يقطع الكتابة قبل إتمامها ثقة منه (ص) بأن تلك الكلمة أو الكلمتين تستدرك فيما بعد بالإلقاء إلى من يتلقنها منه، أو بكتابتها تعويلا على المحفوظ عنده وفي قلبه".؟؟؟؟؟

وفي ظل تلك الظروف التقنية الصعبة للكتابة فاننا يمكن أن نتوقع بعض الزيادة والنقصان في عملية النقل الشفهي من واحد الى آخر، وهذا ما يوحى به الحديث النبوي الشريف: "مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَطْبًا كَمَا أَنْزَلَ، فَلْيَقْرَأْهُ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدِ" (أي عبد الله بن مسعود). وهو ما يكشف عن امكانية التحوير والتغيير في عملية النقل، أو حدوث ذلك فعلا في حياة الرسول، ولذلك أمر المسلمين بالتأكد من النص القرآني بالعودة الى قراءة ابن أم عبد، وهي القراءة الأكثر انضباطا وقربا من الرسول في مقابل القراءات الأخرى

123 - الحاكم في "المستدرك" بسند على شرط الشيخين عن زيد بن ثابت . الصالح، صبحي 1958 مباحث في

المنقولة حفظا عن ظهر قلب، والقابلة للزيادة والنقصان. وربما كان ذلك الأمر بالعودة الى ابن مسعود، قبل أن يقرر النبي السماح بالتعدد والاختلاف في المدينة، وقد مرَّ معنا في الفصول السابقة اختلاف عبد الله نفسه مع آخرين من الصحابة حول القرآن، وقول النبي لهم: " اقرأوا كما علمتم، فإنما أهلك من كان قبلكم اختلافاهم على أنبيائهم " .¹²⁴

وعلى أية حال، فإن إعلان النبي أن قراءة ابن أم عبد هي القراءة الرطبة المطابقة للنزول، وأنها تشكل مرجعا للمسلمين، يعني وجود قراءات مختلفة لدى بقية المسلمين الذين كانوا يتناقلون القرآن شفويا بواسطة الذاكرة، والتي قد تزيد أو تنقص بعض الكلمات والحروف أو تستبدلها بما يفيد معناها، أو حتى مع اختلاف معناها قليلا، خاصة بعد نزول السور الطوال في المدينة المنورة، فهل يحرم النبي عليهم قراءة القرآن؟ أم يتساهل معهم حتى اذا خالفوا النص؟ ان التساهل في بعض الحروف والكلمات يبدو أمرا طبيعيا وضروريا، بل اضطراريا في تلك الظروف التي يندر فيها الكتاب والكتب. ولنا ان نتصور صعوبة الكتابة الدقيقة في المرحلة الأولى المكية وحتى المدنية، بمقارنتها بالمرحلة المتأخرة (في عهد عثمان وما بعده) التي توفرت فيها وسائل الكتابة من ورق وأحبار وانتشار الكتابة، وحدوث التغيير والتحريف في الكتب رغم ذلك، فكيف بتلك المرحلة البدائية الأولى؟ وهكذا كان لا بد ان تتعدد القراءات وأن يقبل بها النبي جميعا، مع المحافظة على الذكر أو جوهر القرآن ومعانيه الأساسية.

ونظرا لطريقة نزول القرآن منجما خلال 23 سنة،¹²⁵ فقد كان من المستحيل أن يجمع القرآن كله في حياة رسول الله في مصحف واحد. واذا أخذنا بنظر الاعتبار موضوع ترتيب الآيات في السور، وقيام النبي بوضع آيات جديدة في مواضع معينة بين الآيات القديمة، كما حدث في قصة عمرو بن أم مكتوم الأعمى الذي سمع النبي يأمر زيدا بكتابة هذه الآية " لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم " (النساء 95) فقال يا رسول الله فما تأمرني فإني رجل ضيرير البصر فأضاف النبي إليها بأمر الله

124 - الطبري ، مقدمة تفسيره: حديث رقم 10 وأحمد في المسند (ج 2 حديث رقم 6815) ومسلم في صحيحه، كتاب العلم ، حديث رقم 2

125 - كما تصرح هذه الآية: "قال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا". (الفرقان 32)

(غير أولي الضرر) لتصبح هكذا: "لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله..". وكما يقول السيوطي فقد كان الرسول يضع الآيات الجديدة بعض الأحيان في وسط آيات أو سور سابقة، حيث كان يقول: "ضعوا آية كذا في موضع كذا". و هكذا كانت تضاف إلى الأجزاء التي كانت مجموعة آنذاك مقاطع أخرى إلى أن تصبح سورة مكتملة.¹²⁶

وقد كان هذا التداخل بين الآيات يضيف صعوبة زائدة على عملية الكتابة وإعادة الكتابة على الورق واللخاف والجلود والعظام، حيث كان من الصعب محو الكتابات السابقة وإعادة كتابتها من جديد لافساح المجال للآيات الجديدة على نفس تلك الصفحات، وربطها بالسابقة واللاحقة. وهذا ما كان يترك المكتوب عرضة للاختلاف عن المقروء والمحفوظ، ويدعو للاعتماد في حفظ القرآن بصورة رئيسية على الأذهان والصدور. ولا تعني كلمة "ضعوا آية كذا في موضع كذا" بالضرورة وضع الآية الجديدة فعلا بين السطور المكتوبة وإنما قد تعني وضعها في التلاوة والترتيب القرآني. ولهذا قال الزركشي: "وإنما لم يكتب في عهد النبي (ص) مصحف لئلا يفضي إلى تغييره في كل وقت، فلهذا تأخرت كتابته إلى أن كمل نزول القرآن بموته (ص)".¹²⁷ وقد ذكر السيوطي أن القرآن قد كتب كله في عهد النبي، وبقي محافظا عليه بعناية بالغة لكن لم يجمع في موضع واحد قبل موته.¹²⁸

وقد مرَّ معنا الخلاف الذي حصل بين عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم¹²⁹، وكذلك بين أبي بن كعب وبعض الصحابة الآخرين¹³⁰، وأيضا بين عبد الله بن مسعود وآخرين¹³¹، حول قراءة القرآن، واحتكامهم للنبي، حيث لم يطلب النبي من أحد منهم كتابا، وإنما طلب منهم القراءة ثم صوبهم.

¹²⁶ - السيوطي، الإتيان في علوم القرآن م 1 ص 135

¹²⁷ - الزركشي، البرهان 262/1 .

¹²⁸ - السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، مجلد 1 ص 126

¹²⁹ - الطبري، مقدمة تفسيره: حديث رقم 13 و 14 و 15

وسوف نرى في الفصل القادم، في عملية جمع القرآن في أيام ابي بكر وعثمان، أن بعض الآيات لم يكن يعرفها أو يحفظها أحد من الصحابة الا شخص واحد. ولو لم يأت ذلك الشخص في الوقت المناسب لنسيت تلك الآية. ولم يعرف عن الرسول الأكرم أنه جمع الصحابة يوماً وقرأ عليهم القرآن من أوله الى آخره، ولو كان فعل ذلك لكان كتاب الوحي (عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب وزيد بن ثابت) أولى من غيرهم بحفظ القرآن على حرف واحد وبصورة كاملة، بينما نجدهم يختلفون فيما بينهم اختلافاً كبيراً.¹³²

وربما كانت الصعوبة في حفظ القرآن قلبياً وكتابةً، من قبل جميع الصحابة، والاتفاق على نسخة واحدة دقيقة، من أسباب طلب النبي من الله، في وقت متأخر، أن يكون القرآن على سبعة أحرف، كما تشير الى ذلك بعض الاحاديث التي استعرضناها في الفصل الماضي. ولا بد أن نأول هنا قول الرسول لكل واحد من القراء "هكذا نزلت" بأن المقصود نزول المعنى دون اللفظ، وإن شك عمر وأبيّ وتزلزلهما كان بسبب اعتقادهما بأهمية اللفظ وعدم جواز اختلافه، فلما شاهدا النبي يصحح القراءات المختلفة باللفظ حصل عندهما الشك.

النسخ والتبديل والإنساء

وهناك أمر آخر كان يمنع من كتابة القرآن في مصحف واحد في زمن الرسول، ويعقد عملية الكتابة أيضاً، وهو النسخ والتبديل، أو حذف بعض الآيات وإنسائها النبي والمسلمين بالمرّة، كما يقول تعالى: "مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَمْ تَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ". (البقرة 106)¹³³ و"وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ". (النحل 6).

130 - الطبري، مقدمة تفسيره: حديث رقم 22 و 26 و 27 و 21

131 - الطبري في مقدمة تفسيره: حديث رقم 9 و 10 و 11

132 - سنناقش بعد قليل دعوى عرض جبرئيل للقرآن على النبي كل سنة في رمضان، مرة واحدة، وعرضه في السنة الأخيرة مرتين.

133 - كما يقول الطباطبائي في الميزان: الإنساء إفعال من النسيان وهو الإذهاب عن العلم كما أن النسخ هو الإذهاب عن العين فيكون المعنى ما نذهب بآية عن العين أو عن العلم نأت بخير منها أو مثلها.

وقد ذكر أبو داود حديثاً عن عائشة ينطوي على زعم بنسيان النبي لبعض آيات القرآن، قال: حدثنا موسى - يعني ابن إسماعيل - حدثنا حماد عن هشام بن عروة عن عروة عن عائشة رضي الله عنها: أن رجلاً قام من الليل فقرأ فرفع صوته بالقرآن فلما أصبح قال رسول الله (صلى اللهم عليه وسلم): يرحم الله فلاناً كائن من آية أذكرنيها الليلة كنت قد أسقطتها".¹³⁴ وإذا صحت هذه الرواية فإنها تثير احتمال إنساء الله للنبي أو نسيانه هو ، بصورة دائمة أو مؤقتة. وهو ما دفع أحد القساوسة (جون جليكريست) للدعاء "بامكانية فقدان بعض أجزاء النص القرآني، واتهام النبي محمد نفسه بأنه كان عرضة لنسيان بعض أجزاء القرآن".¹³⁵ ولكي استبعد أن ينسى النبي نفسه القرآن أو بعض آياته ، وذلك لأنه كان حريصاً على حفظه ودائماً على قراءته آناء الليل وأثناء النهار، وأن الله قد وعده بالمساعدة على الحفظ ، حيث قال: "سنقرئك فلا تنسى"، إلا إذا أراد الله إنساءه. ولكن غير المسلمين يهتمون أن ينسى النبي بعض آيات القرآن نظراً الى طبيعته البشرية العادية ويفسرون الإنساء المذكور "ما ننسخ من آية أو ننسها" بالنسيان. وربما يقولون إذا كان النبي عرضة للنسيان فإن اصحابه أكثر احتمالاً للتعرض الى ذلك.؟؟؟؟؟

وبالرغم من اكتمال القرآن نهائياً بوفاة النبي، وتوقف عملية النسخ والتبديل، فقد أدت هذه العقبة الى مشكلة أخرى، تتمثل في عدم معرفة جميع المسلمين بما نسخ وما لم ينسخ ، أو ضرورة حذف المنسوخ من القرآن أو كتابته كما هو ¹³⁶، وقد كان كاتب الوحي الأنصاري أبي بن كعب يتمسك ببعض الآيات المنسوخة الى حد الاختلاف مع بعض الصحابة، كما يروى البخاري: حَدَّثَنَا صَدَقَةُ بْنُ الْفَضْلِ أَحْبَرَنَا يَحْيَى

134 - ابن أبي داود، السنن، كتاب الحروف و القراءات ، حديث رقم 3456 وقد يناقش في صحة هذا الحديث سندا وممتنا، ويرفضه البعض صيانة للوحي ، واستبعادا وتنزيها للنبي عن النسيان.

135 - جليكريست، جون، جمع القرآن، ص 20

136 - مثل آية عدة الوفاة: "والذين يُتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا الى الحول غير إخراج، فإن خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن من معروف، والله عزيز حكيم". (البقرة 240) المنسوخة بآية "والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا، فإذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف، والله بما تعملون خبير". (البقرة 234).

عَنْ سُفْيَانَ عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ عُمَرُ: أَبِي أَقْرَبُنَا وَإِنَّا لَنَدْعُ مِنْ لَحْنِ أَبِيٍّ وَأَبِيٍّ يَقُولُ أَخَذْتُهُ مِنْ فِي رَسُولِ اللَّهِ (ص) فَلَا أَنْزَكُهُ لَشَيْءٍ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى " مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا". (البقرة 106).¹³⁷ ويعقب ابن حجر في (فتح الباري) على ذلك بقوله: كان أبي بن كعب لا يرجع عما حفظه من القرآن الذي تلقاه عن رسول الله (ص) ولو أخبره غيره أن تلاوته نسخت، لأنه إذا سمع ذلك من رسول الله (ص) حصل عنده القطع به فلا يزول عنه بإخبار غيره أن تلاوته نسخت، وقد استدل عليه عمر بالآية الدالة على النسخ وهو من أوضح الاستدلال في ذلك. ؟؟؟؟؟؟؟

ويستفاد من حديث عائشة: "كان فيما أنزل من القرآن: (عشر رضعات معلومات يجرمن)، ثم نسخت (بخمسة معلومات)، وتوفي رسول الله (ص) وهي فيما يُقرأ من القرآن".¹³⁸ حذف بعض المنسوخ نهايا من القرآن. وأن هذه الآية الثانية الناسخة (بخمسة معلومات) قد حذفت أيضا من التلاوة بعد أن نسخت أو سقطت أثناء عملية التدوين في عهد عثمان. ويقول النووي في تأويل قول عائشة: "أنه ثوفي وبِعُض النَّاسِ يُقْرَأُ (خَمْسَ رَضَعَاتٍ) وَيَجْعَلُهَا قُرْآنًا مِثْلًا لِكُونِهِ لَمْ يَبْلُغْهُ النَّسْخُ لِقُرْبِ عَهْدِهِ فَلَمَّا بَلَغَهُمُ النَّسْخُ بَعْدَ ذَلِكَ رَجَعُوا عَنْ ذَلِكَ وَاجْمَعُوا عَلَى أَنَّ هَذَا لَا يُتْلَى".

كما تم حذف آية "بَلِّغُوا عَنَّا قَوْمَنَا أَنَّا لَقِينَا رَبَّنَا فَرَضِي عَنَّا وَأَرْضَانَا" التي يقول البخاري ومسلم أنها نزلت في شهداء بئر معونة.¹³⁹ وقد اختلف الصحابة حول نسخ آية "المتعة"، فقال ابن عباس أنها لم تنسخ، وربما

¹³⁷ - البخاري، كتاب فضائل القرآن، الحديث 4621 وكتاب تفسير القرآن، الحديث 4121، وورد أيضا في مسند الأنصار للإمام أحمد بن حنبل، رقم 20172-20173

¹³⁸ - أخرجه مسلم، كتاب الرضاع، باب التحريم بخمس رضعات، رقم: 1452

¹³⁹ - فقد روى البخاري في صحيحه: "حَدَّثَنِي عَبْدُ الْأَعْلَى بْنُ حَمَادٍ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ حَدَّثَنَا "سَعِيدٌ" عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَنَّ رِغْلًا وَذَكْوَانَ وَعُصَيْبَةَ وَبَنِي لَحْيَانَ اسْتَمَدُّوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى عَدُوِّ فَأَمَدَّهُمْ بِسَبْعِينَ مِنَ الْأَنْصَارِ كُنَّا نُسَمِّيهِمُ الْقُرَاءَ فِي زَمَانِهِمْ كَانُوا يَحْتَطِبُونَ بِالنَّهَارِ وَيُصَلُّونَ بِاللَّيْلِ حَتَّى كَانُوا يَبِئُرُ مَعُونَةَ قَتَلُوهُمْ وَعَدَرُوا بِهِمْ فَبَلَغَ النَّبِيُّ (ص) فَقَنَتَ شَهْرًا يَدْعُو فِي الصُّبْحِ عَلَى أَحْيَاءٍ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ عَلَى رِغْلِ وَذَكْوَانَ وَعُصَيْبَةَ وَبَنِي لَحْيَانَ قَالَ أَنَسٌ فَقَرَأْنَا فِيهِمْ قُرْآنًا ثُمَّ إِنَّ ذَلِكَ رُفِعَ

قال آخرون أنها نسخت بالسنة أو بالقرآن، ولكنها استمرت فيما يقرأ من الآيات المنسوخة في القرآن "فما استمتعتم به منهن فاتوهن أجورهن فريضة، ولا جناح عليكم فيما تراضيتن به من بعد الفريضة، إن الله كان عليماً حكيماً". (النساء 24) وإن كان ابن عباس يضيف إليها كلمة (الى أجل مسمى) ويؤكد أنها "هكذا نزلت ولم تنسخ". وذلك تبعاً لأبي وابن مسعود.¹⁴⁰

وقد ادعى عمر وجود آية الرجم في سورة النور: "الشيخ والشيخ إذا زنيا فارجموها البتة نكالا من الله" وكاد يضعها في القرآن المكتوب، لولا أنه لم يجد من يؤيده، بالرغم من إجماع الصحابة على استمرار حد الرجم وعدم نسخه.¹⁴¹ ؟؟؟؟؟ وفي الحقيقة لم يعترف الآخرون بوجود هذه الآية حتى يقولوا بنسخها، إضافة الى

(يَلْعُو عَنَّا قَوْمَنَا أَنَّا لَقِينَا رَبَّنَا فَرَضِي عَنَّا وَأَرْضَانَا) وَعَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ حَدَّثَهُ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ (ص) قَتَتْ شَهْرًا فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ يَدْعُو عَلَى أَحْيَاءٍ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ عَلَى رِغْلِ وَذِكْوَانَ وَعُصَيَّةٍ وَبَنِي لِحْيَانَ زَادَ حَلِيفُهُ حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ زُرَيْعٍ حَدَّثَنَا سَعِيدٌ عَنْ قَتَادَةَ حَدَّثَنَا أَنَسٌ أَنَّ أَوْلِيكَ السَّبْعِينَ مِنَ الْأَنْصَارِ قُتِلُوا بِبَيْتِ مَعُونَةَ قُرْآنًا كِتَابًا نَحْوَهُ" (البخاري، كتاب المغازي، الحديث 3781 والحديث 3786) ورواه أيضا كل من بن سعد والطبري والواقدي ومسلم (كتاب المساجد، الحديث 1085).

140 - انظر تفسير الطبري والقرطبي ، وفي تفسير الزمخشري : عن ابن عباس هي محكمة، يعني لم تنسخ ، وكان يقرأ "فما استمتعتم به منهن الى اجل مسمى ". وكذلك هي في مصحف أبي وابن مسعود.

141 - انظر تفسير ابن كثير 261/3 عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: جَلَسَ عُمَرُ عَلَى الْمِنْبَرِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَلَمَّا سَكَتَ الْمُؤَدِّثُونَ قَامَ فَأَتَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ فَأَيُّ قَائِلٍ لَكُمْ مَقَالَةٌ قَدْ فُذِرَ لِي أَنْ أَقُولَهَا لَا أُدْرِي لَعَلَّهَا بَيْنَ يَدَيَّ أَحْلِي فَمَنْ عَقَلَهَا وَوَعَاَهَا فَلْيُحَدِّثْ بِهَا حَيْثُ انْتَهَتْ بِهِ رَاجِلَتُهُ وَمَنْ خَشِيَ أَنْ لَا يَعْقِلَهَا فَلَا أَجَلَ لِأَحَدٍ أَنْ يَكْذِبَ عَلَيَّ؛ إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا (بِالْحَقِّ) وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ فَكَانَ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ آيَةَ الرَّجْمِ فَفَرَّ أَنْهَا وَعَقَلْنَاهَا وَوَعَيْنَاهَا رَجَمَ رَسُولُ اللَّهِ (صلي الله عليه وسلم) وَرَجَمْنَا بَعْدَهُ فَأَخْشَى أَنْ طَالَ بِالنَّاسِ زَمَانٌ أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ وَاللَّهِ مَا نَجِدُ آيَةَ الرَّجْمِ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَيُضِلُّوا بِتَرْكِ فَرِيضَةِ أَنْزَلَهَا اللَّهُ وَالرَّجْمُ فِي كِتَابِ اللَّهِ حَقٌّ عَلَى مَنْ زَنَى إِذَا أَحْصَنَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ إِذَا قَامَتْ النَّبِيَّةُ أَوْ كَانَ الْحَبْلُ أَوْ الْإِعْتِرَافُ ...) أَخْرَجَهُ الْبَخَارِيُّ (كتاب الحدود ، باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت ، رقم 6442:

أنه يصعب القول بنسخ آية مع بقاء حكمها في الشريعة، في الوقت الذي حافظ المسلمون على بعض الآيات رغم نسخها وإلغاء حكمها. 142

وعندما قام عثمان بجمع القرآن التزم بإثبات الناسخ والمنسوخ، مثل آية عدة الوفاة: "والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا الى الحول غير إخراج، فإن خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن من معروف، والله عزيز حكيم". (البقرة 240) المنسوخة بآية "والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتريصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا، فإذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف، والله بما تعملون خبير". (البقرة 234). فقال له عبد الله ابن الزبير: "والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا" (البقرة 240) قد نسختها الآية الأخرى (البقرة 234). ، فلم تكتبها أو تدعها؟ (أي: لماذا تثبتها بالكتابة أو تتركها مكتوبة وأنت تعلم بأنها منسوخة؟) قال: يا ابن أخي، لا أغير شيئا من مكانه. (أخرجه البخاري) وربما كانت مشكلة عدم معرفة الناسخ من المنسوخ مسئولة نوعا ما عن اختلاف مصاحف الصحابة وتعدد بعض القراءات.

الناسخ والمنسوخ

وبالرغم من وضوح معنى النسخ في القرآن، فان بعض العلماء حاولوا أن ينكروا نسخ الآيات القرآنية بتأويل كلمة (الآية) بمعنى المعجزة ، أو القول بنسخ الاسلام للتوراة والانجيل، انطلاقا من كون القرآن عبارة عن

142 - يعترف الاستاذ الأزهري نضرو عبد الصبور طنطاوي بوجود النسخ في القرآن في حياة الرسول، ولكنه يقول برفع المنسوخ ومحوه وإنسائه، ويؤكد: "القرآن الكريم هو بين أيدي المسلمين منذ أن توفي رسول الله (ص) وإلى يومنا هذا ليس فيه آية واحدة أو حكم أو كلمة أو حرف واحد منسوخ بل كله محكم قطعي واجب الاتباع باستثناء الآيات المتشابهة التي نمانا الله عن تتبعها والمنسوخ قد رفعه الله من القرآن قبل وفاة الرسول (ص) وهناك أحكام نسخها الله في حياة الرسول ومحرمات نسخها الله أيضا في حياة الرسول وكلها قد رفعها الله ومحاهها وأنساها للرسول وأحكم آياته التي هي بين دفتي المصحف الآن فكل الآيات التي في المصحف بلا استثناء ليس فيها آية واحدة منسوخة لا في أحكام الأوامر أو النواهي أو التحليل أو التحريم". طنطاوي، نضرو عبد الصبور ، قراءة للإسلام من جديد، من حوار أجرته معه حول كتابه جريدة الوفاق القومي المصرية بتاريخ 2006/2/7م.

نسخة واحدة موجودة في (اللوح المحفوظ) عند الله تعالى أو في السماء الأولى بناء على الآية الكريمة: "بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ" (سورة البروج الآية 22)، وهو غير قابل للنسخ والتعديل.¹⁴³

النظرية الإسلامية التقليدية يمكن اختصارها على النحو التالي، قبل أن يخلق الله العالم، خلق اللوح والقلم، وأمر القلم أن يسجل على اللوح كل شيء. ومع ظهور كل نبي كان جبريل يكشف له من اللوح الرسالة التي كان عليه تبليغها. وعندما جاء محمد، وحان الوقت لتفويضه شريعته، جاء إليه الملاك جبريل أيضاً، ومن فترة لأخرى خلال الإثني والعشرين عاماً أوحى له تلك الآيات من اللوح المحفوظ الذي قيل أنه كلام الله. كل عام كان جبريل يجتمع بالنبي ويسترجع الآيات التي أوحاها إليه على مر العام الماضي وذلك ليتأكد من أنه تم حفظها بشكل جيد صحيح. وآخر عام من حياة النبي راجعها الملاك معه مرتين. التاريخ النصي للقرآن [آرثر جيفري] ترجمة: إبراهيم جركس

وقد ذكر أبو الحسن الماوردي في تفسير قوله تعالى "إنا أنزلناه في ليلة القدر" أن: فيه قولان: أحدهما ما روي عن ابن عباس، قال: نزل القرآن في رمضان وفي ليلة القدر وفي ليلة مباركة جملة واحدة من عند الله تعالى من اللوح المحفوظ إلى السفارة الكرام الكاتبين في السماء الدنيا، فنجمته السفارة على جبريل عليه السلام عشرين ليلة، ونجمه جبريل على النبي (ص) عشرين سنة، فكان ينزل على مواقع النجوم ارسالا في الشهور والأيام.¹⁴⁴

وروى الثعلبي في تفسيره أيضاً عن ابن عباس، قال: أنزل القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ في ليلة القدر من شهر رمضان فوضع في بيت العزة من السماء الدنيا، ثم نزل به جبريل على محمد نحو عشرين سنة، فذلك قوله عز وجل "فلا أقسم بمواقع النجوم". فيحكم الله ما يشاء ويثبت ما يشاء ويمحو ما يشاء وينسيه ما يشاء.¹⁴⁵

¹⁴³ - يحتج أبو عبد الله محمد بن بركات السعدي على ذلك بقوله: "وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم" (الجلية 29)، ويعتقد بأن (أم الكتاب) يعني اللوح المحفوظ أو الكتاب المكنون الذي "لا يمسه الا المطهرون". (الزخرف 4). الصالح، صبحي 1958 مباحث في علوم القرآن، ص 260

¹⁴⁴ - الماوردي، في تفسيره (370/3) ؟؟؟؟

¹⁴⁵ - الثعلبي، التفسير 1/ 112 و 2/ 162 ؟؟؟؟؟ يرجى التأكد من المصدر

ولكن الاستدلال بآية "بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ" على عدم إمكانية النسخ لا يتم، فالآية "ما نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" (سورة البقرة الآية 106) صريحة بإمكانية النسخ في القرآن، وهو أمر متواتر في الأحاديث، والآية لا تعني التوراة والانجيل، لأن الله تعالى يقول في وصف القرآن الكريم: "مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ" (سورة آل عمران الآية 3) ويقول عن التوراة: "وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله، ثم يتولون من بعد ذلك، وما أولئك بالمؤمنين، إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور، يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والريانيون والأحبار..." (المائدة 43-44) ويقول عن الانجيل: "وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون". (المائدة 47) ويخاطب أهل الكتاب: "قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم..." (المائدة 68). وأما (اللوح المحفوظ) فلم يقل الله عز وجل انه لوح في السماء، وإنما قال ان القرآن المجيد محفوظ عن التزوير والتلاعب والضياع "في لوح محفوظ". كما قال العلامة محمد حسين الطباطبائي في (الميزان) في تفسير هذه الآية "بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ" (سورة البروج الآية 22): "إضراب عن إصرارهم على تكذيب القرآن، والمعنى ليس الأمر كما يدعون بل القرآن كتاب مقروء، عظيم في معناه، غزير في معارفه، في لوح محفوظ عن الكذب والباطل، مصون من مس الشياطين".

وهو ما أكده صبحي الصالح بقوله: "لسنا نميل الى الرأي القائل: إن للقرآن تنزلات ثلاثة، الأول الى اللوح المحفوظ، والثاني الى بيت العزة في السماء الدنيا، والثالث تفريقه منجما بحسب الحوادث، وان كانت أسانيد هذا الرأي كلها صحيحة (هامش: انظر الاتقان 68/1). ويظهر أن الجمهور كان ينجح الى هذا الرأي. فالزركشي في "البرهان 229/1" يقول في هذا الرأي: إنه أشهر وأصح، واليه ذهب الأكثرون" وابن حجر في "فتح الباري" يصفه "بالرأي المعتمد". ونحن مع ذلك لم نأخذ به لمخالفته صريح القرآن كما أوضحنا أعلاه، لأن هذه التنزلات المذكورة من عالم الغيب الذي لا يؤخذ فيه الا بما تواتر يقينا في الكتاب والسنة، فصحة الأسانيد في هذا القول لا تكفي وحدها لوجوب اعتقاده، فكيف وقد نطق القرآن بخلافه؟ ان القرآن الكريم لم يصرح الا بتفريق الوحي وتنجييمه...". 146

وإذا قبلنا بنظرية النسخ فلا تبقى لدينا مشكلة فيما رواه بعض الصحابة عن سقوط بعض الآيات من المصحف (العثماني)، كما ينقل مسلم في صحيحه: حَدَّثَنِي سُؤَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ عَنْ دَاوُدَ عَنْ أَبِي حَرْبِ بْنِ أَبِي الْأَسْوَدِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ بَعَثَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ إِلَى قُرَاءِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ فَدَخَلَ عَلَيْهِ ثَلَاثَ مِائَةِ رَجُلٍ قَدْ قَرَأُوا الْقُرْآنَ فَقَالَ أَنْتُمْ خِيَارُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَقُرَأَوْهُمْ فَاتْلُوهُ وَلَا يَطُولَنَّ عَلَيْكُمْ الْأَمَدُ فَتَقْسُوا قُلُوبَكُمْ كَمَا قَسَتْ قُلُوبُ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَإِنَّا كُنَّا نَقْرَأُ سُورَةَ كُنَّا نُشَبِّهُهَا فِي الطُّولِ وَالشَّدَّةِ بِرَاءَةِ فَأُنْسِيَتْهَا غَيْرَ أَبِي قَدْ حَفِظْتُ مِنْهَا (لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لَا يَنْتَعَى وَادِيًا ثَالِثًا وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ) وَكُنَّا نَقْرَأُ سُورَةَ كُنَّا نُشَبِّهُهَا بِإِحْدَى الْمُسْبِحَاتِ فَأُنْسِيَتْهَا غَيْرَ أَبِي حَفِظْتُ مِنْهَا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ فُتَكْتَبُ شَهَادَةٌ فِي أَعْنَاقِكُمْ فَتُسْأَلُونَ عَنْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ .¹⁴⁷ إذ قد يكون ما يقال أنه سقط نوعا من المنسوخ والمنسي .

وقد أعطى التفسير الخاطيء الاسطوري لكلمة (اللوح) دافعا لبعض المسيحيين للاستهزاء بالمسلمين، والادعاء بأنهم وقعوا في ورطة، كما يدعي القس جون جليكريايس الذي يتساءل عن معنى النسخ ويقول "إذا كانت هنالك أجزاء من القرآن قد نُسخَتْ و حُذِفَتْ فهل كانت هذه الأجزاء ضمن "اللوح المحفوظ"؟ إذا أجبتنا بنعم فالنتيجة الحتمية هي أن المصحف الحالي ليس نسخة طبق الأصل لما يوجد في "اللوح المحفوظ" لأن هذا الأخير لا يمكن تغيير أي جزء منه لأنه كلام الله الأبدى. إذا أجبتنا بلا فكيف أمكن أن توحى هذه الأجزاء المنسوخة لمحمد وتعتبر من القرآن خلال فترة معينة قبل نسخها وهي ليست من "اللوح المحفوظ"؟"¹⁴⁸

ولكن اشكال جليكريايس يتهاوى عندما نأخذ بنظرية المرونة والتعددية في القرآن، حسب الأحرف السبعة، وإمكانية النسخ. وإذا كان بعض الصحابة لم يستمع الى الآية الجديدة الناسخة، أو اختلط عليه الناسخ والمنسوخ فهذا يعود اليه وليس الى الله تعالى، والى الظروف الصعبة المحيطة بعملية كتابة القرآن.

147 - صحيح مسلم، كتاب الزكاة حديث رقم 1740

148 - جليكريايس، جمع القرآن، ص 57

وإذا كان القرآن نفسه يؤكد إمكانية النسخ والإنساء والتبديل (البقرة الآية 106 والنحل، الآية 6) فلا مجال لاتهام جليكريايسست المسلمين بالنسيان والجهل والاهمال والحذف المتعمد لبعض آيات القرآن أثناء عملية الجمع¹⁴⁹، كما لا مجال لإنكار النسخ والحروف السبعة.

إذن فان النسخ كان موجودا في القرآن بصريح قوله تعالى "مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ". (البقرة 106) و"وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ". (النحل 6). وكما هو واضح من آية المصابرة: "الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا، فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين، وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله، والله مع الصابرين". (الأنفال 66) التي نسخت الآية السابقة عليها "يا أيها النبي حرص المؤمنين على القتال، إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين، وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم لا يفقهون". (الأنفال 65) وقد اشار الامام علي بن أبي طالب الى تبيان النبي للناسخ والمنسوخ في القرآن.¹⁵⁰ وكان الصحابة لا يأذنون لأحد بالفتوى حتى يتعلم الناسخ والمنسوخ.¹⁵¹

ما حقيقة عرض جبرئيل للقرآن على النبي كل عام، والعرضة الأخيرة قبيل وفاته؟ وهل كانت موافقة لقراءة زيد؟

تحدثنا في (الفصل الثاني) عن الأحرف السبعة وهل كانت مؤقتة أم دائمية، واستعرضنا خلالها رأي بعض المفسرين والمحدثين الذين ادعوا نسخ الأحرف الأخرى ما عدا حرف (مصحف عثمان) الذي قالوا انه جاء وفقا للعرضة الأخيرة للقرآن الموافقة لقراءة زيد بن ثابت. ونريد الآن التأكيد من موضوع العرضة السنوية والأخيرة.

149 - جليكريايسست، جمع القرآن، ص 59 - 60

150 - الامام علي، نهج البلاغة، خطبة رقم 1

151 - الزرقاني، مناهل العرفان (136/2)، السيوطي، الإتيان في علوم القرآن (58/3).

وردت في كتب الحديث ثلاث روايات عن عرض جبرئيل القرآن على النبي في كل سنة في شهر رمضان، وعرضه في آخر سنة مرتين، فقال ابن قتيبة: "كان يعارضه في كل شهر من شهور رمضان بما اجتمع عنده من القرآن فيحدث الله اليه من ذلك ما يشاء وينسخ ما يشاء".¹⁵² ولكن ابن قتيبة لم يذكر أي سند لقوله ذلك، كعادته في نقل الأخبار اعتمادا على المشهور.

وجاء في البخاري: "أَقَالَ مَسْرُوقٌ عَنْ عَائِشَةَ عَنْ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ: أَسَرَّ إِلَيَّ النَّبِيُّ (ص) أَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُنِي بِالْقُرْآنِ كُلِّ سَنَةٍ وَإِنَّهُ عَارِضَنِي الْعَامَ مَرَّتَيْنِ وَلَا أَرَاهُ إِلَّا حَضَرَ أَجْلِي" و "حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ فَرْعَةَ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ كَانَ النَّبِيُّ (ص) أَحْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ وَأَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ لِأَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ حَتَّى يَنْسَلِحَ يَعْرِضُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ (ص) الْقُرْآنَ فَإِذَا لَقِيَهُ جِبْرِيلُ كَانَ أَحْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ" و "حَدَّثَنَا حَالِدُ بْنُ يَزِيدَ حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ عَنْ أَبِي حَصِينٍ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ كَانَ يَعْرِضُ عَلَيَّ النَّبِيُّ (ص) الْقُرْآنَ كُلَّ عَامٍ مَرَّةً فَعَرَضَ عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ فِي الْعَامِ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ".¹⁵³

وقال ابن حجر في (فتح الباري): "قد أخرج أبو عبيد من طريق داود بن أبي هند قال: قلت للشعبي: قوله تعالى "شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن" أما كان ينزل عليه في سائر السنة؟ قال: بلى. ولكن جبريل كان يعارض مع النبي (ص) في رمضان ما أنزل الله فيحكم الله ما يشاء ويثبت ما يشاء.

وبعض النظر عن المناقشة في سند هذه الروايات أو الأقوال، فانها لا توضح مضمون العرضة السنوية والأخيرة، وهل كانت على حرف واحد فقط؟ أم على الحروف السبعة، كما لا تذكر من المسلمين أو من كتاب الوحي تلقى من النبي تلك العرضة الأخيرة، ولذلك اختلف المحدثون حول من تلقى من الصحابة العرضة الأخيرة من النبي. يقول ابن حجر: "اختلف في العرضة الأخيرة هل كانت بجميع الأحرف المأذون في قراءتها أو بحرف واحد منها؟ وعلى الثاني فهل هو الحرف الذي جمع عليه عثمان جميع الناس أو غيره؟ وقد روى أحمد وابن أبي داود والطبري من طريق عبيدة بن عمرو السلماني " أن الذي جمع عليه عثمان الناس

152 - الدينوري، ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص 32

153 - ابن حجر، فتح الباري في شرح البخاري، باب كان جبرئيل يعرض القرآن على النبي (ص) وكتاب فضائل القرآن

يوافق العرضة الأخيرة " ومن طريق محمد بن سيرين قال "كان جبريل يعارض النبي (ص) بالقرآن - الحديث نحو حديث ابن عباس وزاد في آخره - : فيرون أن قراءتنا أحدث القراءات عهدا بالعرضة الأخيرة".؟؟؟؟؟

أنصار زيد بن ثابت

ونسب بعض المحدثين والمفسرين قولاً لأبي عبد الرحمن السلمي (وهو مقريء تابعي أرسله عثمان مع مصحفه الى الكوفة)¹⁵⁴ يؤكد فيه تطابق قراءة زيد (كاتب المصحف العثماني) مع العرضة أو العرضتين الأخيرتين. كما يقول ابن شامة المقدسي (665 هـ) في (المرشد الوجيز): "قال ابو عبد الرحمن السلمي: قرأ زيد بن ثابت على رسول الله (ص) في العام الذي توفاه الله فيه مرتين، وإنما سميت هذه القراءة قراءة زيد بن ثابت لأنه كتبها لرسول الله (ص) وقرأها عليه، وشهد العرضة الأخيرة، وكان يقرئ الناس بها حتى مات، ولذلك اعتمده أبو بكر وعمر في جمعه، وولاه عثمان كتب المصاحف. ورووي عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: كانت قراءة أبي بكر وعمر وعثمان وزيد بن ثابت والمهاجرين والأنصار واحدة، وكانوا يقرأون قراءة العامة، وهي القراءة التي قرأها رسول الله (ص) على جبريل مرتين في العام الذي قبض فيه".¹⁵⁵

ويكرر البغوي .¹⁵⁶ والبيهقي.¹⁵⁷ نفس الرواية والتعليق، رغم أن الأخير يعزو في (السنن الصغرى) استقرار القراءة على مصحف عثمان الى الاجماع، ويقول " فَلَمَّا اسْتَقَرَّتِ الْقِرَاءَةُ ، عَلَى مَا اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ

154 - ابو عبد الرحمن السلمي: هو عبد الله بن حبيب بن ربيعة السلمي، ولد في حياة النبي (ص)، وقرأ القرآن على عثمان وعلي وابن مسعود وزيد بن ثابت، وهو مقريء الكوفة، ظل يقرئ الناس بمسجدها الأعظم أربعين سنة. معرفة القراء الكبار (52-53/1)، وشذرات الذهب (92/1).

155 - ابن شامة المقدسي، عبد الرحمن بن اسماعيل (665 هـ): المرشد الوجيز الى علوم تتعلق بالقرآن العزيز، ص 71.

156 - البغوي، شرح السنة (526/4-525)، وانظر البرهان في علوم القرآن (237/1).

157 - البيهقي، دلائل النبوة (156/7-155).

الصَّحَابَةِ وَأَثْبَتُوهُ فِي الْمَصَاحِفِ عَلَى اللُّغَاتِ الَّتِي قَرَّوْهُ عَلَيْهَا صَارَ ذَلِكَ إِمَامًا يُفْتَدَى بِهِ لَا يَجُوزُ مُفَارَقَتُهُ
بِالْقَصْدِ إِلَّا أَنْ يَزَلَ الْخِطُّ فَيُبَدَّلَ اسْمًا بِاسْمٍ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ " 158.

وبالرغم من وجود الشك والاختلاف حول العرضة الأخيرة لأنها كانت على حرف واحد، أو على قراءة زيد بن ثابت أو عبد الله بن مسعود، فإن ابن تيمية يقطع بأنها نسخت الأحرف الأخرى، وأنها كانت مطابقة لقراءة زيد، فيقول: "أن هذه القراءات لم تثبت متواترة عن النبي، وإن ثبتت فإنها منسوخة بالعرضة الآخرة، فإنه قد ثبت في الصحاح عن عائشة وابن عباس رضي الله عنهم أن جبريل عليه السلام كان يعارض النبي بالقرآن في كل عام مرة، فلما كان العام الذي قبض فيه عارضه به مرتين، والعرضة الآخرة هي قراءة زيد بن ثابت وغيره، وهي التي أمر الخلفاء الراشدون أبو بكر وعمر وعثمان وعلي بكتابتها في المصاحف، وكتبها أبو بكر وعمر في خلافة أبي بكر في صحف، أمر زيد بن ثابت بكتابتها، ثم أمر عثمان في خلافته بكتابتها في المصاحف وإرسالها إلى الأمصار، وجمع الناس عليها باتفاق من الصحابة على وغيره..." وقد ثبت في الصحيح أنه جمع القرآن كله على عهد النبي جماعة من الصحابة، كالأربعة الذين من الأنصار، وكعبد الله بن عمرو. ويضيف ابن تيمية: "الأشبه والله أعلم هو الوجه الأول، وأن هذا كان فيما أنزل القرآن فيه على حروف عدة، فإن القول المرضي عند علماء السلف الذي يدل عليه عامة الأحاديث وقراءات الصحابة: أن المصحف الذي جمع عثمان الناس عليه هو أحد الحروف السبعة، وهو العرضة الآخرة، وأن الحروف السبعة خارجة عن هذا المصحف، فإن الحروف السبعة كانت مختلفة المل، مع أن المعنى غير مختلف ولا متضاد". 159

158 - البيهقي، السنن الصغرى، 1028

159 - ابن تيمية، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (395/13) ويؤكد الدكتور محمد شرعي أبو زيد ذلك الرأي قائلاً: "كانت هذه العرضة الأخيرة بمنزلة المراجعة النهائية للكتاب الحكيم، عرض فيها القرآن الكريم مرتين، فأثبت فيه جميع الأوجه الثابتة غير المنسوخة، وترك ما نُسخ منه، فما ثبت في هذه العرضة هو القرآن المحكم المعجز المتعبد بتلاوته إلى يوم القيامة، وما لم يثبت فيما أن يكون قرآناً منسوخاً، وإما أنه ليس بقرآن، وكلاهما ليس له حكم القرآن من التعبد والإعجاز.. ويضيف: "وقد ورد من الروايات ما يدل على أن من الصحابة ٧ من حضر تلك العرضة كزيد بن ثابت، وعبد الله بن مسعود وغيرهم". أبو زيد، محمد شرعي (دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن)، جمع القرآن في مراحلها التاريخية من العصر النبوي إلى العصر الحديث (ماجستير من جامعة الكويت 1999) الفصل الرابع العرضة الأخيرة، موقع الدكتور محمد شرعي

http://www.sharei.net/J_quran/ch1/009.htm

وفي مقابل ذلك الرأي العثماني الرسمي، توجد روايات أخرى تؤكد تطابق قراءة عبد الله بن مسعود مع العرضة الأخيرة للقرآن، حيث يقول الامام أحمد بن حنبل: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَعْزُّضُ الْقُرْآنَ عَلَى جَبْرِيلَ فِي كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً، فَلَمَّا كَانَتِ السَّنَةُ الَّتِي قُبِضَ فِيهَا عَرْضُهُ عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ، فَكَانَتْ قِرَاءَةُ عَبْدِ اللَّهِ آخِرَ الْقِرَاءَةِ.¹⁶⁰

وأخرج الحاكم نحوه من طريق مجاهد عن ابن عباس قال: أي القراءتين ترون كان آخر القراءة؟ قالوا: قراءة زيد ابن ثابت، فقال: لا، إن رسول الله (ص) كان يعرض القرآن كل سنة على جبريل، فلما كان في السنة التي قبض فيها عرضه عليه مرتين وكانت قراءة ابن مسعود آخرهما ". وهذا يغاير حديث سمرة ومن وافقه، وعند مسدد في مسنده من طريق إبراهيم النخعي " أن ابن عباس سمع رجلا يقول: الحرف الأول، فقال: ما الحرف الأول؟ قال إن عمر بعث ابن مسعود إلى الكوفة معلما فأخذوا بقراءته فغير عثمان القراءة، فهم يدعون قراءة ابن مسعود الحرف الأول، فقال ابن عباس: إنه لآخر حرف عرض به النبي (ص) على جبريل ". وأخرج النسائي من طريق أبي ظبيان قال " قال لي ابن عباس: أي القراءتين تقرأ؟ قلت: القراءة الأولى قراءة ابن أم عبد - يعني عبد الله بن مسعود - قال: بل هي الأخيرة، أن رسول الله (ص) كان يعرض على جبريل - الحديث وفي آخره - فحضر ذلك ابن مسعود فعلم ما نسخ من ذلك وما بدل " وإسناده صحيح.

وهذا ما ذهب إليه أيضا القرطبي، الذي يقول: "روى وكيع وجماعة معه عن الأعمش عن أبي ظبيان قال: قال لي عبد الله بن عباس: أي القراءتين تقرأ؟ قلت: القراءة الأولى قراءة ابن أم عبد، فقال لي: بل هي الآخرة، إن رسول الله (ص) كان يعرض القرآن على جبريل في كل عام مرة، فلما كان العام الذي قبض فيه رسول الله (ص) عرضه عليه مرتين، فحضر ذلك عبد الله فعلم ما نسخ من ذلك وما بدل.¹⁶¹

ان الرواية المتعلقة ببدء جمع القرآن بعد مقتل القراء في معركة اليمامة في زمن أبي بكر، تدل على أن القرآن لم يكن كله مجموعا أو محفوظا لدى جميع الصحابة، وأن بعضهم كان أحفظ من بعض، وبعضهم يمتلك صحفا تتضمن سورا لا يملكها البعض الآخر وبعضهم يحفظ آيات لا توجد عند شخص آخر.

160 - الامام أحمد، المسند: مسند بني هاشم (535/1) حديث رقم 2992

161 - القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري، تفسير القرطبي، دار الفكر

ولذلك فرع عمر الى أبي بكر طالبا منه أن يأمر بجمع القرآن، وخاف من ضياع القرآن مع القراء في المعارك الأخرى.

ما هي الحقيقة؟

ان الروايات المختلفة التي ذكرها البخاري ومسلم وأحمد حول العرضة الأخيرة للقرآن، بغض النظر عن سندها، يعتبرها الشك ، فهي لم ترد عن رسول الله، ولا عن زيد بن ثابت أو عبد الله بن مسعود، ولم ترد بصورة علنية ظاهرة، فرواية عائشة عن فاطمة تصرح بأن النبي أسرَّ لها بأن القرآن عرض عليه مرتين. وهو ما يثير الشك بأصل قضية تلقي النبي عرضة أخيرة للقرآن، أو أنه كان يتلقى العرضة من جبرئيل كل سنة مرة أو مرتين، ولو كان الرسول قد تلقى عرضة من جبرئيل وعرضها على زيد أو غيره من الصحابة لكان جمع الصحابة وهم ألوف وطلب منهم الاستماع اليها ومراجعة صحفهم وأوراقهم والتأكد منها، ولما اضطر زيد للجوء الى الصحابة في عملية جمع القرآن فيما بعد، ولو كان لديه مصحف خاص به معروض على رسول الله، كما يزعم أبو عبد الرحمن السلمي، لكان اعتمد عليه خلال عملية الجمع الطويلة ولم يحتاج الى سؤال هذا أو ذاك من الصحابة. ولاعتمد عليه الخلفاء أبو بكر وعمر وعثمان بصورة مستقلة. ولو كان لدى أي شخص نسخة أخيرة رسمية للقرآن مؤيدة من الرسول وموثقة بالعرضة الأخيرة من جبرئيل لكانت أصبحت النسخة الرسمية منذ وفاة رسول الله، ولما تعددت المصاحف والقراءات، ولما احتفظ الصحابة بمصاحفهم الأخرى.

ولو كان القرآن قد عرض على النبي عرضة أخيرة وأن النبي عرضه على بعض الصحابة لما اختلف كبار كتاب الوحي حول موقع (بسم الله الرحمن الرحيم) من فواتح السور، وهل أنها جزء من كل سورة؟ أو مجرد فاصل بين السور؟. وكذلك لو كان القرآن عرض عرضة أخيرة لاتفق المسلمون حول ترتيب السور والآيات، وهو ما لم يحدث، فقد ظل الجدل قائما بين المسلمين حول ترتيبها، ويقال ان الامام علي بن أبي طالب أو عبد الله بن مسعود رتب السور بشكل معين يخالف ترتيب مصحف عثمان، الذي جاء حسب اجتهاد بقية الصحابة. 162

162 - يقول ابن حجر: "وأما ترتيب المصحف على ما هو عليه الآن، فقال القاضي أبو بكر الباقلاني: يحتمل أن يكون النبي (ص) هو الذي أمر بترتيبه هكذا، ويحتمل أن يكون من اجتهاد الصحابة، ثم رجح الأول بما سيأتي في الباب الذي بعد

ولذا يحتمل أن تكون الروايات الأخرى التي تتحدث عن تلقي زيد أو عبد الله بن مسعود للعرضة الأخيرة مختلقة من قبل أنصار مصحف عثمان (كأبي هريرة وأبي عبد الرحمن السلمي) أو المعارضين له (كابن عباس تلميذ ابن مسعود) الذين كانوا يحاولون الدفاع عن مصاحفهم الخاصة، فاختلقوا حكاية العرضة الأخيرة وادعوا لأصحابهم. وبما أن الروايات التي تتحدث عن العرضة غامضة وضعيفة فقد حاول ابن حجر أن يجمع بين الروايتين فقال: "ويمكن الجمع بين القولين بأن تكون العرضتان الأخيرتان وقعتا بالحرفين المذكورين. فيصح إطلاق الأخيرة على كل منهما".؟؟؟؟ وحكى النووي شارح صحيح مسلم وقوع بعض أهل العلم في حيرة وأنه لا يُدرى أي القراءات كانت العرضة الأخيرة.¹⁶³ وإذا وجدت الحيرة فلا أثر لدعوى العرضة لأنها غير مؤكدة، ولا ناسخة لأية قراءة أخرى. وأما ما يدعيه ابن تيمية بقوة من أن العرضة الأخيرة كانت وفق قراءة زيد فهي دعوى بلا دليل، ولا أثر لها خلال العقود الأولى في التاريخ الإسلامي الأول في عهد الخلفاء الراشدين.

الخلاصة:

ان القرآن الكريم لم يكتب في عهد رسول الله (ص) بصورة كاملة ونسخة واحدة، ولم يجمع لدى رجل واحد، بل نزل على سبعة أحرف، وكان متفرقا على صحف لدى بعض الصحابة ومحفوظا في صدور أكثرهم، وبما أن القرآن نزل منجما فان النبي كان يضع الآيات الجديدة هنا وهناك بين الآيات السابقة، وكان الله تعالى

هذا أنه كان النبي (ص) يعارض به جبريل في كل سنة. فالذي يظهر أنه عارضه به هكذا على هذا الترتيب، وبه جزم ابن الأنباري، وفيه نظر، بل الذي يظهر أنه كان يعارضه به على ترتيب النزول. نعم ترتيب بعض السور على بعض أو معظمها لا يمتنع أن يكون توقيفا وإن كان بعضه من اجتهاد بعض الصحابة، وقد أخرج أحمد وأصحاب السنن وصححه ابن حبان والحاكم من حديث ابن عباس قال " قلت لعثمان: ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني وإلى براءة وهي من المثاني فقرنتم بهما ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتموهما في السبع الطوال؟ فقال عثمان: كان رسول الله (ص) كثيرا ما ينزل عليه السورة ذات العدد، فإذا نزل عليه الشيء - يعني منها - دعا بعض من كان يكتب فيقول: ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا، وكانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة وبراءة من آخر القرآن وكان قصتها شبيهة بما فظنت أنها منها. فقبض رسول الله (ص) ولم يبين لنا أنها منها هـ. فهذا يدل على أن ترتيب الآيات في كل سورة كان توقيفا، ولما لم يفصح النبي (ص) بأمر براءة أضافها عثمان إلى الأنفال اجتهادا منه رضي الله تعالى عنه. ابن حجر، فتح الباري في شرح صحيح البخاري ، باب تأليف القرآن

ينسخ بعض الآيات، أو يبدلها أو ينسبها، مما كان يعوق عملية الكتابة بشكل نهائي، فضلا عن عدم معرفة بعض الصحابة للناسخ والمنسوخ. ولم يثبت وجود عرضة سنوية ولا عرضة أخيرة للقرآن قبيل وفاة النبي، وبالطبع فلا دليل على نسخ مصحف عثمان الذي كتبه زيد بن ثابت للأحرف الستة الأخرى.

الباب الثاني: عملية جمع القرآن ومبادرة عثمان لتوحيد المصاحف

الفصل الأول: تعدد مصاحف الصحابة والفوارق فيما بينها / لم يكتمل بعد ///

يذكر الدكتور آثر جفري ناشر (كتاب المصاحف) لأبي بكر عبد الله بن أبي داود السجستاني، (المتوفى 316) عناوين عشرة كتب أخرى تدور حول المصاحف واختلافها، لمؤلفين من القرن الثاني والثالث والرابع، بعضهم من اصحاب القراءات السبع المشهورة.¹⁶⁴ ويقول: "لم يصل الينا من هذه الكتب الا كتاب المصاحف للسجستاني". (بحاجة الى تحقيق) وبناء على ذلك نحن لا نعرف ماذا كانت تتضمن تلك الكتب

164 - هي: 1- كتاب اختلاف مصاحف الشام والحجاز والعراق لابن عامر (المتوفى 118). 2- كتاب اختلاف مصاحف أهل المدينة وأهل الكوفة وأهل البصرة، عن الكسائي (المتوفى 189). 3- كتاب اختلاف أهل الكوفة والبصرة والشام في المصاحف، للفراء البغدادي (المتوفى 207). 4- كتاب اختلاف المصاحف، لخلف بن هشام (المتوفى 229). 5- كتاب اختلاف المصاحف وجامع القراءات، للمدائني (المتوفى 231). 6- كتاب اختلاف المصاحف، لأبي حاتم (المتوفى 248). 7- كتاب المصاحف والهجاء، لمحمد بن عيسى الأصبهاني (المتوفى 253). 8- كتاب المصاحف، لابن الأنباري (المتوفى 327). 9- كتاب المصاحف، لابن آشته الأصبهاني (المتوفى 360). 10- كتاب غريب المصاحف، للوراق.

السجستاني، أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث : كتاب المصاحف، مقدمة آثر جفري، ص 10، دار التكوين للنشر والتوزيع، دمشق 2004 الطبعة الأولى

وهل كانت تتحدث عن اختلاف المصاحف والقراءات في إطار مصحف عثمان؟ أم أنها كانت تتحدث أيضا عن مصاحف الصحابة واختلاف البلدان الاسلامية (الشام والحجاز والعراق والمدينة والكوفة والبصرة) قبل أن يجمع عثمان المسلمين على مصف واحد؟ ولكن (كتاب المصاحف) للسجستاني يتحدث الينا ليس فقط عن اختلاف القراءات ضمن إطار مصحف عثمان، وإنما يتحدث أيضا عن اختلاف مصاحف الصحابة (عبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب، وعمر وعلي وعائشة وحفصة وابن عباس وغيرهم) وحدوث الفتنة والاختلاف بين المسلمين وخصوصا بين أهل العراق والشام، وفي داخل المدينة، وهو الأمر الذي دفع عثمان لتوحيد المصاحف على حرف واحد.

وعندما ننظر الى تلك الاختلافات بين مصاحف الصحابة ندرك أنها لم تكن كالاختلافات التي حدثت لاحقا في القرون التالية، بين القراء ضمن إطار قراءة مصحف عثمان. وهذا هو الفرق بين الأحرف السبعة، والقراءات السبع.

وسوف نستعرض في هذا الفصل ما وصل الينا من اختلاف بين مصاحف الصحابة، ثم نتحدث في فصل لاحق عن الاختلاف بين القراء ضمن إطار مصحف عثمان.

عنون السجستاني في الجزء الثاني والثالث من (كتاب المصاحف) بابا تحت عنوان (اختلاف مصاحف الصحابة) وقال: "إنما قلنا (مصحف فلان) لما خالف مصحفنا هذا من الخط أو الزيادة أو النقصان، أخذته عن أبي رحمه الله، هكذا فعل في كتاب التنزيل"، وسوف نضيف الى ما ذكر ما وصلنا من روايات من مصادر أخرى، علما بأننا سوف نحذف الأسناد، ونكتفي بمتن الروايات، اختصارا للقراء، وذلك لأن هذه الروايات تعتبر منذ القرون الأولى، قراءات شاذة لا يعمل بها، بالرغم أن بعضها ورد بصورة متواترة في مصادر متعددة وبأسناد صحيحة، بينما ورد بعضها بصورة أخبار آحاد.

وقد جاء فيه ، في روايات عديدة: كان عمر يقرأ: "صراط من أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم وغير الضالين".¹⁶⁵ وأنه قرأ في صلاة الصبح سورة آل عمران فقرأ " ألم الله لا اله الا هو الحي القيّام".¹⁶⁶ وأن عبد الله ابن الزبير سمع عمر يقرأ" في جنات يتساءلون يا فلان ما سلكك في سقر".¹⁶⁷

2- مصحف علي بن أبي طالب

وجاء فيه عن علي أنه قرأ "آمن الرسول بما أنزل اليه وآمن المؤمنون" . (البقرة 285) بنقصان: من ربه، وزيادة: وآمن. ¹⁶⁸ وقرأ الامام محمد الباقر: "وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي (ولا محدث) الا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم آياته، والله عليم حكيم". (الحج 52)¹⁶⁹ وقال: "إنها هكذا في كتاب علي".¹⁷⁰

3- مصحف أبي بن كعب

وجاء فيه زيادة (الى أجل مسمى) في آية المتعة "فما استمتعتم به منهن الى أجل مسمى". (النساء 24) وجاء فيه "للذين يُقسمون" بدل "يؤلون من نسائهم"؟؟؟ و"فلا جناح عليه ألا يطوف بهما" بدل "أن

165 - السجستاني، أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث : كتاب المصاحف، ص 51

166 - السجستاني، أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث : كتاب المصاحف، ص 52

167 - السجستاني، أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث : كتاب المصاحف، ص 52

168 - السجستاني، أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث : كتاب المصاحف، ص 53

169 - الكليني، الكافي، كتاب الحجّة، باب أن الأئمة يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء، ح رقم 1 و 2 و 3 و 4 والكليني، الكافي، كتاب الحجّة، باب في أن الأئمة محدثون مفهمون، ح رقم 2 وهي قراءة يرويها البخاري ومسلم والنسائي والترمذي، وينسبونها الى ابن عباس، أنه قرأ (مِنْ نَبِيٍّ وَلَا مُحَدِّثٍ). ابن حجر العسقلاني، فتح الباري في شرح صحيح البخاري ، حديث 3486

170 - الصفار، بصائر الدرجات، ج 7 باب 6 ح رقم (13)

يطوف". (البقرة 185) و"فصيام ثلاثة أيام متتابعات في كفارة اليمين" بدل "ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم". (المائدة 89) 171

وجاء فيه "يا أيها الذين آمنوا والذين هادوا والصابغون والنصارى..." بدل "ان الذين آمنوا". (المائدة 69) ،
والأولى أصح نحويًا وتحمل مشكلة (الصابغون) المرفوعة في محل نصب في مصحف عثمان. 172

4 - مصحف عبد الله بن مسعود

وبينما لم يذكر السجستاني سوى بضعة روايات عن مصاحف الصحابة فإنه ذكر أكثر من 177 رواية عن ابن مسعود، تختلف فيها عن مصحف عثمان بالحروف والكلمات والجمل والآيات، وتحتوي على زيادة ونقصان وإبدال في 49 سورة من سور القرآن. وربما كانت كثرة الرواية عنه بسبب رفضه تسليم مصحفه لعثمان وطلبه من تلامذته وأصحابه أن يغلوا مصاحفهم ويخفوها، وقد ظهرت نسخة من مصحف ابن مسعود في بغداد في نهاية القرن الرابع الهجري. 173 أي بعد حوالي مائة عام من تأليف السجستاني لكتابه. وسوف نكتفي بذكر بعض النماذج من مصحف ابن مسعود، فقد جاء فيه "إن الله لا يظلم مثقال نملة" بدل "ذرة". (النساء 40) و"واركعي واسجدي في الساجدين" بدل ما هو موجود في مصحف عثمان "واسجدي واركعي مع الراكعين". (آل عمران 43) ووجدت فيه إضافة "في مواسم الحج" أو "في مواسم الحج فابتغوا حينئذ" إلى آية "ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم". (البقرة 189) وقرأ عبد الله "بل يدها بسطان، أو بيطان" بدل "بل يدها مبسوطتان". (المائدة 64) وقرأ "وتزودوا وخير الزاد التقوى" بحذف حرف (فإن) من آية "وتزودوا فان خير الزاد التقوى". (البقرة 197) كما قرأ "وثومها" بدل "وفومها". (البقرة 61) 174 وأضاف إلى سورة العصر آية "والعصر ، إن الإنسان لفي خسر، وإنه فيه إلى آخر

171 - السجستاني، أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث : كتاب المصاحف، ص 53

172 - أبو عبيد القاسم بن سلام، فضائل القرآن، فقرة رقم 564 ؟؟؟؟؟؟؟؟؟

173 - وأثارت فتنة طائفية بين السنة والشيعة، وقتل فيها أناس. ؟؟؟؟؟؟؟

174 - السجستاني، أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث : كتاب المصاحف، ص 54 و 55

الدهر".¹⁷⁵ وقرأ: أولئك لهم نصيب ما اكتسبوا" بدل "مما اكتسبوا". (البقرة 202) وقرأ "وأقيموا الحج والعمرة للبيت" بدل "وأتموا الحج والعمرة لله". (البقرة 196)¹⁷⁶ واستبدل كلمة بأخرى فقرأ "وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم قِبَله" بدل "شطره" (البقرة 144) وقرأ "كذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى" (هود 102) بغير واو.¹⁷⁷ وقرأ "ما ننسك من آية أو ننسخها" (106/2) وقرأ "ومن يأكل أموال اليتامى ظلماً وإنما يأكل في بطنه نارا وسوف يصلى سعيراً" (النساء 10) وقرأ بدون (فسوف) الآية "ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب نؤته أجراً عظيماً" (النساء 74) وقرأ "وقد تركوك أن يعبدوك وأهنتك" بدل "أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآهنتك" (الأعراف 127) وقرأ "جرين بكم" بدل "حتى إذا كنتم في البحر وجرين بهم" (يونس 22) وقرأ "الكافرون" بدل "الكفار" (الرعد 42) وقرأ "إما يبلغان عندك الكبر إما واحد وإما كلاهما" (بني إسرائيل 23) وقرأ "إذن للذين قاتلوا بأنهم ظلموا" بدل "يقاتلون" (الحج 39) وقرأ "لولا أن منَّ الله علينا لانخسف بنا" بدل "لنخسف بنا" (القصص 82) واستبدل كلمة "بشرى" بـ "رحمة" في الآية الثالثة من سورة لقمان. وقرأ "ومن تعمل مكم من الصالحات وتقتنت لله ورسوله" بدل "ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحاً" (الأحزاب 31) وحذف (أو أن) من هذه الآية "إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد" (غافر 26) وقرأ "وخياركم" بدل "إن أكرمكم عند الله أتقاكم" (الحجرات 13)

178

ونقل صاحب "الإقناع" أن البسمة لبراءة ثابتة في مصحف ابن مسعود، قال: ولا يؤخذ بهذا.

5 - مصحف عبد الله ابن عباس

¹⁷⁵ - السجستاني، أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث : كتاب المصاحف، ص 55

¹⁷⁶ - السجستاني، أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث : كتاب المصاحف، ص 56

¹⁷⁷ - السجستاني، أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث : كتاب المصاحف، ص 56

قال ابن عباس قراءتي قراءة زيد، وأنا آخذ بيضعة عشر حرفاً من قراءة ابن مسعود، هذا أحدها: "وثومها" بدل "وفومها". (البقرة 61) ¹⁷⁹ وقرأ أيضاً: "فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما" (البقرة 158) وقرأ " وشاورهم في بعض الأمر" (آل عمران 159) وقرأ "وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي محدث" (الحج 52) باضافة (محدث) ¹⁸⁰ وفي رواية البخاري "ولا محدث" . وقدم كلمة (يقول) فقرأ "وما يعلم تأويله، ويقول الراسخون آمننا به" بدل "وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمننا به" (آل عمران 7) وأضاف كلمة (وصلاة العصر) الى آية "حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر" (البقرة 238) وأضاف (الى أجل مسمى) الى آية المتعة "فما استمتعتم به منهن" (النساء 24) ¹⁸¹ وعن أبي نضرة قال قرأت على ابن عباس "فما استمتعتم به منهن" فقال ابن عباس "الى أجل مسمى" قال قلت: ما هكذا أقرأها، قال: والله لقد نزلت معها، قالها ثلاثاً. ¹⁸²

6 - مصحف عبد الله بن الزبير

عن عبيد الله بن أبي يزيد، قال سمعت ابن الزبير وهو يخطب: "لا جناح عليكم أن تبتغوا فضلاً من ربكم في مواسم الحج" (البقرة 198) ¹⁸³ وأضاف (الفساق) فقرأ "فيصبح الفساق على ما أسروا في أنفسهم نادمين" بدل "فيصبحوا على ما أسروا" (المائدة 52) وأضاف جملة الى هذه الآية "ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويستعينون بالله على ما أصابهم" (آل عمران 104) وكان يقرأ "صراط من أنعمت عليهم" بدل "الذين أنعمت" (الفاحة 7)

¹⁷⁹ - السجستاني، أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث : كتاب المصاحف، ص 55

¹⁸⁰ - السجستاني، أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث : كتاب المصاحف، ص 75

¹⁸¹ - السجستاني، أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث : كتاب المصاحف، ص 77

¹⁸² - السجستاني، أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث : كتاب المصاحف، ص 81

¹⁸³ - السجستاني، أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث : كتاب المصاحف، ص 82

7 - مصاحف عائشة وحفصة وأم سلمة أزواج الرسول (ص)

عن أبي يونس مولى عائشة، قال كتبت لعائشة مصحفا فقالت : إذا مررت بآية الصلاة فلا تكتبها حتى أمليها عليك، قال فأملتها علي "حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر" (البقرة 238) 184 وقالت حميدة: أوصت لنا عائشة رضي الله عنها بمتاعها فكان في مصحفها "إن الله وملائكته يصلون على النبي والذين يصلون في الصفوف الأول". (المؤمنون 56) بزيادة الجملة الأخيرة " والذين يصلون في الصفوف الأول". 185

وهكذا ورد عن سالم بن عبد الله أن حفصة أمرت انسانا أن يكتب لها مصحفا وقالت : إذا بلغت هذه الآية (البقرة 238) فأذني، فلما بلغ آذنها فقالت: اكتبوا "حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر". 186

وعن عبد الله بن أبي رافع مولى أم سلمة أنها قالت له : اكتب لي مصحفا فاذا بلغت هذه الآية فأخبرني... فقالت أكتب: "حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر" أو "صلاة العصر" بدون (واو). 187 ويبدو من هذه الأخبار أنه رغم قيام عثمان بن عفان بتوحيد القراءة على حرف واحد، فقد استمر بعض الصحابة وبعض أزواج النبي بقراءة القرآن كما تعلموه من النبي، كما انعكست قراءاتهم على عدد من التابعين، كعبيد بن عمير الليثي، وعطاء بن أبي رباح، وعكرمة، ومجاهد، وسعيد بن جبير، والأسود بن يزيد،

184 - السجستاني، أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث : كتاب المصاحف، ص 84

185 - السجستاني، أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث : كتاب المصاحف، ص 85

186 - السجستاني، أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث : كتاب المصاحف، ص 85 و

187 - السجستاني، أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث : كتاب المصاحف، ص 87-88

وعلقمة بن قيس النخعيين، ومحمد بن أبي موسى (الشامي)، وحطان بن عبد الله الرقاشي (البصري)، وصالح بن كيسان (المديني) وسليمان بن مهران الأعمش (الكوبي) الذين روى عنهم السجستاني اختلافات بسيطة في قراءاتهم في بعض الآيات ، عن مصحف عثمان. 188

وأهم اختلاف بين مصاحف الصحابة كان في مصحف عبد الله بن مسعود الذي لم يكن يعتبر الفاتحة من الكتاب، وكذلك السورتين الأخيرتين من مصحف عثمان: (الفلق والناس) اللتين كان يعتبرهما مجرد دعاء، وأما مصحف أبي بن كعب، فقد كان يضيف سورة الحفد، التي كان يعتبرها الآخرون دعاء من الأدعية التي دعا بها رسول الله، وليست من القرآن.؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟

وكما رأينا في هذه المصاحف، فإن اختلاف الصحابة وكتاب الوحي والمقربين من النبي في قراءتهم للقرآن ، يدل على نزول القرآن على سبعة أحرف، وعلى السماح بقراءته على المعنى أحيانا، أو حذف حرف أو إضافة حرف، أو كلمة أو حتى جملة معينة. وإذا كانت هذه الروايات تعتبر في نظر الفقهاء والمحدثين والمفسرين شاذة وضعيفة ولا يعمل بها، بعد اتفاق المسلمين على العمل والالتزام بمصحف عثمان، فإنها لم تكن في زمانها أي زمان الصحابة شاذة ولا مهملة، وإنما كان العمل بها حرا وكانت قراءتها متواترة عند أصحابها، لأنهم سمعوا من النبي مباشرة، ولكنهم لم يكونوا ليخطئوا أحدا يقرأ بخلافها، لأنهم كانوا يعلمون أن القرآن نزل على سبعة أحرف، كما قال عبد الله بن مسعود عندما كان يخرج من الكوفة ، لأصحابه الذين جاءوا لتوديعه : لا تنازعوا في القرآن فإنه لا يختلف ولا يتلاشى ولا يتغير لكثرة الرد، وإن شريعة الاسلام وحدوده وفرائضه فيه واحدة ، ولو كان شئ من الحرفين ينهى عن شئ يأمر به الآخر ، كان ذلك الاختلاف ، ولكنه جامع ذلك كله ، لا تختلف فيه الحدود ولا الفرائض ، ولا شئ من شرائع الاسلام ، ولقد رأيتنا نتنازع فيه عند رسول الله (ص) ، فيأمرنا فنقرأ عليه ، فيخبرنا أننا كلنا محسن ... فمن قرأ قرأتني فلا يدعنها رغبة عنها ، ومن قرأ على شئ من هذه الحروف فلا يدعنه رغبة عنه ، فإنه من جحد بأية جحد به كله. 189 و إني قد سمعت القراء فوجدتهم متقاربين، فافروا كما علمتم وإياكم والتنطع فإنما هو كقول

188 - السجستاني، كتاب المصاحف، ص 88 - 91

189 - الطبري في مقدمة تفسيره: حديث رقم 16 - حدثني يونس بن عبد الاعلى ، قال أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني هشام بن سعد ، عن علي بن أبي علي ، عن زيد (في نسخة زيد) ، عن علقمة النخعي ،

ولما لم يكن هنالك نسخة واحدة للقرآن، مجمع عليها، فقد انتشرت تلك المصاحف الشخصية التي جمعها كتاب الوحي الكبار، مع انتشار المسلمين في الآفاق خصوصا بعد الفتوح التي تمت في عهد عمر بن الخطاب. وقد حمل كل صحابي (كاتب للوحي) مصحفه واتجه الى مصر من الأمصار، يدعو الى الله ويعلم العلم ويقري القرآن، وكان الناس يقرؤون كما عُلِّموا، فأهل الشام يقرؤون بقراءة أبي بن كعب، وأهل الكوفة يقرؤون بقراءة عبد الله بن مسعود، وأهل البصرة يقرؤون بقراءة أبي موسى الأشعري، وهكذا. 191

وقد اشتهر من المصاحف كل من:

- 1- مصحف عبد الله بن مسعود، وقد كان يشتمل على معظم القرآن ما عدا سورة الفاتحة، ويحتوي على زيادة بعض السور. وقد انتشر في الكوفة والعراق.
- 2- مصحف أبي بن كعب، وقد انتشر في الحجاز والشام.
- 3- مصحف أبي موسى الأشعري، وقد انتشر في البصرة.

قال . ورواه الامام أحمد في المسند مطولا ، وفيه : " إن القرآن لا يختلف ولا يستثن ولا يتفه لكثرة الرد " .
انظر المسند ج 2 حديث 3845 وفي رواية أخرى قال عبد الله : من كفر بحرف من القرآن أو بأية منه فقد كفر به كله. الطبري في مقدمة تفسيره: حديث رقم 49 - حدثنا ابن حميد قال : حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، عن عبد الله . ورواه أحمد بأطول من هذا في المسند (ج 2 حديث 3845)

190 - الطبري في مقدمة تفسيره: حديث رقم 39

191 - انظر تأويل مشكل الآثار (193/4)، وفتح الباري(8/633-634) ، ومناهل العرفان

(255/1) ابن أبي داود في كتاب المصاحف، باب كراهية عبد الله بن مسعود ذلك. ص 20.

ملف رقم 7 عملية جمع القرآن ب 2 ف 2

الباب الثاني: عملية جمع القرآن

192

الفصل الثاني: أسباب جمع القرآن وتوحيد المصاحف في عهد الخلفاء الراشدين

استعرضنا في الفصل الماضي عددا من الاختلافات في مصاحف الصحابة وكتاب الوحي، في الحروف والكلمات والجمل، بناء على نزوله على سبعة أحرف، وكنا توصلنا في فصل أسبق الى أن القرآن الكريم لم يكن مجموعا كله، ولم يكن مكتوبا كله بين دفتين، ولم يكن موحدا. ¹⁹³ وسوف نبحث في هذا الفصل الظروف والأسباب التي دفعت الخلفاء الراشدين للمبادرة الى جمع القرآن في (مصحف) واحد، كالخوف على القرآن من الزيادة والنقصان أو الضياع . ثم قيامهم بتوحيد القراءة وتوحيد المصاحف على حرف واحد، هو (المصحف العثماني) وإلغاء المصاحف الأخرى، وذلك بعد حدوث الاختلاف والنزاع بين المسلمين، وحجية الاجماع على قراءة معينة، ومدى حجية الأحرف والمصاحف الأخرى الملغية. ¹⁹⁴

192 _

193 - الطبري في مقدمة تفسيره: حديث رقم 53 - حدثني سعيد بن الربيع ، قال : حدثنا سفيان بن عيينة ، عن الزهري ، قال : قبض النبي (ص) ولم يكن القرآن جمع ، وإنما كان في الكرايف (الكرايف : أصول السعف الغلاظ العراض التي إذا يبست صارت مثل الاكتاف جمع كرافة) والعسب (أو السعف) .

194 - وسوف نبحت في الفصول التالية من هذا الباب: ردود الفعل الشعبية الاسلامية على عملية جمع القرآن وتوحيد المصاحف، والقراءات السبع أو العشر التي تدور في اطار حرف (مصحف عثمان) والاختلافات فيما بينها. والدعاوى بحذف أو اسقاط بعض الآيات أو تغييرها، كتلك الاتهامات التي يطلقها بعض المستشرقين أو بعض الطوائف الاسلامية الشيعية والسنية بالتحريف.

4- الخوف من الزيادة في القرآن

هناك رواية تنسب عملية الجمع الأولى بعد وفاة النبي مباشرة، الى الإمام علي بن أبي طالب. قال أبو بكر عبد الله ابن أبي داود السجستاني في (كتاب المصاحف): "حدثنا عبد الله قال: حدثنا محمد بن اسماعيل الأحمسي، قال: حدثنا ابن فضيل عن أشعث عن محمد بن سيرين، قال: لما توفي النبي (ص) أقسم علي أن لا يرتدي برداء الا لجمعة حتى يجمع القرآن في مصحف، ففعل، فأرسل اليه أبو بكر بعد أيام: أكرهت أمارتي يا أبا الحسن؟ قال: لا والله الا أني أقسمت أن لا أرتدي برداء الا لجمعة. فبايعه ثم رجع.¹⁹⁵ وفي رواية أخرى عن عكرمة قال: "... رأيت كتاب الله يُراد فيه، فحدّثت نفسي أن لا ألبس ردائي إلا لصلاة حتى أجمعه".¹⁹⁶

ويقول علي بن إبراهيم القمي في (تفسيره) في رواية ينقلها بسنده عن أبي بكر الحضرمي عن أبي عبد الله (جعفر الصادق): إنّ رسول الله (ص) قال لعلي: يا علي، القرآن خلف فراشي في المصحف والحريير والقرطيس فخذوه واجمعوه ولا تضيّعوه كما ضيعت اليهود التوراة، فانطلق علي فجمعه في ثوب أصفر، ثم ختم عليه في بيته، وقال: لا ارتدي حتى أجمعه، وإن كان الرجل ليأتيه فيخرج إليه بغير رداء حتى جمعه؟؟؟؟ وقد ضعف ابن أبي داود الرواية الأولى من ناحيتين: الأولى: السند، فقال: إن أشعث لين الحديث، والثانية: من ناحية المتن، رافضا قيام الامام علي بجمع القرآن بمعنى جمعه في مصحف، وقال: "لم يذكر المصحف أحد الا أشعث.. وانما رووا: (حتى أجمع القرآن)، يعني أتم حفظه، فانه يقال للذي يحفظ القرآن قد جمع القرآن".¹⁹⁷

195 - السجستاني، عبد الله بن أبي داود، كتاب المصاحف، ص 10

196 - ابن الضريس، فضائل القرآن ص 76-77

197 - السجستاني، كتاب المصاحف، ص 10

وشكك ابن حجر أيضا بالسند والمتن وقال: "إسناده ضعيف لانقطاعه".¹⁹⁸

والملفت في رواية عكرمة قول الامام علي: " رأيت كتاب الله يزداد فيه " وهو أمر مشكوك فيه، أو غير معروف ولا متوقع أن تتم الزيادة في القرآن غداة وفاة رسول الله، أو في حياته، إلا إذا كان يعني الزيادات العفوية الناتجة عن الغلط وعدم الدقة في الحفظ والنقل، وإذا كان هذا هو الهدف فقد كان يفترض أن يبادر الامام علي الى جمع القرآن كتابة وليس حفظا، وقد كان محفوظا في قلبه من قبل، خلافا لتفسير السجستاني وابن حجر لكلمة (الجمع) والا فما هي فائدة حفظ الامام علي للقرآن في قلبه إذا كان يتعرض للزيادة في الخارج؟. وهو ما يؤكد رواية القمي من أن الامام علي هو أول من جمع القرآن، ولكن السؤال هو: أين اصبح (مصحف علي) وما ذا كان مصيره؟ ولماذا لم يعتمد عليه أبو بكر وعمر وعثمان في عملية جمعهم للقرآن، إن كان موجودا؟ وهل صحيح ما يقال إنه بقي محفوظا عند أهل البيت؟

وهناك رواية تقول إن سالم مولي أبي حذيفة (وهو أحد كتاب الوحي وواحدا من بين أربعة رجال أمر النبي أصحابه أن يأخذوا القرآن عنهم)¹⁹⁹ كان أول من جمع القرآن في مصحف. ²⁰⁰ وقد قتل سالم في حرب اليمامة في السنة الثانية عشرة من الهجرة. ولكن هذه الرواية لا تقول متى جمع سالم القرآن؟ في حياة الرسول؟ أو بعد وفاته؟ ولا أثر لها، وتتناقض مع الرواية التالية عن جمع القرآن بعد حرب اليمامة، ولو كان سالم قد جمع القرآن فعلا في مصحف لما احتاج أبو بكر أن يطلب من زيد القيام بذلك.

5- خوف الضياع والنقصان

198 - ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري 628/8

199 - صحيح البخاري- كتاب فضائل القرآن 4615 وكتاب المناقب 3524

200 - السيوطي - الإتقان في علوم القرآن، عن بن بريدة قال: " أول من جمع القرآن في مصحف سالم مولى أبي حذيفة "؟؟؟؟؟

وإذا كانت الرواية الأولى تقول إن الامام علي قد بادر الى جمع القرآن حفاظا عليه من الزيادة فيه، فإن الرواية الثانية تقول إن المبادرة الرسمية الأولى المشهورة والمعروفة والمؤكدة، تمت في عهد أبي بكر، وقد انطلقت حفاظا على القرآن من الضياع والنقصان. وكان جمع أبي بكر للقرآن بعد موقعة اليمامة بين المسلمين وأهل الردة من أتباع مسيلمة الكذاب سنة اثني عشرة للهجرة، والتي استشهد فيها سبعون من حفظة القرآن من الصحابة، مما دفع عمر بن الخطاب ليقتراح على أبي بكر القيام بجمع القرآن.

ضاع قرآن كثير

يقول السجستاني: حدثنا ابو الربيع قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني يونس عن ابن شهاب قال بلغنا انه كان أنزل قرآن كثير فقتل علماءه يوم اليمامة الذين كانوا قد وعوه فلم يعلم بعدهم ولم يكتب... وذلك فيما بلغنا حملهم على أن يتبعوا القرآن فجمعوه في الصحف في خلافة ابي بكر خشية أن يقتل رجال من المسلمين في المواطن معهم كثير من القرآن فيذهبوا بما معهم من القرآن ولا يوجد عند أحد بعدهم. 201

ويقول البخاري: "حدثنا موسى بن إسماعيل عن إبراهيم بن سعد حدثنا ابن شهاب عن عبيد بن السباق أن زيد بن ثابت رضي اللهم عنهم قال أرسل إلي أبو بكر ، مقتل أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده قال أبو بكر (رض) إن عمر أتاني فقال إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن، قلت لعمر: كيف تفعل شيئا لم يفعله رسول الله (ص)؟ قال عمر: هذا والله خير. فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ورأيت في ذلك الذي رأى عمر. قال زيد: قال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله (ص) فتتبع القرآن فاجمعه. فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن. قلت: كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله (ص)؟ قال هو والله خير. فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر (رض) فتتبع القرآن أجمعه من العسب

واللخاف وصدور الرجال²⁰²... فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حياته ثم عند حفصة بنت عمر رضي اللهم عنهم".²⁰³

وهذه الرواية تؤكد أن زيدا لم يكن لديه مصحف خاص به، وأن القرآن لم يكن مجموعا في (مصحف) ولا مجموعا في بيت حتى بصورة متفرقة.²⁰⁴ ولكن الحارث المحاسبي (243 هـ) يرفض هذه النتيجة ويقول في كتاب (فهم السنن): "كتابة القرآن ليست بمحدثة، فانه (ص) كان يأمر بكتابتها، ولكنه كان مفرقا في الرقاع والأكتاف والعصب، وانما أمر الصديق بنسخها من مكان الى مكان مجتمعا، وكان ذلك بمنزلة أوراق وجدت في بيت رسول الله (ص) فيها الأوراق منتشرا، فجمعها جامع وربطها بخيط، حتى لا يضيع منها شيء".²⁰⁵ وعن ابن شهاب عن سالم وخارجة أن أبا بكر الصديق كان جمع القرآن في قراطيس، وكان قد سأل زيد

202 - الادم جمع أديم ، وهو الجلد المدبوغ . والكسر : جمع كسرة ، وهي القطعة المكسورة من الشيء .
والاكتاف : جمع كتف ، وهو عظم عريض في أصل كتف الحيوان من الناس والدواب كانوا يكتبون فيه .
والعصب : جمع عسيب ، وهو جريد النخل إذا نحي عنه خوصه .

203 - صحيح البخاري- كتاب فضائل القرآن-4603 باب جمع القرآن، وكتاب الأحكام رقم 6654
وكتاب تفسير القرآن رقم 4311

204 - خلافا لما يقول الدكتور صبحي الصالح أن "كل ما يكتب كان يوضع في بيت رسول الله (ص) وينسخ الكتاب لأنفسهم نسخة منه، فتعاونت نسخ هؤلاء الكتاب والمصحف التي في بيت النبي مع حافظة الصحابة الأميين وغير الأميين، على حفظ القرآن وصيانتها، مصداقا لقوله تعالى "انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون". الصالح، صبحي 1958 مباحث في علوم القرآن، ص 74 أو يقول الدكتور الصالح: "ظفر مصحف أبي بكر بإجماع الأمة عليه وتواتر ما فيه، وأكثر العلماء على أن طريقة كتابته اشتملت على الأحرف السبعة التي أنزل بها القرآن، فشابه في هذه الناحية الأخيرة جمع القرآن الأول على عهد الرسول الأمين".²⁰⁴ يمزج الصالح بين الاحرف السبعة والقراءات والمصاحف المختلفة

205 - الصالح، صبحي 1958 مباحث في علوم القرآن، ص 74 عن (البرهان 238/1 والاتقان

بن ثابت النظر في ذلك فأبى حتى استعان عليه بعمر ففعل.²⁰⁶ وهو ما يؤكد السيوطي أيضا في "الاتقان" حيث يقول بأن القرآن قد كتب كله في عهد الرسول و بقي محتفظا عليه بعناية بالغة لكن لم يجمع في موضع واحد قبل وفاته.²⁰⁷ ((يراجع نص الاتقان والصفحة))

ولكن ذلك قول بلا دليل ولا اسناد لأحد، ولو كان القرآن مجموعا في بيت واحد أو في نسخة واحدة نهائية وكاملة ومعروضا على زيد أو على بقية المسلمين، في العرضة الأخيرة من قبل الرسول، لما خاف عمر من ضياع القرآن، ولما أمر أبو بكر زيدا أن يجمعه، ولما شعر زيد بثقل المهمة أنها أثقل من نقل جبل من مكانه.

وعندما وافق زيد على كتابة القرآن، قام عمر بن الخطاب في الناس فقال: من كان تلقى من رسول الله (ص) شيئا من القرآن فليأتنا به، وكانوا كتبوا ذلك في الصحف والألواح والعصب، وكان لا يقبل من أحد شيئا حتى يشهد شهيدان.²⁰⁸ وأقعد عمر لزيد نفرا من أصحابه وقال إذا اختلفتم في اللغة فاكتبوها بلغة مضر، فان القرآن نزل على رجل من مضر. وفي رواية أخرى: لا يملين في مصاحفنا الا غلمان قريش وثقيف.
209

وفي ذات يوم قدم أبو الدرداء في نفر من أهل دمشق الى المدينة ومعه مصحف ، فقرأ يوما على عمر بن الخطاب فلما قرأوا هذه الآية: " إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية ولو أحميتم كما حموا لفسد المسجد الحرام". (الفتح 26) فقال عمر من أقرأكم؟ قالوا أبي بن كعب، فقال لرجل من أهل المدينة، ادع الي أبي بن كعب، وقال للرجل الدمشقي انطلق معه، فذهبا فوجدا أبي بن كعب عند منزله يهني بغيرا له

206 - السجستاني، أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث : كتاب المصاحف، ص 9

207 - السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، 1 ص 126

208 - السجستاني، أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث : كتاب المصاحف، ص 10-11

209 - السجستاني، أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث : كتاب المصاحف، ص 11

هو بيده، فسلمنا عليه، ثم قال له المدني، أجب أمير المؤمنين عمر، فقال أبي: ولما دعاني أمير المؤمنين؟ فأخبره المدني بالذي كان، فقال أبي للدمشقي ما كنتم تنتهون معشر الركب أو يشدني منكم شر، ثم جاء الى عمر وهو مشمر والقطران على يديه، فلما أتى عمر قال لهم عمر: اقرأوا، فقرأوا "ولو حميتكم كما حموا لفسد المسجد الحرام"، فقال أبي أنا أقرأهم، فقال عمر لزيد اقرأ، فقرأ زيد قراءة العامة، فقال: الله لا أعرف الا هذا، فقال أبي والله يا عمر انك لتعلم أبي كنت أحضر ويغيبون وادعا ويحبون ويصنع بي، والله لئن أحببت لألزم بيتي فلا أحدث احدا بشيء. 210

وقد استمر زيد بعمله في عهد أبي بكر وعمر. وليس من المعروف كم استطاع زيد أن يجمع من القرآن في عهد أبي بكر الذي توفي بعد معركة اليمامة بقليل؟ ولا أدري ما هو مصدر الدكتور صبحي الصالح الذي يقول: "قد تم لأبي بكر جمع القرآن كله خلال سنة واحدة تقريبا، لأن أمره زيدا بجمعه كان بعد واقعة اليمامة، وقد حصل الجمع بين هذه الواقعة ووفاة أبي بكر". 211 كما ليس من المعروف أن زيدا قد أكمل كتابة المصحف في عهد عمر الذي استمر عشر سنوات، وإن كان من المؤكد أنه قد كتب شظرا كبيرا منه، إذ يقول السجستاني: قتل عمروزيد يجمع ذلك اليه. 212 وأودعه عمر عند وفاته لدى ابنته حفصة زوج الرسول، ولو كان الجمع قد تم واكتمل في عهد أبي بكر أو عمر لما احتاج عثمان الى أن يقوم بجمعه من جديد، أو أن يأمر زيد بكتابته مرة ثانية.

210 - السجستاني : حدثنا عبد الله حدثنا هشام بن خالد حدثنا الوليد حدثنا عبد الله بن العلاء ابن زبير عن عطية بن قيس عن ابي ارديس الخولاني أن أبا الدرداء ركب الى المدينة... كتاب المصاحف، ص 155 - 156

211 - الصالح، صبحي 1958 مباحث في علوم القرآن، ص 77

212 - السجستاني، أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث : كتاب المصاحف، ص 10- 11

6- توحيد القراءة على حرف واحد من أجل منع الاختلاف بين المسلمين

ان السبب الثالث الذي دفع المسلمين الى جمع القرآن بعد خمسة عشر عاما من وفاة الرسول، هو حدوث الاختلاف بين المسلمين حول قراءة القرآن، وتنازعهم وتكفير بعضهم بعضا. واذا كانت المبادرة السابقة قد مرت بسلام، فان المبادرة التالية كانت محل خلاف شديد بينهم، وذلك لأنها قضت على الأحرف السبعة وعلى التعددية في قراءة القرآن²¹³، فمنهم من رحب بها وأيدها، ومنهم من عارضها ورفضها. وقد جاءت هذه المبادرة في ظل تطور سلبي نفسي وثقافي لدى المسلمين، جعلهم يتعدون عن ثقافة الاختلاف الحضاري والقبول بروح التعدد التي كرسها الرسول الأعظم في تلاوة القرآن، ودأب على تعليمهم روح التسامح والمرونة المقترنة مع الأحرف السبعة. واذا شئنا التعبير بلغة عصرية لقلنا تراجع الروح الديمقراطية الاسلامية التعددية نحو الاستبداد والرأي الواحد.

وكما بينا في الباب الأول فقد أنزل القرآن على سبعة أحرف، وهو أمر لم يستوعبه بعض الصحابة في زمان رسول الله (ص) الا بعد تدخل الرسول مباشرة، وتأكيده لهم على صحة جميع القراءات، وإصراره على تعليمهم التسامح وقبول التعدد في قراءة القرآن على سبعة أحرف، ولذلك فان جيل التابعين لم يستوعب هو الآخر مسألة الأحرف السبعة وكاد يحول الاختلاف الى اقتتال وتكفير.

وكان هؤلاء القراء من الصحابة قد شهدوا نزول القرآن، وسمعوه من النبيّ، وعلموا وجوه قراءته، ولم يكن شيء من ذلك لمن تعلّم منهم في الأمصار، فكانوا إذا اجتمع الواحد منهم مع من قرأ على غير الوجه الذي قرأ عليه يعجبون من ذلك، وينكر بعضهم على بعض، وقد يصل الأمر إلى تأثيم أو تكفير بعضهم البعض. وقد أكد ذلك الامام علي بن أبي طالب فيما بعد، وقال للمحتجين الذين رفضوا مبادرة عثمان: "يا أيها الناس لا تقولوا في عثمان ولا تقولوا له إلا خيرا في المصاحف وإحراق المصاحف، فوالله ما فعل الذي فعل

213 - خلافا لما يقوله الدكتور صبحي الصالح تبعا للقاضي أبو بكر الباقلاني: من أن "الصحيح أن هذه الأحرف السبعة ظهرت واستفاضت عن رسول الله (ص) وضبطها عنه الأئمة، وأثبتها عثمان والصحابة في المصحف، وأخبروا بصحتها، وإنما حذفوا منها ما لم يثبت متواترا". الصالح، صبحي 1958 مباحث في علوم القرآن، ص 102 فكيف تكون الأحرف السبعة مستفيضة ومضبوطة وصحيحة، وحذفوا منها ما لم يثبت متواترا؟

إلا عن ملاً منا جميعا ، فقال: ما تقولون في هذه القراءة؟ فقد بلغني أن بعضهم يقول إن قراءتي خير من قراءتك و هذا كاد أن يكون كفرا. فقلنا فما ترى؟ قال نرى أن نجتمع الناس على مصحف واحد فلا تكون فرقة ولا يكون اختلاف، قلنا فنعم ما رأيت. السجستاني، كتاب المصاحف باب جمع عثمان المصاحف ص 22 .
قال الحافظ ابن حجر: بإسناد صحيح. فتح الباري 634/8

اختلاف المعلمين والتلامذة في المدينة

أول مؤشر على ظهور الاختلاف بين المسلمين حول قراءة القرآن، كان في المدينة المنورة، فقد أخرج ابن جرير الطبري في تفسيره من طريق أيوب عن أبي قلابة أنه قال: " لما كان في خلافة عثمان جعل المعلم يعلم قراءة الرجل، والمعلم يعلم قراءة الرجل، فجعل الغلمان يلتقون فيختلفون حتى ارتفع ذلك الى المعلمين، حتى كفر بعضهم بعضا بقراءة بعض، فبلغ ذلك عثمان فخطب فقال: " أنتم عندي تختلفون فيه وتلحنون، فمن نأى عني من أهل الأمصار أشد فيه اختلافا وأشد لحنا. اجتمعوا يا أصحاب محمد فاكتبوا للناس إماما".²¹⁴

وعن أبي قلابة: قال لما كان في خلافة عثمان جعل المعلم يعلم قراءة الرجل والمعلم قراءة الرجل فجعل الغلمان يلتقون فيختلفون حتى ارتفع ذلك الى المعلمين، قال أيوب: لا أعلمه الا قال حتى كفر بعضهم بقراءة بعض، فبلغ ذلك عثمان فقام خطيبا فقال: أنتم عندي تختلفون فيه فتلحنون ، فمن نأى عني من الامصار أشد فيه اختلافا وأشد لحنا، اجتمعوا يا أصحاب محمد واكتبوا للناس إماما.²¹⁵

وفي هذا الوقت كان أناس بالعراق يسأل أحدهم عن الآية فإذا قرأها قال: فاني أكفر بهذه، ففشا ذلك في الناس واختلفوا في القرآن.²¹⁶ وعن يزيد بن معاوية النخعي قال: إني لفي المسجد زمن الوليد بن عقبة

214 - تفسير الطبري 21/1 والاتقان 102/1 - 103 نقلا عن ابن أشته في كتاب المصاحف، و ابن أبي داود في كتاب المصاحف باب جمع عثمان المصاحف ص 28-29

215 - الطبري في مقدمة تفسيره: حديث رقم 51 والسجستاني، أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث : كتاب المصاحف، ص 21

216 - السجستاني، أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث : كتاب المصاحف، ص 23

(والي عثمان) في حلقةٍ فيها حذيفة، إذ هَتَفَ هاتِفٌ : مَنْ كَانَ يَقْرَأُ عَلَى قِرَاءَةِ أَبِي مُوسَى فَلْيَأْتِ الزَّوِيَّةَ الَّتِي عِنْدَ أَبْوَابِ كِنْدَةَ، وَمَنْ كَانَ يَقْرَأُ عَلَى قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ فَلْيَأْتِ هَذِهِ الزَّوِيَّةَ الَّتِي عِنْدَ دَارِ عَبْدِ اللَّهِ، وَاخْتَلَفَا فِي آيَةِ مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، قَرَأَ هَذَا: " وَأَتُّمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ". (البقرة 196) فغضب حذيفةٌ واحمَرَّتْ عيناه... فقال: إِنَّمَا أَنْ يَرْكَبَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَإِنَّمَا أَنْ أَرْكَبَ، فَهَكَذَا كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ. 217 وعن أبي الشعثاء: قال كنا جلوسا في المسجد وعبد الله يقرأ فجاء حذيفة، فقال: قراءة ابن أم عبد وقراءة أبي موسى الأشعري، والله ان بقيت حتى آتي أمير المؤمنين (يعني عثمان) لأمرته يجعلها قراءة واحدة. قال فغضب عبد الله فقال لحذيفة كلمة شديدة قال فسكت حذيفة. 218

اختلاف أهل العراق وأهل الشام في غزوة أرمينية وأذربيجان

وفي عام خمس وعشرين من الهجرة اجتمع أهل الشام وأهل العراق في غزو أرمينية وأذربيجان. فكان أهل الشام يقرؤون بقراءة أبي بن كعب، وأهل العراق يقرؤون بقراءة عبد الله بن مسعود، فتنازع أهل الشام وأهل العراق في القراءة، حتى خطأ بعضهم بعضاً، وأظهر بعضهم إكفار بعض، والبراءة منه، وكادت تكون فتنة عظيمة. 219

وقد شهد ذلك حذيفة بن النعمان، فقال لسعيد بن العاص: لقد رأيت في سفرتي هذه أمراً، لئن ترك الناس ليختلفن في القرآن ثم لا يقومون عليه أبداً. قال: وما ذاك؟ قال: رأيت أناساً من أهل حمص يزعمون أن قراءتهم خير من قراءة غيرهم وأنهم أخذوا القرآن عن المقداد، ورأيت أهل دمشق يقولون: إن قراءتهم خير من قراءة غيرهم، ورأيت أهل الكوفة يقولون مثل ذلك وإنهم قرأوا على ابن مسعود، وأهل البصرة يقولون مثل

217 - السجستاني، أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث : كتاب المصاحف، ص 12 و 18

218 - السجستاني، أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث : كتاب المصاحف، ص 13

219 - الطبري في مقدمة تفسيره: حديث رقم 52 وابن حجر، فتح الباري (632/8)، والبداية والنهاية (150/7)

ذلك وإنهم قرأوا على أبي موسى ويسمون مصحفه لباب القلوب. فلما وصلوا إلى الكوفة أخبر حذيفة الناس بذلك وحذرهم ما يخاف، فوافقه أصحاب رسول الله، (ص) وكثير من التابعين. وقال له أصحاب ابن مسعود: ما تنكر؟ ألسنا نقرأه على قراءة ابن مسعود؟ فغضب حذيفة ومن وافقه، وقالوا: إنما أنتم أعراب فاسكتوا فإنكم على خطأ. وقال حذيفة: والله لئن عشت لآتين أمير المؤمنين، ولأشيرن عليه أن يحول بين الناس وبين ذلك. فأغلظ له ابن مسعود، فغضب سعيد وقام وتفرق الناس، وغضب حذيفة وسار إلى عثمان فاخبره بالذي رأى، وقال: أنا النذير العريان فأدركوا الأمة. فجمع عثمان الصحابة وأخبرهم الخبر، فأعظموه ورأوا جميعاً ما رأى حذيفة. 220

وعن زيد بن ثابت أن حذيفة بن اليمان قدم من غزوة غزاهما، فلم يدخل بيته حتى أتى عثمان، فقال: يا أمير المؤمنين، أدرك الناس! فقال عثمان: وما ذاك؟ قال: غزوت فرج أرمينية، فحضرها أهل العراق وأهل الشام، فإذا أهل الشام يقرؤون بقراءة أبي، فيأتون بما لم يسمع أهل العراق، فيكفروهم أهل العراق، وإذا أهل العراق يقرؤون بقراءة ابن مسعود، فيأتون بما لم يسمع أهل الشام، فيكفروهم أهل الشام. 221 و عن ابن شهاب أن أنس بن مالك: فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة قبل أن يحتلوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى. 222

وبناء على ذلك قام عثمان فخطب الناس فقال: أيها الناس عهدكم بنبيكم منذ ثلاث عشرة سنة وأنتم تمترون في القرآن وتقولون قراءة أبي وقراءة عبد الله، يقول الرجل والله ما تقيم قراءتك، فاعزم على كل رجل منكم كان معه من كتاب الله شيئاً لما جاء به، وكان الرجل يجيء بالورقة والأديم فيه القرآن حتى جمع من ذلك

220 - ابن الأثير 492/1

221 - رواه الطحاوي في تأويل مشكل الآثار، باب بيان مشكل ما روي عن رسول الله من قوله: أنزل القرآن على سبعة أحرف. (193/4). وذكره الحافظ في الفتح (633/8)

222 - البخاري، الصحيح، كتاب فضائل القرآن باب جمع القرآن (626/8) حديث 4987

كثرة، ثم دخل عثمان فدعاهم رجلا رجلا فناشدهم: لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أملاه عليك؟ فيقول نعم... 223

وعن مصعب بن سعد قال سمع عثمان قراءة أبي وعبد الله ومعاذ، فخطب الناس ثم قال: إنما قبض نبيكم منذ خمس عشرة سنة وقد اختلفتم في القرآن، عزمت على من عنده شئ من القرآن سمعه من رسول الله (ص) لما أتاني به، فجعل الرجل يأتيه باللوح والكتف والعسب فيه الكتاب، فمن أتاه بشئ قال: أنت سمعت من رسول الله (ص). 224

وأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلني إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك فأرسلت بها حفصة إلى عثمان فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش وإنما نزل بلسانهم ففعلوا. 225 قال أبو قلابة فحدثني مالك بن أنس، قال كنت فيمن أملى عليهم ، فرما اختلفوا في الآية فيذكرون الرجل قد تلقاها من رسول الله (ص) ولعله أن يكون غائبا أو في بعض البوادي فيكتبون ما قبلها وما بعدها ويدعون موضعها حتى يجيء أو يرسل اليه،. 226

وقال زيد : فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت سمعت رسول الله يقرأ بها، فالتمسناها فوجدناها مع خزيمه بن ثابت الأنصاري "من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه" فألحقناها في سورتها في المصحف. 227

223 - السجستاني، أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث : كتاب المصاحف، ص 23

224 - السجستاني، أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث : كتاب المصاحف، ص 24

225 - البخاري، الصحيح، كتاب فضائل القرآن باب جمع القرآن (626/8) حديث 4987 و4601

226 - السجستاني، أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث : كتاب المصاحف، ص 21

227 - السيوطي، الإتقان ، ص 130

وفي رواية أخرى يقول زيد: فلما فرغت عرضته عرضة ، فلم أجد فيه هذه الآية : " من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه - إلى قوله - وما بدولوا تبديلا " . (الأحزاب 23) فاستعرضت المهاجرين أسألهم عنها ، فلم أجدها عند أحد منهم . ثم استعرضت الانصار أسألهم عنها ، فلم أجدها عند أحد منهم . حتى وجدتها عند خزيمة بن ثابت ، فكتبتها . ثم عرضته عرضة أخرى ، فلم أجد فيه هاتين الآيتين : "لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم" . (التوبة 128) إلى آخر السورة . فاستعرضت المهاجرين ، فلم أجدها عند أحد منهم . ثم استعرضت الانصار أسألهم عنها ، فلم أجدها عند أحد منهم . حتى وجدتها مع رجل آخر يدعى خزيمة أيضا ، فأثبتتها في آخر براءة . ولو تمت ثلاث آيات لجعلتها سورة على حدة . ثم عرضته عرضة أخرى لم أجد فيه شيئا .²²⁸

وعن أبي بن كعب، أنهم جمعوا القرآن من مصحف أبي فكان رجال يكتبون يملئ عليهم أبي بن كعب فلما انتهوا الى الآية التي في سورة براءة " ثم انصرفوا" أثبتوا ان هذه الآية آخر ما أنزل الله تعالى من القرآن، فقال أبي بن كعب ان رسول الله قد أقرأني بعد هذا آيتين "لقد جاءكم رسول..." قال فهذا آخر ما أنزل من القرآن.²²⁹ وفي رواية "فاجتمعوا فكتبوا، فكانوا اذا اختلفوا وتدارؤوا في أي آية قالوا: هذه أقرأها رسول الله (ص) فلانا، فيرسل اليه وهو على رأس ثلاث من المدينة فيقال له: كيف أقرأك رسول الله (ص) آية كذا وكذا؟ فيقول: كذا وكذا، فيكتبونها، وقد تركوا لذلك مكانا".²³⁰

228 - الطبري في مقدمة تفسيره: حديث رقم 50 ، والبخاري في القرآن باب 3 ، والاحكام باب 37 ، تفسير سورة 9 باب 20 . والترمذي في تفسير سورة 9 باب 18 .

229 - السجستاني، أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث : كتاب المصاحف ، ص 30

230 - السجستاني، كتاب المصاحف ، ص 21

حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق. 231

تكليف زيد بمهمة كتابة القرآن

وفي سبب اختيار زيد بن ثابت لكتابة القرآن ، قيل إن عثمان سأل : أي الناس أفصح وأي الناس أقرأ؟ فقالوا أفصح الناس سعيد بن العاص وأقرأهم زيد بن ثابت. فقال فليكتب أحدهما وليمل الآخر.؟؟؟؟

ولكن الجواب لم يكن شافيا ولا حاسما، فقد ظل السؤال قائما عن سبب اختيار زيد من دون بقية كتاب الوحي، ليس في هذه المرة فقط ، وإنما منذ البداية، في عهد أبي بكر وعمر، بالرغم من جلالة أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود الذي أعلن اعتراضه على تكليف زيد بهذه المهمة علنا وبقوة.

ولكي نطلع على ظروف السؤال ومكانة زيد بين الكاتبيين الآخرين، يجدر بنا أن نلقي بعض الضوء على تاريخ الكتاب الثلاثة وأعمارهم ومكانتهم الاجتماعية وقوة حافظتهم.

1- عبد الله بن مسعود

هو عبد الله بن مسعود بن غافل ، أبو عبد الرحمن الهذلي المكي، الذي يقال: إنه كان سادس من أسلم. وقد هاجر الهجرتين، وشهد بدرًا وأحدًا والخندق وبيعة الرضوان، وسائر المشاهد مع رسول الله (ص) وكان كثير الشغف بالقرآن حتى عرف بأنه أول من جهر بالقرآن في مكة ، وبدأ يكتب القرآن في مكة، وأخذ من في رسول الله سبعين سورة. وقد روى الشيخان في صحيحيهما والترمذي من حديث عبد الله بن عمرو إنه قال لما ذكر عنده ابن مسعود فقال ذاك رجل لا أزال أحبه بعدما سمعت رسول الله يقول (استقرئوا القرآن من أربعة - ابن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل).؟؟؟؟

231 - البخاري، الصحيح، كتاب فضائل القرآن باب جمع القرآن (626/8) حديث 4987 و4601

وعن عمر بن الخطاب ، قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) لَا يَزَالُ يَسْمُرُ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ اللَّيْلَةَ كَذَلِكَ فِي الْأَمْرِ مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّهُ سَمَرَ عِنْدَهُ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَأَنَا مَعَهُ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) وَخَرَجْنَا مَعَهُ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ. فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ يَسْمَعُ قِرَاءَتَهُ، فَلَمَّا كِدْنَا أَنْ نَعْرِفَهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص): (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَطْبًا كَمَا أُنزِلَ، فَلْيَقْرَأْهُ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدِ). قَالَ: ثُمَّ جَلَسَ يَدْعُو، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) يَقُولُ لَهُ: (سَلْ تُعْطَهُ). فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا أَعْدُونَ إِلَيْهِ، فَلَا بُشْرَةَ. قَالَ: فَعَدَوْتُ، فَوَجَدْتُ أَبَا بَكْرٍ قَدْ سَبَقَنِي.

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بن مسعود : وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، لَقَدْ قَرَأْتُ مِنْ فِي رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بِضْعًا وَسَبْعِينَ سُورَةً، وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ بِكِتَابِ اللَّهِ مِثِّي تُبَلِّغُنِيهِ إِلَّا بِلِ الْأَيْتِهِ. وعنه أيضا: مَا نَزَلَتْ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا وَأَنَا أَعْلَمُ أَيَّنَ نَزَلَتْ، وَفِيمَا نَزَلَتْ.

وقد سيره عمر بن الخطاب إلى الكوفة، وكتب إلى أهلها : إني قد بعثت عمار بن ياسر أميرًا، وعبد الله بن مسعود معلمًا ووزيرًا، وهما من النجباء من أصحاب رسول الله من أهل بدر؛ فاقتدوا بهما وأطيعوا واسمعوا قوْلَهُمَا، وقد آثرتمكم بعبد الله على نفسي. ويقال ان عمر بن الخطاب قال لابن مسعود: «أقربى الناس بلغة قريش، ولا تقرئهم بلغة هذيل؛ فإن القرآن لم ينزل بلغة هذيل».؟؟؟؟؟

وأخرج ابن أبي داود: حدثنا عبد الله حدثنا أحمد بن سنان حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن ابراهيم عن علقمة قال وحدثنا عن خيثمة عن قيس بن مروان قال وهو الذي أتى عمر، قال جاء رجل الى عمر وهو يعرفه فقال: يا أمير المؤمنين جئتك من الكوفة وتركت بها رجلا يملئ المصاحف عن ظهر قلبه، قال فغضب عمر... قال من هو ويحك؟ قال: هو عبد الله بن مسعود، قال فما زال يطفأ ويتسرى عنه الغضب حتى عاد الى حالته التي كان عليها، ثم قال: ويحك والله ما اعلم بقي من الناس أحد هو أحق بذلك منه، وسأحدثك عن ذلك، كان رسول الله (ص) .. قال من سره أن يقرأ القرآن رطبا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد.

232

وَتُوِّفِيَ عَبْدُ اللَّهِ بن مسعود سنة 32هـ بالمدينة، ودفن بالبقيع، وكان عمره يوم توفِّي بضعا وستين سنة.

2- أبي بن كعب بن قيس الخزرجي الأنصاري، توفي سنة 30؟

هو أحد فقهاء الصحابة وقراءهم، وأحد الإثني عشر الذين بايعوا الرسول في بيعة العقبة ، وزعيما من زعماء الأنصار الذين استقبلوا رسول الله في يثرب، وشهد كل الغزوات معه، وكان من كُتَّاب الوحي، وأول من كتب لرسول الله عند مقدمه المدينة، وكان أُبَيُّ إذا لم يحضر دعا رسول الله زيد بن ثابت فكتب.؟؟؟؟؟ ويقال انه كان حبرا من أحبار اليهود.؟؟؟؟؟

وكان من أفضل قراء كتاب الله عز وجل ، وقد روي أن أبي بن كعب قال: سألتني رسول الله ما هي برأيك أعظم آية جاءت في القرآن الكريم؟، فقلت: آية الكرسي، فضرب رسول الله على صدري، وقال لي: ليهنئك العلم يا أبا المنذر. صحيح مسلم

وقد قال عنه النبي : (أقرأ أمتي أبي) [الترمذي.؟؟؟؟] وقد أسند إليه النبي مهمة تعليم الوفود القرآن وتفقيها في الدين، وكان النبي إذا غاب عن المدينة يستخلفه لإمامة المسلمين في الصلاة، وشهد أبي مع عمر بن الخطاب وقعة الجابية، التي خطب فيها قائلا: (أيها الناس من كان يريد أن يسأل عن القرآن فليأت أبي بن كعب). وامتدحه عمر بن الخطاب بقوله: "سيد المسلمين أبي بن كعب".

وتوفي في خلافة عثمان، وقيل في زمن عمر.

3- زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري

وهو أصغر الثلاثة، وكان يوم قدم النبي للمدينة طفلا لا يتجاوز سنه إحدى عشرة سنة. وقد رده النبي في غزوة بدر وأحد لصغر سنه وجسمه مع ستة من الأشبال منهم عبد الله بن عمر، فوعدهم الرسول بالغزوة المقبلة، فشارك زيد في معركة الخندق سنة خمس من الهجرة. وحمل زيد راية بني النجار يوم تبوك. وكانت أولاً مع عُمارة بن حزم، فأخذها النبي منه فدفعها لزيد بن ثابت فقال عُمارة: (يا رسول الله ! بلغك عني شيء؟)... قال الرسول: (لا، ولكن القرآن مقدم).

كان زيد يتابع القرآن حفظاً، ويكتب الوحي للرسول، وقد أمره أن يتعلم العبرية وكان هو من أصول يهودية، فتعلمها في وقت وجيز. يقول زيد: (أبي بي النبي مُقَدِّمهُ المدينة، فقليل: (هذا من بني النجار، وقد قرأ سبع عشرة سورة) فقرأت عليه فأعجبه ذلك، فقال: (تعلم كتاب يهود، فإني ما آمنهم على كتابي)... ففعلتُ، فكنت أكتب له إليهم، وإذا كتبوا إليه قرأتُ له).؟؟؟؟؟

هؤلاء الثلاثة يشكلون أهم كتاب الوحي، فالأول (عبد الله بن مسعود) مهاجر مكّي (هذلي) من أوائل الناس اسلاماً، والثاني (أبي بن كعب) أنصاري خزرجي من أهل بيعة العقبة، والثالث (زيد بن ثابت) أصغرهم، وكان له من العمر عند وفاة رسول الله حوالي عشرين عاماً. وقد كان لكل من عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب مصحف خاص به، حملة الأول الى الكوفة، وانتشر مصحف الثاني في الشام، بينما لم يكن معروفاً عن زيد بن ثابت أنه يحتفظ لنفسه بمصحف خاص، وإنما توجد اشارات الى أنه كان يحتفظ بقراءة خاصة له.

والسؤال الآن هو : لماذا تم اختيار زيد بن ثابت لجمع القرآن؟

لماذا تم ابعاد عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب (إذا كان حياً)، وهما من أقدم وأضبط كتاب الوحي، عن عملية جمع القرآن في عهد أبي بكر وعهد عثمان؟ ولماذا أوكلت المهمة الى زيد بن ثابت في المرتين؟ بالرغم من أنه لم يكن يحتفظ بنسخة خاصة له، والدليل على ذلك أنه لم يعتمد عليها في عملية جمع القرآن، ولماذا لم ينسق زيد مع أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود والقراء والكتاب الآخرين كأبي موسى الأشعري والمقداد منذ البداية وقبل ان يتفرقوا في الآفاق أو يجتمعوا على مصحف واحد؟ ولماذا لم يكمل كتاب الوحي بعضهم بعضاً؟ ولماذا لم يعترف الصحابة الآخرون بمصحف زيد في زمن أبي بكر وعمر؟

كما قلنا قبل قليل، هناك من يقول بأن زيدا كان أقرأ الصحابة، ولكن هذا ليس بثابت فهو لم يكن أقرأ من عبد الله بن مسعود الذي قال عنه رسول الله: (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَطْبًا كَمَا أَنْزَلَ، فَلْيَقْرَأْهُ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ)، ولا أقرأ من أبي بن كعب الذي قال عنه رسول الله: (أقرأ أمتي أبي) [الترمذي].؟؟؟؟؟

وهناك من يقول إن زيدا تلقى العرضة الأخيرة من القرآن على يدي الرسول، حسب بعض الروايات التي تروى عن أبي عبد الرحمن السلمي (توفي سنة 73) الذي أرسله عثمان الى الكوفة ليقرئ الناس بالمصحف الإمام. فقد قال ابن شامة في (المرشد الوجيز): "قال ابو عبد الرحمن السلمي: قرأ زيد بن ثابت على رسول

الله (ص) في العام الذي توفاه الله فيه مرتين، وانما سميت هذه القراءة قراءة زيد بن ثابت لأنه كتبها لرسول الله (ص) وقرأها عليه، وشهد العرضة الأخيرة، وكان يقرئ الناس بها حتى مات، ولذلك اعتمده أبو بكر وعمر في جمعه، وولاه عثمان كتب المصاحف".²³³ وقد بحثنا ذلك في الفصل الأول، وقلنا : إن ذلك لم يثبت أيضا.

وإذا استبعدنا فكرة العرضة الأخيرة، وعرضها على زيد بالخصوص، والتي لم يعرفها عبد الله بن مسعود ولم يعترف بها لزيد، فلا بد من طرح السؤال: لماذا أبعد الخلفاء أبو بكر وعمر وعثمان ، عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب عن عملية جمع القرآن ، واختاروا بدلا منهما زيد بن ثابت؟. مع مكانة الاثنين المتقدمة على زيد، وشهادة عمر بن الخطاب بحقهما، كما مر آنفا، علما بأن التاريخ يسجل لنا امتعاض ابن مسعود من ابعاده عن عملية جمع القرآن ، وذلك عندما اختار عثمان زيدا مرة ثانية لاعداد النسخة الرسمية للقرآن، فقال ابن مسعود: " يا معشر المسلمين أعزل عن نسخ كتاب المصاحف وتولاها رجل والله لقد اسلمت وانه لفي صلب ابيه كافرا".²³⁴ وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، لَقَدْ قَرَأْتُ مِنْ فِي رَسُولِ اللَّهِ (ص) بِضْعًا وَسَبْعِينَ سُورَةً، وَلَوْ أَعْلَمَ أَحَدًا أَعْلَمَ بِكِتَابِ اللَّهِ مِنِّي تُبَلِّغُنِيهِ إِلَّا بِلِئْلِ لَأَتَيْتُهُ. وقال أيضا : مَا نَزَلَتْ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا وَأَنَا أَعْلَمُ أَيَّنَ نَزَلَتْ، وَفِيمَا نَزَلَتْ.؟؟؟؟

فلماذا صرف عثمان النظر عنه؟ ولا سيما ان مصحفه ومصحف أبي كانا مأخوذين من فم رسول الله، وكانا منتشرين في العراق والحجاز والشام، قبل أن يقوم عثمان بتوحيد المصاحف. ولماذا لم يأخذ بشهادتهما، على الأقل، في بعض الآيات؟ وإذا كان أبي ميتا في وقت عثمان فلماذا لم يجمع بين ابن مسعود وبين زيد؟ في حين لم يكن زيد يتبنى مصحفا خاصا به في المرتين، لأنه كان دائما يرجع الى ما يقول بقية الصحابة بشهادة اثنين منهم. ولم يكن (المصحف) الذي كتبه لأبي بكر وعمر، مشهورا ولا منتشرا بين المسلمين، ولا

²³³ - ابن شامة المقدسي، عبد الرحمن بن اسماعيل 665: المرشد الوجيز الى علوم تتعلق بالقرآن العزيز.

²³⁴ - ابن ابي داود، كتاب المصاحف، ص 17

مفروضاً من الخلفاء بصورة رسمية، وربما لم يكن مكتملاً بعد. ²³⁵ فلماذا إذاً تم استبعاد ابن مسعود وابن كعب؟ ان هذا التصرف يثير حقا بعض الأسئلة التي تبقى بدون جواب.

لماذا الكتابة بلغة قريش؟ هل كان لذلك معنى سياسي ترافق مع سيطرة الأمويين وقريش؟ أبو بكر لم يأمر بجمعه على لغة قريش فلماذا قرر عثمان ذلك؟ ومن ضرب به؟

إذا عدنا الى رواية البخاري ²³⁶ عن قرار عثمان بجمع القرآن فسنجد فيها عدة نقاط مهمة يجدر التوقف عندها لأنها ذات دلالات مهمة. وهي:

- 1- ان عملية الجمع والكتابة ابتدأت من جديد، وقد اتخذت من عملية الجمع السابقة في زمن أبي بكر وعمر، قاعدة لها ولكنها لم تعتمد عليها بصورة كاملة، أي لم تعترف بها مائة بالمائة، وذلك لأن الأولى لم تكن كاملة أو لم يكن معترفاً بها بصورة كاملة، ولذلك فقد أمر عثمان بتشكيل لجنة من الصحابة القرشيين والمدنيين لتدوين القرآن من جديد.
- 2- لقد أمر عثمان باعتماد لسان قريش، وهذا يعني أو يفترض أن القرآن حتى ذلك التاريخ كان يقرأ باللسن مختلفة أو أحرف متعددة، وأنه قد يتعرض للاختلاف بين زيد وغيره من القرشيين،

235 - روى أبو نعيم؟؟؟؟ عن ابن شهاب عن **خارجة بن زيد بن ثابت** عن أبيه قال: " لما أمرني أبو بكر فجمعت القرآن كتبت في قطع الأدم وكسر الأكتاف والعسب، فلما هلك أبو بكر رضي الله عنه -أي : توفي - كان عمر كتب ذلك في صحيفة واحدة فكانت عنده -أي: على رق من نوع واحد - فلما هلك عمر كانت الصحيفة عند حفصة زوجة النبي، ثم أرسل **عثمان بن عفان** إلى حفصة، فسألها أن تعطيه الصحيفة؛ وحلف ليردنها إليها، فأعطته، فعرض المصحف عليها، فردها إليها، وطابت نفسه، وأمر الناس فكتبوا المصاحف.؟؟؟؟

ورغم أن عثمان أعاد ذلك (المصحف) الى حفصة ولم يحرقه مع بقية المصاحف، الا أنه أتلف بعد ذلك بعد وفاة حفصة سنة إحدى وأربعين في زمن الوالي على المدينة مروان بن الحكم (ت 65)، حيث طلبه من أخيها عبد الله بن عمر وأحرقه. وقال مدافعا عن وجهة نظره: "إنما فعلت هذا لأن ما فيها قد كتب وحفظ بالمصحف الإمام، فخشيت إن طال بالناس زمان أن يرتاب في شأن هذه الصحف مرتاب".

السجستاني، كتاب المصاحف، ص 24

- وأن عثمان لم يقر بسلامة قراءة زيد المدني، ولم يقر ضمنا بأنه قد شهد أو سمع أو تلقى العرضة الأخيرة للقرآن، كما يزعم البعض، والا لكان عثمان قد ترك زيدا يقرأ كما يشاء.²³⁷
- 3- ان كتابة القرآن بلسان قريش، كانت اجتهادا شخصا من عثمان، لم يسبقه اليه لا أبو بكر ولا عمر ولا غيرهما من الصحابة، ولا يوجد ما يدل على أمر النبي به، والا لكان أقرب الكتاب اليه كزيد يعرف ذلك، ولم يكن بحاجة لكي يتجادل مع القرشيين حول ذلك.
- 4- ان نسخة (مصحف عثمان) في النتيجة اختلفت عن جميع المصاحف الأخرى التي أحرقها عثمان، ومن بينها مصحف أبي بكر وعمر (الذي كتبه زيد سابقا) وهو إن لم يحرق هذا المصحف الذي كان محفوظا عند حفصة فلأنه تعهد لها برده اليها.²³⁸
- 5- إن زيد بن ثابت هو الذي قام بجمع مصحف أبي بكر فلو كان المصحف العثماني نسخة عما في مصحف أبي بكر لكان ينبغي أن يكون زيد هو المرجع في تحديد المكتوب، لا أن يقول عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: "إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فآكثبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم". فقول عثمان هو في الحقيقة إلغاء لمرجعية مصحف أبي بكر الذي كتبه زيد بخط يده حال النزاع، فصارت الأولوية لرجال قريش على مصحف أبي بكر، فكيف يكون المصحف العثماني نسخة عن مصحف أبي بكر!؟

طريقة كتابته وجمعه، وهل الاعتماد على شاهدين يعتبر تواترا؟

237 - لما كتب الصحابة المصحف في زمن عثمان اختلفوا في كتابة "التابوت" فقال زيد: "التابوه" وقال نفر القرشيين "التابوت" وترافعوا الى عثمان فقال: اكتبوا "التابوت" فإنما أنزل القرآن على لسان قريش. البرهان 376/1

238 - رغم إعادة عثمان ذلك (المصحف) الى حفصة ولم يحرقه مع بقية المصاحف، الا أنه أتلف بعد ذلك بعد وفاة حفصة سنة إحدى وأربعين في زمن الوالي على المدينة مروان بن الحكم (ت 65)، حيث طلبه من أخيها عبد الله بن عمر وأحرقه. وقال مدافعا عن وجهة نظره: "إنما فعلت هذا لأن ما فيها قد كتب وحفظ بالمصحف الإمام، فخشيت إن طال بالناس زمان أن يرتاب في شأن هذه الصحف مرتاب، أو يقول انه قد كان شيء منها لم يكتب". السجستاني، كتاب

اعتمد زيد في عملية جمع القرآن على تتبع الآيات من صدور الرجال والعسب واللخاف ، وكان لا يقبل آية أو آيات الا بشاهدين، بناء على تعليمات أبي بكر الذي قال لزيد وعمر: "اقعدا على باب المسجد، فمن جاءكما بشاهدين على شئ من كتاب الله فاكتباه". وهي تعليمات كررها عمر وعثمان فيما بعد. يقول ابن أبي داود السجستاني: "حدثنا عبد الله حدثنا ابن وهب قال أخبرني عمر بن محمد بن طلحة الليثي عن محمد بن عمرو بن علقمة عن يحيى بن عبد الرحمن ابن حاطب قال: أراد عمر أن يجمع القرآن فقام في الناس فقال: من كان تلقى من رسول الله (ص) شيئاً فليأتنا به، وكانوا كتبوا ذلك في المصحف (المصحف؟) والألواح والعسب، وكان لا يقبل من أحد شيئاً حتى يشهد شهيدان، فقتل وهو يجمع ذلك. فقام عثمان بن عفان (رضي الله عنه) فقال: من كان عنده من كتاب الله شئ فليأتنا به. وكان لا يقبل من ذلك شيئاً حتى يشهد عليه شهيدان".²³⁹ وهناك تنمة واحدة لهذا الحديث المتشابه عن عمر وعثمان، وهو مجيء خزيمه بن ثابت (أو أبي خزيمه الأنصاري، حسب رواية البخاري) بأخر آيتين من سورة التوبة وهما "لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم، فان تولوا فقل حسبي الله لا إله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم". (128 – 129) وقول عمر وعثمان: "وأنا أشهد لسمعتهما من رسول الله، أو وأنا أشهد أنهما من عند الله".²⁴⁰ وهي قصة يستبعد أن تتكرر مرتين بنفس التفاصيل فيما أن تكون حادثة مع عمر أو مع عثمان.²⁴¹ وقد مرت معنا رواية أخرى تقول بأن من تذكر هاتين الآيتين وأضافهما الى سورة التوبة هو أبي بن كعب.²⁴²

239 - السجستاني، عبد الله بن أبي داود، كتاب المصاحف، ص 31

240 - السجستاني، عبد الله بن أبي داود، كتاب المصاحف، ص 30 - 31

241 - ينقلها البخاري عن زيد ويقول أنها حدثت مع أبي خزيمه الأنصاري في عهد أبي بكر. كتاب فضائل القرآن-4603 باب جمع القرآن، وكتاب الأحكام رقم 6654 وكتاب تفسير القرآن رقم 4311

242 - السجستاني، أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث : كتاب المصاحف، ص 30

المهم ان هذه القصة تؤكد طلب الشاهدين لاثبات أية آية من القرآن. ولكن ابن حجر يفسر "الشاهدين" بالحفظ والكتابة، أي قبول الشاهد الواحد اذا كانت معه قطعة مكتوبة.²⁴³ وهذا تأويل بلا دليل، قد يفتح الباب واسعا أمام القول بعدم تواتر القرآن، وذلك لاحتمال استناد تدوينه على قول رجل واحد يأتي معه بقطعة مكتوبة بقلمه أو بقلم آخر. وأضعف منه قول من ذهب الى "أن زيदा لم يكن يأخذ الا من أصل قد كتب بين يدي النبي، ويرفض ما كتب بعيدا عن حضرته".؟؟؟؟

وفيما عدا قصة خزيمية أو أبي خزيمية، الوحيد الذي اعتبر بمثابة شاهدين لتزكية النبي له ؟؟؟؟؟ فان البعض اعتبر اعتماد تدوين القرآن على شاهدين نوعا من التواتر والنقل الأمين الدقيق.²⁴⁴ بينما شكك البعض الآخر بموضوع التواتر زاعما بأن الاعتماد على اثنين أو ثلاثة هو خير آحاد، وان التواتر يعني إخبار جماعة لا يشوبها احتمال الكذب أو الخطأ والنسيان عن جماعة عن جماعة بصورة متصلة ومتكاملة، وان هذا لم يحدث في عملية تدوين القرآن، لأن المرحلة الأولى منه تمت اعتمادا على شاهدين فقط.؟؟؟؟ ولكن هذا المشكك بالتواتر لم يلتفت الى موضوع إجماع الصحابة من وراء الشاهدين، وهو ما يعطي عملية التدوين قوة اضافية كبيرة.²⁴⁵

///هل القرآن كله متواتر؟ أم بعضه خير آحاد؟ نحن نعرف ان أبا بكر وعثمان أمرا زيد بن ثابت بكتابة القرآن من أفواه الرجال والعسب واللخاف بشهادة شاهدين، وبالتأكيد كانت هناك آيات وسور يشهد عليها العشرات والملفات، وتحظى بالتواتر، ولكننا نعلم أيضا بأن هناك آيات لم يشهد عليها الا رجلاان أو

243 - الصالح، صبحي 1958 مباحث في علوم القرآن، ص 76

244 - الصالح، صبحي 1958 مباحث في علوم القرآن، ص 17

245 - وفي الوقت الذي اعتبر القاضي أبو بكر في "الانتصار" تدوين (مصحف عثمان) متواترا، قال: " لا يجوز القطع على إنزال قرآن ونسخه بأخبار آحاد لا حجة فيها". وذلك في معرض حديثه عن منكري نسخ التلاوة. وكذلك قال ابن ظفر في كتابه "الينبوع": " أن خبر الواحد لا يثبت القرآن". وقارن بالبرهان

40/2 الصالح، صبحي 1958 مباحث في علوم القرآن، ص 266 ؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟

رجل واحد، ولم يعرفها أو لم يتذكرها بقية الصحابة، وبالتالي فانها تعتبر من أخبار الآحاد، التي أجمع عليها الصحابة لدى كتابة (مصحف عثمان) ولكن اجماعهم هذا يجعل من (مصحف عثمان) متواترا منذ ذلك التاريخ، ولكنه ينطوي على حلقة ضعيفة سابقة (بين النبي وعثمان) غير متواترة. ولأننا لا ندري بالضبط ما هي الآيات غير المتواترة، فان الشك في التواتر ينسحب على بقية السور والآيات الا ما خرج بالدليل، وبما أن شرط التواتر: التواتر في جميع الطبقات والأوقات وليس في مرحلة معينة متأخرة، كما هو الحال مع (مصحف عثمان) نستطيع القول أن القرآن خير آحاد وليس متواترا.////

(لبحث المتواتر والآحاد يراجع كتاب الانتصار للباقلاني، والينبوع والبرهان)

هل جمع القرآن على حرف واحد؟ أم جمع مصحف عثمان كل الأحرف السبعة؟

يذهب محمد بن جرير الطبري، الى الاعتراف بكون الأحرف السبعة مما أنزل الله من القرآن، ويؤكد أن جمع عثمان للقران كان على حرف واحد، وإهمال الأحرف الستة الأخرى، وهنا يواجه الطبري مشكلة كبرى تتمثل في إهمال المسلمين لنصوص قرآنية منزلة ومأمور بقراءتها من قبل الرسول، فيقول: إن إمام المسلمين وأمير المؤمنين عثمان بن عفان رحمة الله عليه ، جمع المسلمين نظرا منه لهم وإشفاقا منه عليهم ورأفة منه بهم ، حذار الردة من بعضهم بعد الاسلام ، والدخول في الكفر بعد الايمان ، إذ ظهر من بعضهم بمحضره وفي عصره التكذيب ببعض الاحرف السبعة التي نزل عليها القرآن ، مع سماع أصحاب رسول الله (ص) من رسول الله (ص) النهي عن التكذيب بشئ منها ، وإخباره إياهم أن المرء فيها كفر . فحملهم - رحمة الله عليه - إذ رأى ذلك ظاهرا بينهم في عصره ، وبجدائة عهدهم بنزول القرآن ، وفراق رسول الله (ص) إياهم ، بما أمن عليهم معه عظيم البلاء في الدين من تلاوة القرآن على حرف واحد . وجمعهم على مصحف واحد وحرف واحد ، وحرقت ما عدا المصحف الذي جمعهم عليه . وعزم على كل من كان عنده مصحف مخالف المصحف الذي جمعهم عليه أن يحرقه . فأستوثقت له الامة على ذلك بالطاعة ، ورأت أن فيما فعل من ذلك الرشد والهداية ، فتزكت القراءة بالاحرف الستة التي عزم عليها إمامها العادل في تركها، طاعة منها له

ونظرا منها لانفسها ولمن بعدها من سائر أهل ملتها . حتى درست من الامة معرفتها ، وتعفت آثارها ، فلا سبيل لاحد اليوم إلى القراءة بها لدثورها وعفو آثارها وتتابع المسلمين على رفض القراءة بها ما غير حجوم منها صحتها وصحة شئ منها ، ولكن نظرا منها لأنفسها ولسائر أهل دينها . فلا قراءة اليوم للمسلمين إلا بالحرف الواحد الذي اختاره لهم إمامهم الشفيق الناصح، دون ما عداه من الاحرف الستة الباقية" . وحاول الطبري أن يفسر إهمال القراءات الستة الأخرى بما يلي: "فإن قال بعض من ضعففت معرفته : وكيف جاز لهم ترك قراءة أقرأهموها رسول الله (ص) وأمرهم بقراءتها ؟ قيل : إن أمره إياهم بذلك ، لم يكن أمر إيجاب وفرض ، وإنما كان أمر إباحة ورخصة ، لان القراءة بها لو كانت فرضا عليهم لوجب أن يكون العلم بكل حرف من تلك الاحرف السبعة عند من يقوم بنقله الحجة ويقطع خبره العذر ويزيل الشك من قراءة الامة . وفي تركهم نقل ذلك كذلك أوضح الدليل على أنهم كانوا في القراءة بها مخيرين ، بعد أن يكون في نقلة القرآن من الامة من تجب بنقله الحجة ببعض تلك الاحرف السبعة . فإذا كان ذلك كذلك ، لم يكن القوم بتركهم نقل جميع القراءات السبع تاركين ما كان عليهم نقله ، بل كان الواجب عليهم من الفعل ما فعلوا ، إذ كان الذي فعلوا من ذلك كان النظر للاسلام وأهله ، فكان القيام بفعل الواجب عليهم بهم أولى من فعل ما لو فعلوه كانوا إلى الجناية على الاسلام وأهله أقرب منهم إلى السلامة من ذلك . فأما ما كان من اختلاف القراءة في رفع حرف وجره ونصبه ، وتسكين حرف وتحريكه ، ونقل حرف إلى آخر مع اتفاق الصورة ، فمن معنى قول النبي (ص) : " أمرت أن أقرأ القرآن على سبعة أحرف " بمعزل ، لانه معلوم أنه لا حرف من حروف القرآن مما اختلفت القراءة في قراءته بهذا المعنى يوجب المرء به كفر المماري به في قول أحد من علماء الامة . وقد أوجب عليه الصلاة والسلام بالمرء فيه الكفر ، من الوجه الذي تنازع فيه المتنازعون إليه وتظاهرت عنه بذلك الرواية ، على ما قد قدمنا ذكرها في أول هذا الباب . 246

اين ذهبت الأحرف الستة الباقية عند جمع القرآن؟

الطبري : فإن قال : فما بال الاحرف الاخر الستة غير موجودة إن كان الامر في ذلك على ما وصفت ، وقد أقرهن رسول الله (ص) أصحابه وأمر بالقراءة بهن ، وأنزلهن الله من عنده على نبيه (ص) ؟ أنسخت

فرفعت ، فما الدلالة على نسخها ورفعها ؟ أم نسيتهن الامة ، فذلك تضييع ما قد أمروا بحفظه ؟ أم ما
القصة في ذلك ؟ قيل له : لم تنسخ فترفع ، ولا ضيعتها الامة وهي مأمورة بحفظها ، ولكن الامة أمرت بحفظ
القرآن وخيرت في قراءته وحفظه ، كما أمرت إذا هي حثت في يمين وهي موسرة أن تكفر بأي الكفارات
الثلاث شاءت : إما بعق ، أو إطعام ، أو كسوة . فلو أجمع جميعها على التكفير بواحدة من الكفارات
الثلاث دون حظرها التكفير بأي الثلاث شاء المكفر ، كانت مصيبة (247) حكم الله ، مؤدية في ذلك
الواجب عليها من حق الله . فكذلك الامة أمرت بحفظ القرآن وقراءته ، وخيرت في قراءته بأي الاحرف
السبعة شاءت ، فرأت لعله من العلل أوجبت عليها الثبات على حرف واحد قراءته بحرف واحد ، ورفض
القراءة بالاحرف الستة الباقية ، ولم تحظر قراءته بجميع حروفه على قارئه بما أذن له في قراءته به .

ولكن طوائف من الفقهاء والقراء وأهل الكلام كالقاضي أبي بكر ابن الباقلاني وغيره ،
ذهبوا إلى أن هذا المصحف مشتمل على الأحرف السبعة ، وذلك بناء على أنه لا
يجوز على الأمة أن تهمل نقل شيء من الأحرف السبعة ، وقد اتفقوا على نقل هذا
المصحف العثماني وترك ما سواه ! . ويعترف الباقلاني: "أن هذه الأحرف السبعة
ظهرت واستفاضت عن رسول الله (ص) وضبطها عنه الأئمة، وأثبتها عثمان والصحابة
في المصحف، وأخبروا بصحتها. - ولكنه يضيف: - وإنما حذفوا منها ما لم يثبت
متواترا".²⁴⁸ وهذا تناقض فكيف تكون الأحرف السبعة مستفيضة ومضبوطة وصحيحة،
ثم يقوم عثمان بحذف ما لم يثبت متواترا منها؟

ترتيب السور والآيات توقيفي؟ أم اجتهادي؟

النظرية المشهورة بين المفسرين والمحدثين هي أن ترتيب السور في المصحف، أو بعضها على الأقل،
اجتهادي، كما يقول الزركشي.²⁴⁹ والقاضي أبو بكر الباقلاني الذي احتل أن يكون النبي (ص) هو الذي

247 - في نسخة : « مظنة » ، بدل « مصيبة . »

248 - الصالح، صبحي 1958 مباحث في علوم القرآن، ص 102 ؟؟؟؟؟؟ مصدر الباقلاني؟؟؟

249 - الصالح، صبحي ، مباحث في علوم القرآن، ص 70 عن الزركشي، ؟؟؟؟؟؟؟؟ : "ترتيب بعضها ليس هو
أمرا أوجبه الله، بل أمر راجع الى اجتهادهم واختيارهم، ولهذا كان لكل مصحف ترتيب".؟؟؟؟؟

أمر بترتيبه هكذا، أو أن يكون من اجتهاد الصحابة، ثم رجح الأول بناء على القول بمعارضة جبرئيل للنبي به في كل سنة. 250

وأما ترتيب الآيات داخل السور فالمشهور أنه توقيفي وقد تم بأمر الرسول الذي كان يرشد المسلمين كلما نزلت آية أن يضعوها في السورة الفلانية في الموضع الفلاني، ويستندون في ذلك الى حديث أخرجه أحمد عن عثمان بن أبي العاص قال: كنت جالسا عند رسول الله (ص) إذ شخص ببصره ثم صوبه ثم قال: "ان جبريل يأمرني أن أضع هذه الآية هذا الموضع من هذه السورة: "ان الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى" الى آخرها. 251

وهذا ما يذهب اليه الدكتور صبحي الصالح الذي يعتبر ذلك دليلا صريحا على أن ترتيب آياتها توقيفي، ويقول: "ما كان الصحابة ليرتبوا ترتيبا سمعوا النبي (ص) يقرأ على خلافه، فبلغ ذلك مبلغ التواتر". 252

وإن تضعيف حديث ابن أبي العاص ، لا يصب بالضرورة في صالح القول بترتيب النبي للآيات داخل السور، لأنه قد يكون في مورد واحد وليس في كل الموارد، وليس من المعلوم ولا من الثابت أن النبي رتب الآيات في جميع السور، لأن زيدا بدأ بجمع الآيات من الصحابة وكانت متفرقة، وكانت عملية صعبة وثقيلة، والا لو كانت مقتصرة على ترتيب السور لما شعر بالثقل. وأما الاعتقاد بذلك بناء على وجود عرضة سنوية أو أخيرة للقرآن كما قال الباقلاني وآخرون، فقد بحثنا ذلك سابقا وقلنا أيضا: إن ذلك لم يثبت. مما يفتح الباب أمام الإيمان بترتيب الصحابة للآيات والسور.

250 - ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، باب تأليف القرآن؟؟؟؟؟؟ فالذي يظهر أنه عارضه به هكذا على هذا الترتيب، وبه جزم ابن الأنباري، وفيه نظر، بل الذي يظهر أنه كان يعارضه به على ترتيب النزول.

251 - الصالح، صبحي 1958 مباحث في علوم القرآن، ص 70 عن الاتقان 104/1

252 - الصالح، صبحي 1958 مباحث في علوم القرآن، ص 71 عن الاتقان 105 /1

وإذا راجعنا بعض السور فانا نجد تداخلا كبيرا في الآيات بما يبعد الظن بترتيب النبي لها بأمر الله.

وهناك من يقول بأن ترتيب السور توقيفي أيضا، وقد علم في حياته (ص) وهو يشمل السور القرآنية جميعا، وربما يعتمد في قوله هذا على نزول "بسم الله الرحمن الرحيم" كخاتمة للسورة السابقة وبداية للسورة الجديدة، ولكن هذا القول يتم لو عرفنا بأن السور كانت تنزل كاملة واحدة بعد الأخرى، ولم تنزل بينها سور عديدة أخرى، وهذا غير واضح، لأن سورة البقرة مثلا نزلت في بداية العهد المدني واستمرت في النزول حتى آخر العهد، وقد نزلت في أثنائها سور كثيرة أخرى.

يقول ابن حجر:؟؟؟؟؟؟؟؟

وكان من علامة ابتداء السورة نزول "بسم الله الرحمن الرحيم" أول ما ينزل شيء منها كما أخرجه أبو داود وصححه ابن حبان والحاكم من طريق عمرو بن دينار عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال "كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يعلم ختم السورة حتى ينزل بسم الله الرحمن الرحيم" وفي رواية "فإذا نزلت بسم الرحمن الرحيم علموا أن السورة قد انقضت" ومما يدل على أن ترتيب المصحف كان توقيفا ما أخرجه أحمد وأبو داود وغيرهما عن أوس بن أبي أوس حذيفة الثقفي قال "كنت في الوفد الذين أسلموا من ثقيف" فذكر الحديث وفيه "فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: طرأ علي حزبي من القرآن فأردت أن لا أخرج حتى أقضيه.

قال فسألنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قلنا: كيف تحزبون القرآن؟ قالوا: نحزبه ثلاث سور وخمس سور وسبع سور وتسع سور وإحدى عشرة وثلاث عشرة، وحزب المفصل من ق حتى تختتم.

قلت: فهذا يدل على أن ترتيب السور على ما هو في المصحف الآن كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ويحتمل أن الذي كان مرتبا حينئذ حزب المفصل خاصة، بخلاف ما عداه فيحتمل أن يكون كان فيه تقديم وتأخير كما ثبت من حديث حذيفة "أنه صلى الله عليه وسلم قرأ النساء بعد البقرة قبل آل عمران" ويستفاد من هذا الحديث - حديث أوس - أن الراجح في المفصل أنه من أول سورة ق إلى آخر القرآن، لكنه مبني على أن الفاتحة لم تعد في الثلث الأول فإنه يلزم من عددها أن يكون أول المفصل من الحجرات وبه

جزم جماعة من الأئمة، وقد نقلنا الاختلاف في تحديده في " باب الجهر بالقراءة في المغرب " من أبواب صفة الصلاة، والله أعلم. 253

وهذا هو رأي الدكتور صبحي الصالح الذي يقول: "لسنا نملك دليلا على العكس، فلا مسوغ للرأي القائل إن ترتيب السور اجتهادي من الصحابة، ولا للرأي الآخر الذي يفصل: فمن السور ما كان ترتيبه اجتهاديا، ومنه ما كان توقيفيا". وبناء على ذلك يرفض الصالح قول الزركشي، ويقول: " لا ينبغي أن يسلم على علته، لأن اجتهاد الصحابة في ترتيب مصاحفهم الخاصة كان اختيارا شخصا لم يحاولوا أن يلزموا به أحدا، ولم يدعوا أن مخالفته محرمة، إذ لم يكتبوا تلك المصاحف للناس وإنما كتبوها لأنفسهم، حتى إذا اجتمعت الأمة على ترتيب عثمان أخذوا به وتركوا مصاحفهم الفردية. ولو أنهم كانوا يعتقدون أن الأمر مفوض إلى اجتهادهم، موكل إلى اختيارهم، لاستمسكوا بترتيب مصاحفهم، ولم يأخذوا بترتيب عثمان". 254

ولكن يبدو أن رأي الصالح ضعيف جدا، فهو يبينه على افتراضات وتأويلات لا تدل على المطلوب. وهو يتعارض مع حديث ابن عباس الذي يقول إنه سأل عثمان لماذا لم يضع البسملة في أول سورة براءة؟ فأجابته: "كانت الأنفال من أوائل ما أنزل بالمدينة، وبراءة من آخر القرآن، فكانت قصتها شبيها بقصتها فقبض رسول الله (ص) ولم يبين لنا أنها منها، وظننت أنها منها، فمن ثم قرنت بينهما. فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا أنها منها". 255 ولكن الصالح يشكك بهذا الحديث ويعتبره ضعيفا "لروايته عن طريق يزيد الفارسي الذي يذكره البخاري في الضعفاء، فلا يقبل منه مثل هذا الحديث ينفرد به". وإضافة إلى ذلك فإن الصالح يرفض الحديث بناء على موقف مسبق هو محل بحث وجدال، فيرفضه لأن "فيه تشكيك في

253 - ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، باب تأليف القرآن

254 - الصالح، صبحي 1958 مباحث في علوم القرآن، ص 71

255 - أخرج أحمد وأصحاب السنن وصححه ابن حبان والحاكم من حديث ابن عباس. مسند أحمد، طبعة شاكر

معرفة سور القرآن، الثابتة بالتواتر القطعي قراءة وسماعا وكتابة في المصاحف، وفيه تشكيك في إثبات البسملة في أوائل السور، كأن عثمان كان يثبتها برأيه وينفيها برأيه، وحاشاه من ذلك، فلا علينا اذا قلنا: انه "حديث لا أصل له". 256

الباب الثاني: عملية جمع القرآن،

الفصل الثالث: هل ضاع شيء من القرآن؟

هل ضاع شيء من القرآن في حياة الرسول الأكرم أو أثناء جمع القرآن؟ ان مجرد تصور هذا السؤال أو طرحه يدخل الرعب في قلب الانسان المؤمن الذي يعتقد بأن الله قد حفظ كتابه الكريم، وعندما يطرح بعض الباحثين هذا السؤال أو يرفعه بعض المستشرقين في وجه المسلمين، ويقدمون نصوصا وروايات من أوثق كتب المسلمين عن كبار الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين، بصاب الانسان المسلم بالدهشة والحيرة: هل يكذب تلك الروايات جملة وتفصيلا؟ أم يتهم أعداء الاسلام السابقين بدس تلك الروايات في تراث المسلمين؟ أم ماذا؟

وبالرغم من إيماننا العميق بحرص الصحابة والخلفاء الراشدين على حفظ القرآن وعدم التلاعب به، الا أننا كباحثين لا بد ان نطرح كل الأسئلة والشكوك المحيطة بالموضوع، حتى نقطع الشك باليقين. ومن الأسئلة هنا: هل ضاع شيء من القرآن بعد وفاة رسول الله؟ وقبل عمليتي الجمع الطويلة وغير المنظمة، الأولى والأخيرة؟ وهل تم اسقاط شيء عمدا؟ وهل تم التلاعب ببعض الآيات القرآنية؟ أم انه لم يفقد منه شيء أبدا، وان ما ظن أنه سقط أو اسقط من القرآن لم يكن من القرآن، وان ما ظن أنه قد لعب به انما هو اختلاف في القراءات تم استبعادها والاجماع على قراءة واحدة هي على لغة قريش؟

توجد بعض الروايات في أمهات كتب الحديث والتفسير السنية والشيعة التي تدعي سقوط وضياع بعض أجزاء القرآن الكريم. وهذا ما يدفعنا للنظر في هذا الادعاء وبيان حقيقته، وقد دأب بعض المسلمين الرد على

ذلك الادعاء بسرعة والقول بأن تلك الروايات ضعيفة ومختلفة، ولكن المستشرقين يردون على المسلمين بعدم إمكانية التهرب من تلك الروايات الموجودة في تراثهم، وضرورة الاعتراف بضياح بعض القرآن. وذهب بعض هؤلاء كالكسيس الجنوب افريقي جون جليكريايسست الى ضرورة افتراض ضياح اجزاء من القرآن، وذلك من خلال تصور طريقة حفظ المسلمين للقرآن قبل عملية التدوين، حيث يفترض أن الحفظ في الذاكرة لا بد أن يتعرض للزيادة والنقصان. 257 وأن قيام زيد بجمع القرآن من ذاكرة الصحابة "لا بد أن يؤدي إلى بعض النتائج المنطقية التي لا مفر منها: كاحتمال ضياح أجزاء من النص". وقد استعان جليكريايسست بالحديث الذي ذكره ابن أبي داود، و " الذي يؤكد بوضوح أن أجزاء من القرآن فُقدت نهائياً إثر مقتل بعض الحفاظ من الصحابة في معركة اليمامة" - كما يقول - : "حدثنا أبو الربيع قال أخبرنا بن وهب قال أخبرني يونس عن بن شهاب قال : بلغنا إنه انزل قرآن كثير فقتل علماء يوم اليمامة الذين كانوا قد وعوه فلم يُعَلِّم بعدهم ولم يُكْتَب ، فلما جمع أبو بكر و عمر وعثمان القرآن ولم يوجد مع أحد بعدهم ". 258

ثم استشهد بحديث عائشة التي تقول ان النبي تذكر ذات ليلة آية كان قد نسيها من قبل، مصداقاً للآية "مَا نَسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَمْ تَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ". (البقرة 2 الآية 106) : "حدثنا موسى يعني ابن إسماعيل حدثنا حماد عن هشام بن عروة عن عروة عن عائشة رضي الله عنها أن رجلاً قام من الليل فقرأ فرفع صوته بالقرآن فلما أصبح قال رسول الله (ص) يرحم الله فلاناً كائن من آية أذكرنيها الليلة كنت قد أسقطتها". 259

وزعم جليكريايسست أن النصوص الاسلامية تنفي الفرضية الحديثة القائلة بأن المصحف الحالي هو نسخة طبق الأصل للقرآن الأول لم يحدف منها شيء و لم يمسسها أي تغيير. وقال: " هناك أدلة عديدة على أن

257 - جليكريايسست، جون، جمع القرآن، ص 18

258 - السجستاني، ابن أبي داود، كتاب المصاحف، ص 23 جليكريايسست، جون، جمع القرآن، ص 19

259 - جليكريايسست، جون، جمع القرآن، ص 20 عن (كتاب الحروف و القراءات سنن بن أبي داود رقم

القرآن كان غير مكتمل وقت تدوينه في مصحف واحد، وأن كثيرا من فقراته وآياته انتقلت على أشكال مختلفة".²⁶⁰

وفي الحقيقة لا يمكن رد كل تلك الروايات بصورة عشوائية انطلاقا من فهم آية الحفظ "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون" أو آية "إن علينا جمعه وقرآنه" وذلك لوجود تفاسير متعددة لهذه الآيات (وقد استعرضنا الآراء المختلفة حولها في الفصل الثاني من الباب الثاني)، إضافة الى أننا قد نفتتح كمسلمين برفضنا لفكرة ضياع شئ من القرآن في أنفسنا، ولكننا لا نستطيع أن نقنع الآخرين بعدم حدوث ذلك لأنهم يعتمدون على "اعترافات" صريحة ومؤكدة من تراث المسلمين، مما قد يدفعهم لاتهامنا بالدوغمائية والتعصب الأعمى. ولذلك لا بد من التفكير بجواب متين ومناسب.²⁶¹

وفي الوقت الذي لا يمكن قبول أية رواية مجرد أنها وردت في بعض كتب الحديث الاسلامية، وضرورة التوثق منها جيدا باخضاعها لعلم الرواية والدراية والرجال ودراسة السند، فانه يمكن الاقتراب من فكرة (فقدان بعض القرآن) من زوايا متعددة:

أولا: وجود آيات صريحة في القرآن تؤيد ذلك الاحتمال وهي: "مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَمْ نَتْلُومُ أَنَّ اللَّهَ عَلَّمَ كُلَّ شَيْءٍ قَدِيرٌ". (البقرة 106) و"وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ". (النحل 6). التي تشير الى رفع بعض الآيات بسبب النسخ أو الإنساء أو التبديل من قبل الله تعالى، فهو الذي نزل القرآن وهو الذي يرفعه أو يبده.

وقد روى الطبري في تفسيره عن الحسن أنه قال في قوله تعالى: "مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا"، قال: إن نبيكم صلى الله عليه وسلم أقرئ قرآنا ثم نسيه فلا يكن شيئا، ومن القرآن ما قد نسخ وأتم

260 - جليكريست، جون، جمع القرآن، ص 20

261 - ولا اعتقد أن بإمكاننا اليوم قمع كل الأسئلة التي يطرحها المسلمون وغيرهم، فضلا عن أنه لا يجوز التعامل بصورة قمعية مع الباحثين، كما فعل عمر بن الخطاب مع عبد الله بن صبيغ، الذي قدم المدينة من البصرة فجعل يسأل عن متشابه القرآن، فأرسل اليه عمر وقد أعد له عراجين النخل، فقال له: من أنت؟ فقال: أنا عبد الله بن صبيغ. فأخذ عمر عرجونا فضربه حتى دمی رأسه. وفي رواية أنه كتب الى أبي موسى الأشعري (والي البصرة): ألا يجالسه أحد من المسلمين. السيوطي، الاتقان 5/2 أخرج الدارمي عن سليمان بن يسار. الصالح، صبحي 1958 مباحث في علوم القرآن، ص 284

تقرؤونه. وفي لفظ آخر: "قال: إن نبيكم (ص) قرأ علينا قرآنًا ثم نسيه". وعن ابن عباس قال: كان مما ينزل على النبي (ص)، الوحي بالليل وينسأه بالنهار، فأنزل الله عز وجل "ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها". ؟؟؟؟؟ وهذا ما يفسر حديث عمر بن الخطاب عن آية الرجم التي قال عنها إنها كانت من القرآن، و"إن الله قد بعث محمدا (ص) بالحق وأنزل عليه الكتاب فكان مما أنزل عليه آية الرجم قرأها ووعيناها وعقلناها فرجم رسول الله (ص) ورجمنا بعده فأخشى إن طال بالناس زمان إن يقول قائل ما نجد الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله وإن الرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة أو كان الحبل أو الاعتراف".²⁶² وقد روي بطرق متعددة أنّ عمر بن الخطاب، قال: "يَأْكُم أن تَهْلِكُوا عن آية الرجم.. والذي نفسي بيده لولا أن يقول الناس: زاد عمر في كتاب الله لكتبتها: الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة، نكالا من الله، والله عزيز حكيم. فإنا قد قرأناها".²⁶³ وأخرج ابن أشتة في (المصاحف) عن الليث بن سعد، قال: "إنّ عمر أتى إلى زيدٍ بآية الرجم، فلم يكتبها زيد لأنه كان وحده".²⁶⁴

ثانيا: نزول القرآن بصورة متفرقة منجما، وعدم قيام النبي بجمعه في حياته في (مصحف) كامل، مما عرضه فعلا الى الانتشار والتوزع بين الناس في الصدور والصحف والعسب والأكتاف والخاف، ومعاناة الصحابة لأكثر من عقدين في محاولة جمع القرآن، من أيام أبي بكر الى أواخر عهد عثمان.

ثالثا: نزول القرآن على سبعة أحرف، وليس على حرف واحد. وقيام عثمان بحذف الأحرف السنة الأخرى. كما مر معنا في الفصل الماضي. وذلك مثل آية (الصلاة على الذين يصلون في الصفوف الأولى) التي وجدت في (مصحف عائشة) قبل أن يغيّر عثمان المصحف .²⁶⁵

²⁶² - صحيح مسلم (261 هـ) الجزء 5 صفحة 116 و نواسخ القرآن لأبي الفرج ابن الجوزي (508 - 597هـ) صفحة 35

²⁶³ - البخاري، ج 8 ص 209 و المستدرک 4: 359 و 360، مسند أحمد 1: 23 و 29 و 36 و 40 و 50، طبقات ابن سعد 3: 334، سنن الدارمي 2: 179.

²⁶⁴ - الإتيقان 3: 206.

²⁶⁵ - الإتيقان 3: 82.

رابعاً: الخلط بين النسخ والحديث النبوي والحديث القدسي المنسوب الى الله تعالى، وهذا ما أوقع كتاب المصحف من كبار الصحابة (كعبد الله بن مسعود وأبي بن كعب وعمر بن الخطاب) فضلاً عن غيرهم في مشكلة معرفة الناسخ من المنسوخ، ومعرفة القرآن من الحديث النبوي أو الدعاء، كظن عبد الله بن مسعود أن (سورة الفاتحة) ليست من القرآن، بل دعاء يتلى في الصلاة، وظن أبي بن كعب أن دعاء القنوت (الحفد والخلع) هو سورة أو سورتان قرآنيتان، بينما اعتبرهما الآخرون مجرد دعاء لا جزءاً من القرآن. وبناء على ذلك فلو كان ابن مسعود هو الذي جمع (المصحف الإمام) لكان حذف (الفاتحة) من القرآن ولكان الآخرون اعتبروها مما ضاع أو فقد من القرآن. ولو كان أبي هو الذي جمع القرآن لأضاف سورتي (الحفد والخلع) اليهما. ولما كان زيد هو الذي جمع القرآن فقد اعتبر البعض أن تلك السورتين مما فقد أو ضاع من القرآن، وهو ليس كذلك، وإنما اختلط عليه الدعاء بالقرآن، كما اختلط الأمر على ابن مسعود بالنسبة الى (الفاتحة) وكما اختلط الناسخ والمنسوخ عند بعض آخر فاعتبر المنسوخ الذي حذفه الله وأنساه مما فقد من القرآن وهو ليس كذلك.

وقد فسر الدكتور صبحي الصالح كثيراً مما وجد في مصاحف الصحابة وزوجات النبي من زيادات أسقطها مصحف عثمان، بأنها كانت من الشروح والتفاسير وليس من صلب القرآن. وقال: إن بعضهم كان يكتب في مصحفه ما سمع من تفسيره وإيضاحه من النبي (ص) ونقل عن ابن الجزري قوله: "وربما يدخلون التفسير في القراءات إيضاحاً وبياناً، لأنهم محققون لما تلقوه عن النبي (ص) قرآناً. فهم آمنون من الالتباس، وربما كان بعضهم يكتبه معه" أي مع القرآن في المصحف الذي يكتبه لنفسه، كمصحف عائشة. 266

خامساً: الخلط بين آيات القرآن الكريم والدعاء والأحاديث القدسية المنزلة من الله أيضاً، وظن بعض المسلمين عند عدم تثبيتها في القرآن، أنها من القرآن الضائع. 267 قال ابن قتيبة في (تأويل مشكل القرآن): "ظن ابن مسعود أن المعوذتين ليستا من القرآن، لأنه رأى النبي (ص) يعوذ بهما الحسن والحسين، فأقام على

266 - الصالح، صبحي 1958 مباحث في علوم القرآن، ص 85

267 - الصالح، صبحي 1958 مباحث في علوم القرآن، ص 33

ظنه".²⁶⁸ وكذلك ظن أبي بن كعب بدعاء الاستفتاح والقنوت أنهما جزء من القرآن، فأثبتهما في آخر مصحفه كسورتين.²⁶⁹

سادسا: دعاوى الضياع غير الثابتة ولا المؤكدة، وإنما المبنية على أحاديث ضعيفة، كحديث عائشة: "نزلت آية الرجم ورضاع الكبير عشراً، ولقد كانت في صحيفة تحت سريري، فلما مات رسول الله (ص) وتشاغلنا بموته دخل داجن (شاة) فأكلها". أو "كان فيما أنزل من القرآن: عشر رضعات معلومات يحرمن، ثم نسخت بحمس معلومات، فتوفي رسول الله (ص) وهنّ ممّا يقرأ من القرآن".²⁷⁰ وهذا الحديث وإن اعتبره معظم محدثي وفقهاء أهل السنة صحيحا، إلا أنه خير آحاد، غير مؤكد. وقد شكك السرخسي به وقال: "حديث عائشة لا يكاد يصحّ؛ لأنّ بهذا لا ينعدم حفظه من القلوب، ولا يتعدّر عليهم به إثماته في صحيفة أخرى، فعرفنا أنّه لأصل لهذا الحديث".²⁷¹ ولو كان هذا الحديث صحيحا وهذه الآية ثابتة لعرفها أو تذكرها بعض المسلمين على الأقل، فضلا عن كتاب الوحي الكبار كعبد الله بن مسعود وأبي بن كعب. ولتذكرتها عائشة نفسها وأصرت على كتابتها في مصحفها الخاص، كما أصرت على كتابة (والصلاة الوسطى).

سابعا: الدعاوى الاعتبارية بالزيادة، كدعوى العجاردة من الخوارج، الذين اتهموا جامعي (مصحف عثمان) بإضافة سورة يوسف الى القرآن وهي ليست منه، حسب زعمهم، وذلك بناء على ذوقهم وظنهم وتخيلهم بأنها مجرد قصة تاريخية وليست جزءا من القرآن. ولو كان الأمر اليهم في جمع القرآن ربما كانوا حذفوها من (المصحف).

²⁶⁸ - الصالح، صبحي 1958 مباحث في علوم القرآن، ص 255 (عن الاتقان 137/1 - 138)

²⁶⁹ - الصالح، صبحي 1958 مباحث في علوم القرآن، ص 255 (عن البرهان 2/ 251)

²⁷⁰ - صحيح مسلم 2: 1075 | 1452، سنن الترمذي 3: 456، المصنف للصنعاني 7: 467 و470.. والفقهاء على المذاهب الأربعة 4: 259.

²⁷¹ - السرخسي، أصول السرخسي 2: 79

وبالرغم من تلك التحفظات والملاحظات، فانا قد نجد في التراث الاسلامي روايات تتحدث عن ضياع أجزاء من القرآن ، بصورة عامة أو محددة، فأما العام فهو الذي يتحدث عن ضياع سور أو مقاطع غير محددة، مثل حديث ابن عمر: "ليقولن أحدكم قد أخذت القرآن كله وما يدرية ما كله! قد ذهب قرآن كثير، ولكن ليقبل قد أخذت منه ما ظهر".²⁷² وحديث أبي موسى الأشعري لقراء البصرة: "كنا نقرأ سورة نُشَبِّهها في الطول والشدة ببراءة فأنسيتهما، غير أئِّي حفظت منها: لو كان لابن آدم واديان من مالٍ لا تبغى وادياً ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب".²⁷³

وأما الخاص فهو الذي يتحدث عن ضياع سور أو آيات محددة، كفقدان سورتي (الخلع والحفد) وهما: "اللهم إنا نستعينك ونستغفرك، ونثني عليك ولا نكفرك، ونخلع ونترك من يفجرك". و"اللهم إياك نعبد، ولك نصلي ونسجد، وإليك نسعى ونحفد، نرجو رحمتك، ونخشى عذابك، إنَّ عذابك بالكافرين ملحق". حيث روي أنَّهما كانتا في مصحف أبي بن كعب ، وأنَّ عمر بن الخطاب قنت بهما في الصلاة، وأنَّ أبا موسى الأشعري كان يقرأهما.²⁷⁴ ولكن زيد بن ثابت لم يثبتهما في (مصحف عثمان).²⁷⁵ وكذلك فقدان مقاطع

272 - السيوطي، الاتقان، باب الناسخ والمنسوخ ؟؟؟؟؟

273 - صحيح مسلم 2: 726 | 1050. وقد حمل ابن الصلاح هذا الحديث على السنة، وقال: "إنَّ هذا معروف في حديث النبي (ص) على أنه من كلام الرسول، لا يحكيه عن ربِّ العالمين في القرآن ويؤيده حديث روي عن العباس بن سهل، قال: سمعت ابن الزبير على المنبر يقول: "قال رسول الله (ص): "لو أنَّ ابن آدم أُعطي واديان..". وعده الزبيدي الحديث الرابع والأربعين من الأحاديث المتواترة وقال: "رواه من الصحابة خمسة عشر نفساً". ورواه أحمد في (المسند) عن أبي واقد الليثي على أنه حديث قدسي. مسند أحمد 5: 219. ؟؟؟؟؟؟؟ مقدماتان في علوم القرآن: 85. 88

274 - مناهل العرفان 1: 257، روح المعاني 1: 25. وذكر السيوطي وغيره في رواية عن مصحف أبي أن دعاء القنوت كان سورتين، كل سورة ببسمة وفواصل، إحداهما تسمى سورة الخلع، والأخرى تسمى سورة الحفد.

275 - وقد حملهما الزرقاني والباقلاني والجزيري وغيرهم على الدعاء، وقال صاحب الانتصار: "إنَّ كلام القنوت المروي: أنَّ أبي بن كعب أثبتته في مصحفه، لم تقم الحجَّة بأنه قرآن منزل، بل هو ضرب من الدعاء، ولو كان قرآناً لنقل إلينا وحصل العلم بصحِّته" إلى أن قال: "ولم يصحَّ ذلك عنه، وإتِّمَّ روي عنه أنه أثبتته في مصحفه، وقد أثبت في مصحفه ما ليس بقرآن من دعاء أو تأويل.. الخ" مناهل العرفان 1: 264.

من سورة الأحزاب، حسبما رُوي عن عائشة: "أنّ سورة الأحزاب كانت تُقرأ في زمان النبي (ص) في مائتي آية، فلم نقدر منها إلّا على ما هو الآن". أو "مائة آية".²⁷⁶ وما رُوي عن عمر وأبي بن كعب وعكرمة مولى ابن عباس: "أنّ سورة الأحزاب كانت تقارب سورة البقرة، أو هي أطول منها، وفيها كانت آية الرجم".²⁷⁷ وما عن حذيفة: "قرأتُ سورة الأحزاب على النبي (ص) فنسيتُ منها سبعين آية ما وجدتها".²⁷⁸

وقد علق القرطبي عند تفسيره لسورة الأحزاب، وروايته لحديث أبي بن كعب، بأن هذا يحمله أهل العلم على أن الله تعالى رفع من (سورة الأحزاب) إليه ما يزيد على ما في أيدينا (منها). وحمل ابن الصلاح المدعى زيادته على التفسير،؟؟؟؟؟ وحمله السيوطي وابن حزم على نسخ التلاوة.؟؟؟؟؟ ولكن مجاهد قال: كانت الأحزاب مثل سورة البقرة أو أطول ولقد ذهب يوم مسيلمة قرآن كثير، ولم يذهب منه حلال ولا حرام. رواه أبو نعيم أشار له صاحب التمهيد.؟؟؟؟؟؟

وتوجد أيضا روايات أخرى حول فقدان جزء كبير من سورة براءة.²⁷⁹

الخلاصة:

هناك فعلا دعاوى بضياح أجزاء من القرآن أو آيات من بعض السور، ولكن ذلك ليس إهمالا، وإنما لأسباب عديدة استعرضناها آنفا، ومنها النسخ ومنها نزول القرآن على سبعة أحرف. ولكن ادعاء كون

وقد روي هذا الدعاء في (الدر المنثور) والانتقان والسنن الكبرى و(المصنّف) وغيرها من العديد من الروايات عن ابن الضرس والبيهقي ومحمد بن نصر، ولم يُصَرِّحوا بكونه قرآناً. السنن الكبرى 2: 210، المصنّف لعبد الرزاق 3: 212.

276 - محاضرات الراغب 2: 4 | 434.؟؟؟؟؟؟

277 - الانتقان 3: 82، مسند أحمد 5: 132، المستدرک 4: 359، السنن الكبرى 8: 211، تفسير

القرطبي 14: 113، الكشف 3: 518، مناهل العرفان 2: 111، الدر المنثور 6: 559.

278 - الدر المنثور 6: 559.

279 - راجع تفسير القرطبي، في بداية تفسيره لسورة براءة.

المفقود من المنسوخ ليس الا افتراضا وهميا، وكذلك القول بأن المفقود ربما يكون حديثا نبويا أو حديثا قدسيا خارج القرآن، أو انه غير متواتر فلا يأخذ صفة القرآنية، هو أيضا ضعيف ويقوم على عملية افتراض. والأقرب في نظري ان المفقود المدعى قد يكون من الأحرف السبعة الأخرى التي لم تجمع في (مصحف عثمان) الذي جمع على حرف واحد. وقد يكون مما رفعه الله وأنساه نبيه والمسلمين. ولكن هذا التأويل الأخير هو مجرد افتراض أيضا ولا يستند الى أساس متين. ولا نعرف في الحقيقة ماذا فُقد أو ماذا رفعه الله، أو ماذا نسخ؟ وهناك آيات ذهب مفعولها أو كانت أولى بالرفع والنسخ ولكن جامعي القرآن وجدوها فثبتوها بالرغم من استحالة الاستفادة منها، مثل آية (ان كنت في شك مما أوحينا اليك فاسأل الذين يتلون الكتاب) أو (فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعملون) (أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني اسرائيل) تلك الآيات التي نزلت في بدء النبوة في الوقت الذي كان النبي يأمل ان يؤيده اليهود، قبل أن يتخذ عامتهم موقفا سلبيا منه ويكذبوه ويحاربوه، ولم يعد من المتوقع منهم تأييد دعوة النبي والاعتراف بنبوته، فلماذا تم الابقاء على تلك الآيات في المصحف، في حين يقال ان غيرها قد رفع أو نسخ؟ قد نقول بأن الصحابة أنفسهم كانوا مختلفين في معرفة النسخ - كما مر معنا سابقا - وان بعضهم كان يعرف النسخ والمنسوخ وبعضهم لا يعرف.

الباب الثاني

الفصل الرابع: هل تم التلاعب بكتابة القرآن؟

هل حاول أحد التلاعب ببعض آيات القرآن؟

هذا سؤال أخطر من السؤال السابق الذي دار حول امكانية فقدان بعض الآيات سهوا، أو عدم الاستطاعة في توثيق بعض الآيات وجعلها جزءا من القرآن لروايتها من رجل واحد.

وبالرغم من أن السؤال خطير ويتناقض مع العقيدة الاسلامية، الا أن أي باحث علمي محايد لا يسعه الا طرحه على طاولة النقاش والنظر والتحليل، ولا يمكن أن يدفن عقله في الرمال قبل أن يضع اصبعه على الحقيقة بالدليل والبرهان.

لقد جرت عملية تدوين القرآن بعد وفاة النبي الأكرم (ص)، في ظل ظروف سياسية واقتصادية واجتماعية تختلف عن ظروف تأسيس الاسلام في عهد النبي، ومن المتوقع أو المحتمل أن تضغط الظروف الجديدة على

النص القرآني لكي يتماشى معها أو يغطيها ويبررها. وتتحدث المصادر السنية عن بعض المحاولات التي جرت في هذا المجال ولكنها جوبهت بمقاومة من بعض كتاب الوحي المتضررين من التطورات الجديدة، وهناك سؤال يدور حول موضوع آخر يلفه الصمت ولكنه يدعونا الى التفكير به والتساؤل فيما اذا كانت السلطة الحاكمة قد نجحت في تنفيذه وفرضه في الواقع.

ولعل أبرز ما وصلنا من أمور قيل إنها تعرضت لمحاولات تحريف هي:

- 1- البسمة (بسم الله الرحمن الرحيم)
- 2- آية (المهاجرين والأنصار)
- 3- آية الكنز (والذين يكنزون الذهب والفضة)
- 4- آية المتعة (الى أجل مسمى)
- 5- آية التمني " وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي... "

3- البسمة : هل هي من فاتحة الكتاب وأوائل السور؟

أثبت الخليفة عثمان بن عفان، في مصحفه (الإمام) سورة الفاتحة، وأكد كونها جزءا من القرآن، خلافا لعبد الله بن مسعود الذي كان يرى عدم كونها من القرآن، كما أثبت عثمان في مصحفه (البسمة) في أوائل السور، ما عدا سورة براءة، بناء على قراءة النبي (ص) للبسمة في فواتح السور ولا سيما فاتحة الكتاب، ومع أن مصحف عثمان أصبح المصحف الرسمي للمسلمين، الا أن بعض القراء والمحدثين والفقهاء ناقشوا، فيما بعد، في كون البسمة جزءا من السور، أو علامة فاصلة بينها ودليلا على انتهاء سورة وابتداء سورة أخرى، وقد روي عن عبد الله ابن عمر، ما يدل على كونها جزءا من كل سورة، قال: نزلت (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ

الرَّحِيمِ) في كلِّ سورة. 280 وعن ابن عباس قال: كان النبيّ (ص) لا يعرف فصل السورة، وفي لفظ: خاتمة السورة حتّى ينزل عليه (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ). 281

وبالرغم من وجود روايات كثيرة على أنّ (البسمة) آية من سورة الحمد وأن النبي (ص) قرأها في الصلاة وأمر بها. 282 حتى عدّها كثير من المفسرين والفقهاء مما تواتر عن النبي أو أجمع عليه المسلمون عليه. 283

الا أن بعض الرواة والقراء والفقهاء شكك، في اعتبارها آية من سورة الفاتحة. وجاءوا بروايات أخرى مناقضة تنفي ذلك. كحديث أنس بن مالك " أن رسول الله (ص) وأبا بكر وعمر وعثمان كانوا يستفتحون الصلاة

280 - الدرّ المنثور 1 / 7، عن الواحدي. وهو الامام أبو الحسن علي بن أحمد بن محمّد، المفسّر النيسابوري، من تأليفه: أسباب النزول في تبليغ الرسول (ص)، والبسيط والوجيز في تفسير القرآن (ت: 468هـ).

281 - سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب من جهر بها 1 / 209؛ وسنن البيهقي 2 / 43؛ ومستدرك الحاكم 1 / 232، وقال هذا حديث صحيح ولم يخرجاه.

282 - مستدرك الحاكم وتلخيصه 2 / 232، ولفظه: (يقرأ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) يقطعها حرفا حرفا). قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وأيده الذهبي في تلخيصه والفخر الرازي، أخرجها بسندين في تفسيره 1 / 19. و مسند أحمد 6 / 302؛ وسنن أبي داود 4 / 371، كتاب القراءات والحروف؛ وسنن البيهقي 2 / 44 . و سنن الترمذي 2 / 44، أبواب الصلاة، باب ما جاء في الجهر بيسم الله الرحمن الرحيم. والدرّ المنثور 1 / 8، عن الدارقطني وأبي داود كتاب الصلاة، باب من جهر بها . البسمة . ح: 788، 1 / 209. و الدرّ المنثور 1 / 8، عن الدارقطني والبيهقي في شعب الايمان.

(أو يقرأون) بالحمد لله رب العالمين".²⁸⁴ أو أنهم كانوا لا يجهرون بـ (بسم الله الرحمن الرحيم).²⁸⁵ أو أن أنس لم يسمع منهم القراءة ببسم الله.²⁸⁶ وتبعاً لتلك الروايات، أو فهمها الخاطيء، ذهب بعض القراء السبعة كورش، إلى عدم كون (البسمة) جزءاً من الفاتحة، فضلاً عن بقية السور. وهذا ما أدى إلى اختلاف المسلمين في قراءتها في الصلاة ولا سيما في فاتحة الكتاب. حيث ذهب بعضهم إلى إسقاطها من تلاوة القرآن في الصلاة.²⁸⁷ وكان أشد الرافضين لكون (البسمة) جزءاً من الفاتحة الإمام مالك والمالكية الذين ذهبوا إلى أنها ليست آية من الفاتحة ولا من القرآن (ما عدا سورة النمل) وإنما جيء بها للتبرك فقط، وهي

284 - وهو حديث رواه عبد الرزاق في مصنفه (2/ 88) عن معمر عن قتادة وحميد وأبان عن أنس : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر وعثمان يقرأون الحمد لله رب العالمين اهـ، وكذلك ابن أبي شيبة في مصنفه (1/ 447) و (1/ 448)

285 - كما في حديث أبي قلابة عن أنس: كما عن ابن حبان: أخبرنا محمد بن أحمد بن أبي عون، قال: حدثنا هارون بن عبد الله الحمال، قال: حدثنا يحيى بن آدم، قال: حدثنا سفيان، عن خالد الحذاء، عن أبي قلابة، عن أنس... صحيح ابن حبان - (8/ 98) وابن أبي شيبة: حدثنا وكيع عن شعبة عن قتادة عن أنس قال: صليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان فلم يجهروا ببسم الله الرحمن الرحيم اهـ، مصنف ابن أبي شيبة (1/ 448)

286 - كما روى مسلم في صحيحه والنسائي في سننه وأحمد في مسنده عن قتادة عن أنس بن مالك. (74). قال: صليت مع رسول الله (ص) وأبي بكر وعمر وعثمان فلم أسمع أحداً منهم يقرأ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ). (صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب حجة من قال لا يجهر بالبسمة، الحديث رقم 50 و 52؛ و سنن النسائي، باب ترك الجهر بالبسمة من كتاب افتتاح الصلاة 1 / 144؛ وكتاب افتتاح الصلاة، الباب 20؛ ومسنند أحمد 3 / 177 و 203 و 205 و 223 و 255 و 273 و 278 و 286 و 289.

287 - وهذا ما دفع ابن عباس للقول: "استرق الشيطان من الناس أعظم آية من القرآن: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)". حسبما أخرج ابن خزيمة والبيهقي في المعرفة بسند صحيح من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس. (السيوطي، الاتقان 1 / 80، والدر المنثور 1 / 7). البيهقي في السنن (2 / 50).

وإن تواترت كتابتها في أوائل السور لكن لم يتواتر كونها قرآناً فيها.²⁸⁸ بينما ذهب بقية الأئمة من الفقهاء الى كونها جزءاً من الفاتحة، فقال الشافعي: إنها آية من أول سورة الفاتحة ويجب قراءتها معها. وقال يحيى بن جعدة: (قد اختلس الشيطان من الأئمة آية بسم الله...).²⁸⁹ وقال الزهري إنها آية من كتاب الله تعالى تركها الناس.²⁹⁰ وذهب الى ذلك أيضا غالب أصحاب الشافعي. وقال بعض الشافعية وحمزة: إنها آية من فاتحة الكتاب خاصة دون غيرها ونسب ذلك إلى أحمد بن حنبل، كما نسب إليه القول الاول.²⁹¹

وذهب جماعة: منهم مالك، وأبو عمرو، ويعقوب إلى أنها آية فذة وليست جزء من فاتحة الكتاب ولا من غيرها، وقد انزلت لبيان رؤوس السور تيمناً، وللفصل بين السورتين، وهو مشهور بين الحنفية.²⁹²

بيد أن أكثر الحنفية ذهبوا إلى وجوب قراءتها في الصلاة قبل الفاتحة وذكر الزاهدي عن المجتبى أن وجوب القراءة في كل ركعة هي الرواية الصحيحة عن أبي حنيفة.²⁹³ وقال أبو حنيفة: تقرأ ويسرّ بها، ولم يقل: إنها آية من السورة أم لا. قال يعلى: سألت محمد بن الحسن عن (بِسْمِ اللَّهِ...) فقال ما بين الدفتين قرآن، قال:

288 - ويقول ابن العربي: ويكفيك أنها ليست من القرآن إختلاف الناس فيها والقرآن لا يختلف فيه والأخبار الصحاح التي اتفق عليها العلماء ولم يرد عليها طعن تدل على أن البسمة لسبت آية من الفاتحة ولا غيرها إلا في النمل وحدها. لمزيد من التفصيل راجع: صبري عبدالرؤوف محمد عبدالقوي، أثر القراءات في الفقه الإسلامي، ص 179-190

289 - المصنف لعبدالرزاق 2 / 19.

290 - وكان يقول: من سنة الصلاة أن يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ثم فاتحة الكتاب ثم بسم الله الرحمن الرحيم ثم سورة. تذكرة الحفاظ 1 / 110؛ ومصنف عبدالرزاق 2 / 91.

291 - تفسير الألوسي ج 1 ص 39.

292 - تفسير الألوسي ج 1 ص 39

293 - تفسير الألوسي ج 1 ص 39

قلت فَلِمَ تسرّه . أي تقرأه سرّاً . قال فلم يجبني .²⁹⁴ وقال مالك والاوزاعي : أنّها ليست من القرآن ولا يقرأ بها لا سرّاً ولا جهرًا إلّا في قيام شهر رمضان . وذهب مالك إلى كراهة قراءتها في نفسها ، واستحبها لاجل الخروج من الخلاف .²⁹⁵

أسرقت الصلاة يا معاوية؟ أم نسيت؟

وهناك شك حول سبب حذف أو إسقاط (البسملة) من سورة الفاتحة، وأن ذلك تم في وقت متأخر بتأثير من معاوية بن أبي سفيان. فقد روى الشافعي في (الأم) والحاكم في (المستدرک) والبيهقي في (سننه) والرازي والسيوطي في تفسيريهما، عن أنس بن مالك قال : " صلّى معاوية بالمدينة صلاة فجهر فيها بالقراءة، فقرأ فيها (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) لَأَمَّ الْقُرْآنَ وَلَمْ يقرأ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) للسورة التي بعدها حتّى قضى تلك القراءة، فلما سلّم ناداه من سمع ذلك من المهاجرين والأنصار من كلّ مكان، يا معاوية أسرقت الصلاة أم نسيت؟ فلما صلّى بعد ذلك قرأ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) للسورة التي بعد أمّ القرآن وكبّر حين يهوي ساجدا".²⁹⁶

ويعزو المحقق الشيعي مرتضى العسكري سبب الاختلاف حول البسملة، ووجود الروايات المناقضة للتواتر، الى هذه الحادثة، ويقول: "كان المسلمون في الحرمين الشريفين مذ عصر الرسول (ص) حتّى خلافة

²⁹⁴ - راجع أقوال العلماء المذكورين في بحوث من تفسير الرازي 1 / 194؛ وكتاب الأم للشافعي 1 / 107؛ ومختصر المزني ص 14؛ والعدّة للصنعاني 2 / 410؛ والاتقان في علوم القرآن . طبعة بيروت 1 / 78 ، 79؛ والبيان للسيد الخوئي ط. 3، ص 467 . 468 و 552؛ والمنتقى 1 / 151؛ وسبل السلام في شرح بلوغ المرام للكحلاني 1 / 172.

²⁹⁵ - لمزيد من التفصيل راجع: كتاب (أثر القراءات في الفقه الإسلامي)، تأليف الدكتور صبري عبد الرّؤوف محمد عبدالقوي ص 179- 190

²⁹⁶ - سنن البيهقي 2 / 49 . 50؛ والشافعي في الأمّ 1 / 108). ومستدرک الحاكم وتلخيصه للذهبي 1 / 233؛ وسنن البيهقي 2 / 49 . 50؛ وتفسير الرازي 1 / 198 ، 199؛ والدرّ المنثور 1 / 8. والمصنف لعبدالرزاق 2 / 92؛ وكنز العمال ج 4، الحديث 4494 .

معاوية يقرأون البسمة مع السور، كما يكتبونها كذلك في المصاحف، وكان معاوية لا يقرأها مع السورة في الصلاة وهو خليفة المسلمين بالشام، فلما جاء إلى المدينة وأمّ المهاجرين والانصار بمسجد الرسول (ص) تركها في الصلاة على عادته، فناده من سمعه من المهاجرين والانصار من كل مكان أسرقت الصلاة أم نسيت؟ فلما صلّى بعد ذلك قرأ البسمة للسورة وكان ذلك في المدينة، ويظهر من استعراض الاخبار أنّه عاد إلى تركها في صلاته بالشام وتبعه على ذلك عمّاله، مثل والي المدينة. والخلفاء من آل أمية من بعده. ثمّ رويت روايات نسبت إلى رسول الله (ص) أنّ الرسول (ص) لم يقرأها في الصلوات ... ونرى أنّ كل تلكم الروايات رويت احتساباً للخير ودفاعاً عن كرامة خليفة المسلمين معاوية. 297

4- آية (المهاجرين والأنصار) : العلاقة بين المهاجرين والأنصار

لقد كان المهاجرون والأنصار اللبنة الأولى في صرح الأمة الاسلامية وقد مدحهم الله تعالى في القرآن الكريم بقوله: "وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ". (التوبة 100) ولكنهم لم يكونوا ملائكة ولا أنبياء وإنما بشر، ولذا كانت توجد بينهم بعض الخلافات السياسية في حياة النبي، وقد تجلّت مباشرة بعد وفاته عندما بادر الأنصار الى سقيفة بني ساعدة لينتخبوا زعيماً لهم وللمسلمين، لولا مسارعة المهاجرين (ابي بكر وعمر وأبي عبيدة الجراح) واختطاف الزعامة منهم، بعد إقناعهم بأن الإمرة للمهاجرين القرشيين، وتقديم الوعد للأنصار بأنهم سيكونون وزراء لهم، وهو ما عبر عن نوع من الشعور بالتعالي والأفضلية على الأنصار، وقد تمثل ذلك بإقصاء المهاجرين للأنصار حتى عن دور الوزارة والمشاورة في انتخاب الخلفاء الآخرين فيما بعد.

وفي ظل هذا الصراع السياسي بين المهاجرين والأنصار، يقال أنه جرت محاولة لإعادة قراءة وكتابة الآية الأنفة التي تساوي بين الطرفين في الفضل، كما يحدثنا الطبري الذي يقول: إنّ عمر بن الخطاب قرأ الآية بشكل آخر هكذا: "وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ" فرفع "الانصار" ولم يلحق الواو في "الذين" حتى يكون "الأنصار" من التابعين للمهاجرين، فقال له زيد: "وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ!" فقال عمر: "الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ". فقال زيد: "أمير المؤمنين أعلم". فقال عمر: اتتوني بأبي

بن كعب، فأتاه فسأله عن ذلك، فقال أبي: "وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ" فقال عمر: "فنعلم، إذن نتابع أبيتاً". 298

ويضيف الطبري في حديث آخر مشابه: مرَّ عمر برجل وهو يقرأ هذه الآية "والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان" قال: من أقرأك هذه الآية؟ قال: أقرأنيها أبي بن كعب. قال: لا تفارقي حتى أذهب بك إليه. فأتاه فقال: أنت أقرأت هذا هذه الآية؟ قال: نعم، قال: وسمعتها من رسول الله (ص)؟ قال: نعم. قال: لقد كنتُ أرانا رفعنا رفعة لا يبلغها أحد بعدنا. فقال أبي: تصديق ذلك في أول الآية التي في أول الجمعة، وأوسط الحشر، وآخر الأنفال. أما أول الجمعة: "وآخرين منهم لما يلحقوا بهم - إلى - وهو العزيز الحكيم" آية: 3، وأوسط الحشر "والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان" آية: 10، وأما آخر الأنفال "والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم - إلى آخر الآية-". آية: 75 299

ومن المعلوم ان أبي بن كعب هو أحد شيوخ الأنصار من قبيلة الخزرج الكبيرة وأحد الاثني عشر من أصحاب بيعة العقبة، كما انه كان أحد كتاب الوحي، بينما كان زيد بن ثابت شاباً من أصول يهودية، ولذلك لم يجرؤ على تحدي عمر فقال: "أمير المؤمنين أعلم". ولكن أبي أبدى مقاومة كبيرة لم تسمح لعمر بتكريس تفوق المهاجرين على الأنصار من خلال تغيير الآية التي تساوي بينهما في الفضل.

ومن الصعب جدا تصور أن عمر وهو أحد وزراء النبي وخلفائه كان يفكر بتحريف القرآن - لا سمح الله - ولكن يبدو - إن صحت الرواية - أنه فهم الآية خطأ، أو قرأها متأثراً بما كان يحسبه من تفضيل المهاجرين على الأنصار، وأنهم "السابقون الأولون" قبل أن يُسلم الأنصار بسنوات، وقد حاول التأكد

298 - الطبري، التفسير، حديث رقم 17118 حدثني به أحمد بن يوسف قال: حدثنا القاسم قال: حدثنا حجاج عن هارون عن حبيب بن الشهيد وعن ابن عامر الأنصاري. و فضائل القرآن لأبي عبيد

299 - الطبري: التفسير، حديث رقم 17116 حدثنا أحمد بن إسحاق قال: حدثنا أبو أحمد قال: حدثنا أبو معشر عن محمد بن كعب قال... وحديث رقم 17117 حدثنا أبو كريب قال: حدثنا الحسن بن عطية قال: حدثنا أبو معشر عن محمد بن كعب القرظي قال... وفي رواية يذكرها صاحب تفسير المنار محمد رشيد رضا: أن أبي قال لعمر: أنها هكذا أنزلها الله على جبريل ونزل بها جبريل على قلب رسول الله (ص).

بنفسه من كاتب الوحي أبي بن كعب، أنه سمع الآية هكذا (بخفض "الأنصار") من رسول الله (ص) لا سيما وأن القرآن كان مقروءاً أكثر من كونه مكتوباً ولم يكن يوجد في (مصحف) كمرجع يرجع إليه، فاختلط الأمر عليه، وسلم بما قال أبيّ وزيد من قبل.

وبالرغم من أن الآية استقرت على خفض كلمة "الأنصار" عطفاً بما على كلمة "المهاجرين" إلا أن الطبري يذكر عن الحسن البصري (تابعي توفي سنة 110) أنه كان يقرأ: "الأنصار" بالرفع عطفاً بما على "السابقون".³⁰⁰ وذكر البغوي أن يعقوب (ابن اسحاق الحضرمي أحد قراء البصرة (المتوفى سنة 205)) قرأ بالرفع أيضاً.

ومع أن عمر تراجع عن قراءته للآية بتلك الصورة التي تعتبر الأنصار تابعين للمهاجرين السابقين، إلا أن الأنصار في عهده ظلوا يحتلون المرتبة الثانية عملياً، من الناحيتين السياسية والمالية، فبالإضافة إلى الاتفاق الذي جرى بين المهاجرين والأنصار في السقيفة على أن يكون الأمراء من المهاجرين وأن يكون الأنصار وزراء لهم، اتخذ عمر قراراً مالياً مهماً يقوم على التفضيل في توزيع الغنائم على أساس الفضل في القرابة والسابقة والجهد والبلاء، وهو قرار اجتهد فيه عمر خلافاً لأبي بكر وعلي، ويقال أنه كاد يتراجع عنه في أواخر حياته قبل أن يضرب.³⁰¹ وكان لا بد أن ينعكس سلماً على الأنصار إذا تم اعتبارهم تابعين للسابقين من المهاجرين، وفصلهم عنهم، وعدم احتسابهم من السابقين الأولين.³⁰²

300 - المصدر السابق

301 - القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري : الجامع لأحكام القرآن، في تفسير آية (السابقون)

وقد علق أحد السلفيين الكويتيين الذين ينتمون إلى التيار الوهابي ، وهو الحسين بن موسى اللحيدي على هذا الحديث قائلاً: "والله لوما كرامة عمر الفاروق ومكانته وما أيقنا من سلامة صدره من الخيف والغش ووجوب إحسان الظن بمهاجرة قريش لطعن به وبهم ولرميتهم بالعصبية ، فقد ثبت عنه رضي الله عنه طرح الأنصار من قوله تعالى : ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴾ من المهاجرين والأنصار والذين أتبعوهم بإحسان ﴿ . فقد كان له بهذه قراءة مقبلة يحسبها مما أنزل الله تعالى ، ثم بان له أنه كان وإهما على الله تعالى قائلاً عليه ما لم يقله ، وقد راجعه زيد ولم ينته حتى إذا أصر انردع عنه زيد رضي الله عنه فهو لم يكن مثل أبي وقوته لا يلين له ويترك ما عرفه لعمر الفاروق ، لكنه لما رأى أبي بن كعب اجتمع وزيد على خلافه حينها

2 - آية الكنز : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ، وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ".
(التوبة 34)

يقال إن هذه الآية أيضا تعرضت لمحاولة تحريف وذلك بحذف حرف (الواو) من " وَالَّذِينَ " حتى تصبح صفة الكنز وعدم الانفاق ملحقة بالأحبار والرهبان. وذلك في خضم ثورة الصحابي أبي ذر الغفاري على معاوية بن أبي سفيان والي الشام، الذي أخذ يسرف في مظاهر الترف، فتصدى له أبو ذر تاليا هذه الآية: "وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ، يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ". فقال معاوية: لقد أنزلت هذه الآية في أهل الكتاب. وذلك بناء على مقدمة الآية " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ " ومحاولة منه لحصر الصفات التالية بالأحبار والرهبان، ولكن أبا ذر أصر على موقفه قائلا: "لا بل أنزلت لنا وهم".³⁰³

ومن الواضح أن الآية مع (الواو): "وَالَّذِينَ" مبتدأ، تتحدث بشكل مستقل عما قبلها وبصورة تشمل أهل الكتاب والمسلمين وغيرهم، وإذا تم حذف (الواو) فانها تصبح صفة تقتصر على الأحبار والرهبان. وهناك

سلم وسلم كتاب الله تعالى من رأي عمر ". كتاب : القول المبين في الختم بمحمد المصطفى الأنبياء لا المرسلين، الفصل الخامس، ص 36 - 75 ، الصادر سنة 2006 الموقع الرسمي للحيدي ؟؟؟؟.

302 - حين أراد عمر وضع الديوان قال للصحابة من مستشاريه : بمن نبدأ فقال له عبد الرحمن بن عوف: ابدأ بنفسك، فقال عمر أذكر أبي حضرت مع رسول الله ، وهو يبدأ ببني هاشم وبني عبد المطلب فبدأ بهم عمر و بمن يليهم من قبائل قريش بطناً بعد بطن حتى استوفى جميع قريش ثم انتهى إلى الأنصار ، وبدأ برهط سعد بن معاذ من الأوس، ولما استقر الناس في الديوان على قدر نسبهم المتصل برسول الله ، فضل عمر في العطاء بين الناس بحسب أسبقيتهم إلى الإسلام، والفضل في الجهاد ونصرة رسول الله.

303 - عن ابن وهب قال : مررت على أبي ذر بالريذة ، فقلت : ما أنزلك بهذه الأرض ؟ قال : كنا بالشام ، فقرأت : "والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم " . قال معاوية : ما هذه فينا ، ما هذه إلا في أهل الكتاب ، قال : قلت : إنها لفينا وفيهم . أخرجه البخاري ؟؟؟؟؟؟

رواية تقول إنّ عثمان حينما كتب المصاحف، أراد حذف حرف الواو من "وَالَّذِينَ" فقال أبيّ: لتلحقها أو لأضعنّ سيفي على عاتقي، فألحقوها. 304

3 - آية المتعة : "وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُجَلَ لَكُمْ مَّا وَرَاءَ ذَلِكَ أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا". (النساء:24)

هكذا هي الآية في (مصحف عثمان) الذي كتبه زيد بن ثابت والذي اشتهر بين المسلمين وأجمعوا عليه فيما بعد، ولكنها كانت تختلف في مصحفين كتبهما أثنان آخران من كتاب الوحي الكبار وهما عبد الله بن مسعود وأبيّ بن كعب، ذينك المصحفين اللذين كانا رائجين في الحجاز والعراق والشام، أي في أغلب البلاد الإسلامية خلال عقدين من الزمن ، منذ وفاة الرسول والى أواسط خلافة عثمان، والآية كانت هكذا: (فما استمتعتم به منهن الى أجل مسمى فاتوهن أجورهن) أي بإضافة جملة (الى أجل مسمى) في إشارة صريحة الى الزواج المؤقت (المتعة). وقد روى ابن أبي داود أن (مصحف أبي) كان يحتوي على الاضافة "الى أجل مسمى" في آية المتعة "فما استمتعتم به منهن الى أجل مسمى" وقال: حدثنا عبد الله حدثنا نصر بن علي قال أخبرني أبو أحمد عن عيسى بن عمر عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير... وقال هذه قراءة أبي بن كعب. 305 كما روى عدة روايات عن ابن عباس تحتوي على تلك الاضافة: "فما استمتعتم به منهن الى أجل مسمى". 306 وانها "والله لقد نزلت معها"، قالها ثلاثا. 307

304 - السيوطي، الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور، 4: 179

ولا نعرف مدى صحة هذه الروايات، وان صحت فإنها تؤكد أمرا آخر بصورة عرضية، وهو أن زيدا لم يكن يعتمد في عملية جمع القرآن على مصحف خاص به وانه لم يتلق العرضة الأخيرة من القرآن، كما تؤكد اضطراب الصحابة واختلافهم في آيات كثيرة، وأن القرآن لم يكن مجموعا بصورة نهائية وواضحة للجميع.

305 - السجستاني، أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث : كتاب المصاحف، ص 53

306 - السجستاني، أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث : كتاب المصاحف، ص 77

ولا ندري كيف كانت الآية في مصحف زيد الأول الذي كتبه لأبي بكر وعمر والذي كان موجودا عند أم المؤمنين حفصة، كما لا يوجد لدينا علم بثبوت (الأجل) او عدم ثبوته في مصاحف أبي موسى الأشعري والمقداد بن الأسود.

وهناك من يشكك في نزول هذه الآية حول المتعة ويقول بأنها تتحدث عن إعطاء المهر للنساء في الزواج الدائم.³⁰⁸ ولكن ورود الآية الأنفة (النساء 24) بعد آية "وأتوا النساء صدقاتهن نحلة، فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا". (النساء 4)، يصبح بلا معنى، حيث يتكرر نفس الموضوع في آيتين بلا مبرر. وهو ما يعزز فرضية أن الآية الثانية (النساء 24) نزلت في المتعة وليس في الزواج الدائم.

ومن المعلوم أن عمر بن الخطاب اتخذ موقفا سلبيا من زواج المتعة في آخر سنة من عهده، وقال: "إن كانتا - أي المتعتان - على عهد رسول الله (ص) حلالاً، وأنا أحرمهما وأعاقب عليهما".³⁰⁹ فهل كانت جملة (الى أجل مسمى) في عهد رسول الله ضمن القرآن؟ أم كانت تفسيراً وتأويلاً؟ وهل نسخت فيما بعد؟ وهل نسخ حكمها وبقي لفظها؟ أم نسخ لفظها وبقي حكمها؟ أم نسخ حكمها ولفظها معاً؟ أم لم تنسخ لا لفظاً ولا حكماً وإنما حذفت عند عملية جمع عثمان للقرآن؟ وهل كانت جزءاً من الآية في مصحف زيد؟ أم أنها لم تكن من الأساس، وان قراءة عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب بإضافة (الى أجل مسمى) هما بعض

307 - السجستاني، أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث : كتاب المصاحف، ص 81

308 - يقول الدكتور وهبة الزحيلي: " إن المراد بالاستمتاع في آية (فما استمتعتم) النساء: 24 النكاح؛ لأنه هو المذكور في أول الآية وآخرها، حيث بُدئت بقوله تعالى: (وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ). النساء: 22 وختمت بقوله سبحانه: (وَمَنْ لَمْ يَسْتَنْطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحِ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ). النساء 25، فدل على أن المراد بالاستمتاع هنا ما كان عن طريق النكاح، وليس المراد به المتعة المحرمة شرعاً. عن موقع الاسلام اون لاين.

309 - تواتر عن الخليفة عمر قوله : متعتان كانتا على عهد رسول وانا انهى عنهما واعاقب عليهما، متعة الحج ومتعة النساء. الامام أحمد بن حنبل ، المسند ، ج1 ص 52، و تفسير القرطبي 2: 388. وتفسير الفخر الرازي 2: 167، و3: 201 و202. وكنز العمال 8:293 و294. والبيان والتبيين للجاحظ 2: 223.

القراءات على الأحرف السبعة؟ وهل لعملية الحذف - ان صحت - علاقة بموقف عمر السليبي، وموقف عثمان بعد ذلك، من موضوع زواج المتعة؟ أم ماذا؟

وإذا كان زيد قد جمع القرآن من صدور الرجال والعسب واللخاف في المرتين (في عهد أبي بكر وعثمان) بشهادة شاهدين، فهل استمع الى شهادة ابن مسعود وأبيّ وأخذ منهما؟ أم تجنبهما؟ ولماذا لم يأخذ بقولهما؟

لا نستطيع توجيه اتهام صريح لأحد بحذف جملة من آية، خصوصا من قبل الخلفاء والصحابة الأجلاء الذين ضحوا بأنفسهم من أجل إقامة الدين، وبالرغم من أن عمر اعترف بأن المتعة كانت على عهد رسول الله وقال انه هو الذي يجرمها، فلم يثبت ولا توجد أية مؤشرات على أنه هو الذي أمر زيد بن ثابت بحذف كلمة (الى أجل مسمى) من آية المتعة، وقد رأينا فيما سبق كيف أن زيدا رفض حذف حرف (و) من كلمة "والذين اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ" من آية "وَالسَّابِقُونَ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ..." .³¹⁰

ورما يقال في آية (المتعة)، أنها تختلف عن آية (المهاجرين والأنصار) التي حاول عمر أن يؤخر الأنصار فيها عن المهاجرين، وأنها لقيت معارضة شيخ الأنصار حينئذ أبيّ بن كعب، فتراجع عمر عن تغييرها، بعد أن كاد زيد يستسلم له، على العكس من آية (المتعة) التي لم تكن تمس المكانة الاجتماعية والسياسية للأنصار أو لأية فئة أخرى، بل على العكس ربما كانت تلقى تأييدا من نسبة كبيرة من المسلمين، ولذلك تم التهاون بحذف كلمة (الى أجل مسمى) واسقاطها من الآية، وبكلمة أخرى: ان الموقف الرسمي الراض لزوج المتعة أدى الى اسقاط كلمة (الى أجل مسمى) في عملية جمع القرآن في عهد عثمان، حتى لا تكون آية المتعة صريحة وواضحة بالجواز، بل تبقى غامضة ومبهمة، وقابلة للإشارة الى المهر والصداق في الزواج الدائم.

بيد أن التأمل في ظروف تدوين القرآن والحالة القانونية الجديدة التي سنها عمر بتحريم زواج المتعة قبل وقت قصير، يدفعنا الى اثاره علامة استفهام عن سبب غيابها في مصحف عثمان ووجودها في مصحف ابن مسعود وأبي بن كعب، والى طرح مزيد من الأسئلة:

هل كانت قراءة (الى أجل مسمى) جائزة موجودة في احدى القراءات، بناء على القول بالأحرف السبعة؟ وغير موجودة في بعضها الآخر؟ وبالتالي فان كلا القراءتين كانتا صحيحتين؟ أم ان القراءة الوحيدة الصحيحة كانت بدون (الأجل)، وان الأخرى غير صحيحة من الأساس، وهي مضافة فيما بعد؟ أو على العكس ان القراءة الصحيحة هي تلك التي تتضمن (الأجل)؟

أو ان القراءة الأولى التي أوردها أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود، كانت تتضمن (الأجل)، ولكنها نسخت فيما بعد، عند تحريم النبي للمتعة، حسبما يقال؟ أم ان آية المتعة محكمة لم تنسخ، بغض النظر عن نسخ حكمها، وأنها كانت تتضمن (الأجل)، بعد وفاة رسول الله، ولكنها حذفت أو سقطت عند جمع القرآن بصورة رسمية في عهد عمر أو عثمان؟ وأنها بقيت في مصاحف الصحابة أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود وعبد الله ابن عباس، واستمر القول بها عند بعض التابعين (كالسدي ومجاهد وابن جبير وقتادة) الذين أصروا على قراءتها كما أنزلت؟

هل نسخت آية المتعة؟

في الاجابة عن سؤال : هل نسخت آية المتعة؟ يقول عبد الله بن عباس : "انها محكمة لم تنسخ" و

"والله لأنزلها الله كذلك" ثلاث مرات. كما في تفسير الزمخشري ؟؟؟؟، وأورد البيهقي في سننه الكبرى عن

محمد بن كعب عن ابن عباس قال: كانت المتعة في أول الاسلام، وكانوا يقرأون هذه الآية (الى أجل

مسمى). وأخرج أحمد بن حنبل في مسنده عن الصحابي عمران بن الحصين قوله: "نزلت آية المتعة ولم

تنزل آية تنسخها، ولم ينه عنها النبي حتى مات". كما أخرج عن عبد الله بن عمر أنه سئل عن متعة النساء

فقال: والله ما كنا على عهد رسول الله زانين ولا مسافحين.³¹¹

ولم يثبت أن آية المتعة نسخت في العرضة الأخيرة التي قرأها الرسول على زيد، بصورة متواترة، فضلا عن عدم ثبوت العرضة السنوية أو الأخيرة نفسها، ولا توجد أية اشارة من زيد أو من غيره على النسخ.³¹² كما لم يثبت نسخ حكمها من السنة.

ولكن إذا تأكد ثبوت (الى أجل مسمى) في آية المتعة في مصحفى عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب، فان ذلك يعني اعتراف معظم المسلمين في الحجاز والعراق والشام بتلك الاضافة على أنها جزء من القرآن، خلال عشرين عاما بعد وفاة الرسول، قبل أن يقوم عثمان بجمع القرآن سنة 32 في حين لم يكن ما جمعه زيد من صحف في عهد أبي بكر وعمر مصحفا رسميا معروفا ولا منتشرا بين المسلمين، وانما كان لا يزال صحفا متفرقة غير مكتملة، توجد منها نسخة واحدة في خزانة أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب. وقد أمر عثمان باعتماد تلك الصحف التي كتبها زيد كأساس لعملية جمع القرآن الأخيرة كما أمر باحراق بقية المصاحف، ولم تأت النسخة الأخيرة (مصحف عثمان) مطابقة تماما لنسخة أبي بكر وعمر التي كانت موجودة عند حفصة .

6- آية التمني "وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي..." (الحج 52)

هل حذفت منها كلمة (ولا محدث)؟ أم أضيفت إليها في بعض المصاحف؟

311 - الإمام أحمد بن حنبل، المسند، ج 2 ص 95

312 - ذكر الرازي عند تفسير آية المتعة، وأحمد في المسند: قول عمران بن حصين: أنزل الله في المتعة آية وما نسخها بآية أخرى، وأمرنا رسول الله (ص) بالمتعة وما نمانا عنها، ثم قال رجل برأيه ما شاء.

فقد روى البخاري الآية عن ابن عباس بإضافة : (ولا محدث) ³¹³ وروى ابن أبي داود عن ابن عباس الآية بإضافة كلمة: (محدث) فقط، بلا (ولا) هكذا: "وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي محدث". ³¹⁴ بينما يخلو (مصحف عثمان) من كلمة (محدث). والفرق كبير بين وجودها مع حرف (ولا) أو بدونه، إذ أن الكلمة بدون هذا الحرف تصبح صفة للنبي هكذا (ولا نبي محدث) بينما يختلف معنى الآية كثيرا مع اضافة (ولا محدث) حيث تفتح الباب واسعا أمام نوع جديد ثالث من الذين يوحى اليهم الى جانب الرسول والنبي. فقد أخرج البخاري وغيره عن أبي هريرة، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: "لَقَدْ كَانَ فِيمَا قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ مُحَدِّثُونَ فَإِنْ يَكُ فِي أُمَّتِي أَحَدٌ فَإِنَّهُ عُمَرُ". وَزَادَ زَكَرِيَاءُ بْنُ أَبِي زَائِدَةَ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ " لَقَدْ كَانَ فِيمَا قَبْلَكُمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ رِجَالٌ يُكَلِّمُونَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءَ فَإِنْ يَكُنْ مِنْ أُمَّتِي مِنْهُمْ أَحَدٌ فَعُمَرُ". قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (مِنْ نَبِيِّ وَلَا مُحَدِّثٍ). ³¹⁵

فهل كانت كلمة (محدث) أو (ولا محدث) في قراءة أبي وابن عباس؟ وهل نسخت فيما بعد؟ ³¹⁶ أم حذف أثناء جمع القرآن على حرف واحد أيام عثمان؟ أم لم تكن موجودة أصلا؟ وإنما أضيفت بعد ذلك،

313 - قال السيوطي في الدر المنثور أخرج عبد بن حميد ، وابن الأنباري في " المصاحف " عن عمرو بن دينار قال : كان ابن عباس يقرأ : " وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث " . وأخرجه ابن أبي حاتم عن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف : أن فيما أنزل الله تعالى : " وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث " فنسخت محدث اه . وحكى البيهقي في كتابه " الاعتقاد " : أنها قراءة لأبي بن كعب رضي الله عنه ، قال : وقرأها ابن عباس كذلك.

314 - السجستاني، أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث : كتاب المصاحف، ص 75

315 - قال الحافظ ابن حجر : الحديث الحادي عشر : حديث أبي هريرة ، أخرجه مسلم والترمذي والنسائي ، قال أبو مسعود: وهو مشهور عن ابن عجلان . وأخرجه سفيان بن عيينة في أواخر جامعه ، وأخرجه عبد بن حميد من طريقه وإسناده إلى ابن عباس صحيح ، ولفظه عن عمرو بن دينار قال " كان ابن عباس يقرأ : (وما أرسلنا من قبلك من رسول

ولا نبي ولا محدث). ابن حجر العسقلاني، فتح الباري في شرح صحيح البخاري ، حديث 3486

316 - كما أخرج ابن أبي حاتم عن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف : أن فيما أنزل الله تعالى : " وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث " فنسخت محدث اه

وخاصة في قراءة عبد الله بن عباس التي احتوت على حرف (ولا...) ؟ وما هي علاقة هذه الاضافة مع الحديث النبوي عن تحدث الملائكة مع عمر؟ أم لم تكن أية قراءة سوى حرف من الحروف السبعة؟

ملف رقم 10 ب 2 ف 5 رد فعل الصحابة

الباب الثاني : عملية جمع القرآن

الفصل الخامس: رد فعل المسلمين على توحيد المصاحف على حرف واحد

317

كما رأينا في الفصل الثاني، كان جمع القرآن في مصحف واحد، ضرورة شعر بها كبار الصحابة في عهد عثمان، في مواجهة خطر التناحر والتأثير والتكفير بين المسلمين، بعد طروء حالة من التشدد والضيق في عقل الجيل الجديد الذي لم يستوعب حقيقة نزول القرآن على سبعة أحرف، وما ينطوي ذلك على مفاهيم التعددية والمرونة والتسامح التي كان النبي الأعظم يصر على اشاعتها بين المسلمين من خلال تأكيده على نزول القرآن على سبعة أحرف. وقد كان قبول ذلك صعبا بالنسبة للصحابة في زمان النبي فكيف بالأجيال الجديدة التي تسمع ولم تشاهد النبي؟

ولا شك بأن عملية جمع القرآن في مصحف واحد هو (مصحف عثمان) أنقذت المسلمين من ذلك الخطر، ولكنها لم تمر بسهولة وسرعة ودون معارضة. ولا سيما أنها تميزت عن جمع أبي بكر بتحريق سائر المصاحف وبفرض (مصحف عثمان) بصورة رسمية بالقوة. ولم يتم الاجماع على (مصحف عثمان) الا بعد عقود من الزمن.

وكما رأينا في الفصل الثاني من هذا الباب، فان نفس عملية الجمع الأولى في عهد أبي بكر، التي اقترحها عمر بعد مقتل القراء في معركة اليمامة، كانت ثقيلة جدا على أبي بكر كأنها الجبال الرواسي، وكذلك على

زيد بن ثابت، ولذلك لم يفرضها أبو بكر ولا عمر من بعده على المسلمين، وإنما بقيت صحفاً خاصاً ورثتها حفصة من أبيها، بل سير عمر عبد الله بن مسعود إلى الكوفة ليعلم الناس القرآن حسب الحرف الذي تلقاه من رسول الله، وكتب إلى أهلها: إني قد بعثت **عمار بن ياسر** أميراً، وعبد الله بن مسعود معلماً ووزيراً، وهما من النجباء من أصحاب رسول الله من أهل بدر؛ فاقتدوا بهما وأطيعوا واسمعوا قولهما، وقد آثرتكم بعبد الله على نفسي. وروى عن رسول الله (ص) حديثاً بحق ابن مسعود أنه قال: "مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَطْبًا كَمَا أَنْزَلَ، فَلْيَقْرَأْهُ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدِ".³¹⁸ وكذلك فعل عمر مع أبي بن كعب عندما قال بحقه: "أيها الناس من كان يريد أن يسأل عن القرآن فليأت أبي بن كعب". وذلك لقول رسول الله (ص) له "ليهنك العلم يا أبا المنذر" أو "اقرأ أمي أبي". (كما جاء في صحيح مسلم، والترمذي)

وبناء على ذلك كان من المتوقع، في حالة قرار السلطة توحيد المصاحف، أن تعتمد إلى اختيار شيخي المهاجرين والأنصار عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب لتنفيذ هذه المهمة الخطيرة، لا سيما وأنهما كانا يمتلكان مصحفين مشهورين ومنتشرين في أرجاء البلاد الإسلامية، ومن أوثق المصاحف التي كتبت من فم رسول الله (ص) وأقرب إلى تعاليم النبي، بدلا من اختيار شباب كزيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير، واضطرارهم لتسجيل القرآن وجمعه من اللخاف والعسب والأكتاف وصدور الرجال. وأحسب أن ابن مسعود وأبي بن كعب كانا أقدر لو اجتمعا على جمع مصحفيهما في مصحف واحد وإكمال بعضهما البعض. ولا نعرف ما هو السبب في إعراض عثمان عنهما وإهمالهما ومخالفة السنة النبوية، وربما لأنهما لم يكونا من قريش فقد كان عبد الله بن مسعود هذليا (يقراً بالهمزة خلافاً للغة قريش التي أمر عثمان باعتمادها لغة وحيدة للقرآن) وكان أبي بن كعب من أهل المدينة، ولكن المؤكد أن ذلك الإعراض أدى إلى إثارة قدر من المعارضة ضد (مصحف عثمان). فقد استنكر أصحاب ابن مسعود، عندما سمعوا حذيفة بن اليمان يدعو إلى توحيد المصاحف، وقالوا له: ما تنكر؟ ألسنا نقرأه على قراءة ابن مسعود؟ فغضب حذيفة ومن وافقه، وقالوا: إنما أنتم أعراب فاسكتوا فإنكم على خطأ.³¹⁹

318 - السجستاني، ابن أبي داود، كتاب المصاحف، ص 137

319 - ابن الأثير 492/1. ملاحظة: إن في انكارهم وانكار عبد الله بن مسعود لاشراف زيد على جمع القرآن أو قراءته، نفي لأسطورة العرضة الأخيرة ومعرفة زيد بها.

عن أبي الشعثاء: قال كنا جلوسا في المسجد وعبد الله يقرأ فجاء حذيفة، فقال: قراءة ابن أم عبد وقراءة أبي موسى الأشعري، والله ان بقيت حتى آتي أمير المؤمنين (يعني عثمان) لأمرته يجعلها قراءة واحدة. قال فغضب عبد الله فقال لحذيفة كلمة شديدة قال فسكت حذيفة. 320

وفي رواية أخرى قال حذيفة: لئن قدمت على أمير المؤمنين لأمرته أن يغرقها، فقال عبد الله أما والله لئن فعلت ليغرقنك الله في غير ماء. 321

عن مسروق: كان عبد الله وحذيفة وابو موسى في منزل ابي موسى فقال حذيفة: أما أنت يا عبد الله بن قيس فبعثت الى أهل البصرة أميرا ومعلما وأخذوا من أدبك ولغتك ومن قراءتك، وأما انت يا عبد الله بن مسعود فبعثت الى أهل الكوفة معلما فأخذوا من أدبك ولغتك ومن قراءتك، فقال عبد الله: أما أني اذا لم أضلهم، وما من كتاب الله آية الا أعلم حيث نزلت وفيه نزلت، ولو أعلم أحدا أعلم بكتاب الله مني تبلغنيه الإبل لرحلت اليه. 322 قال شقيق: فجلست في حلق من أصحاب محمد فما سمعت أحدا منهم يعيب عليه شيئا مما قال ولا رده. 323

ولما أمر عثمان بالمصاحف ساء ذلك عبد الله بن مسعود، ورفض قيام زيد بجمع القرآن وقال: "وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، لَقَدْ قَرَأْتُ مِنْ فِي رَسُولِ اللَّهِ (ص) بِضْعاً وَسَبْعِينَ سُورَةً، وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ بِكِتَابِ اللَّهِ مِنِّي تُبَلِّغُنِيهِ الْإِبِلُ لَأَتَيْتُهُ. وقال أيضا: مَا نَزَلَتْ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا وَأَنَا أَعْلَمُ أَيْنَ نَزَلَتْ، وَفِيمَا نَزَلَتْ". " وأخذت بقية القرآن عن أصحابه ". 324 أتأمروني أن أقرأ قراءة زيد؟ ولقد قرأت من في رسول الله (ص)

320 - السجستاني، أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث: كتاب المصاحف، ص 13

321 - السجستاني، أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث: كتاب المصاحف، ص 13

322 - السجستاني، أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث: كتاب المصاحف، ص 14

323 - السجستاني، أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث: كتاب المصاحف، ص 16

324 - ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، باب القراء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم

بضعاً وسبعين سورة ولزيد ذؤابتنان يلعب بين الصبيان. ³²⁵ وقال: يا معشر المسلمين أعزل عن نسخ كتاب المصاحف وتولاها رجل والله لقد اسلمت وانه لفي صلب ابيه كافرا (يوم بدر). ³²⁶ أفأنا أدع ما أخذت من في رسول الله (ص). ³²⁷

ورفض ابن مسعود تسليم مصحفه للحرق، وخطب على منبر مسجد الكوفة قائلاً: "إني غال مصحفي، فمن استطاع أن يغسل مصحفه فليفعل". وقرأ هذه الآية "ومن يغسل يأت بما غل يوم القيامة" (آل عمران). (161).

يروى أبو عبيد القاسم بن سلام قال: حدثنا معاذ عن ابن عون عن عمرو بن قيس عن عمرو بن شرحبيل أبي ميسرة قال: أتى علي رجل وأنا اصلي فقال: ثكلتك أمك ألا أراك تصلي وقد أمر بكتاب الله أن يمزق؟ ... فإذا أنا بالأشعري وإذا حذيفة وابن مسعود يتقاولان، وحذيفة يقول لابن مسعود: ادفع اليهم المصحف، فقال والله لا أدفعه، فقال: ادفعه اليهم فإنهم لا يألون بأمة محمد خيراً، فقال: لا والله لا أدفعه اليهم أقراني رسول الله بضعاً وسبعين سورة ثم أدفعه اليهم؟ والله لا أدفعه اليهم. ³²⁸

وأما أبو موسى الأشعري الذي كان يحتفظ هو الآخر بمصحف خاص به، يسمى (لباب القلوب) فيذكر ابن أبي داود أنه وافق عثمان ولم يعترض بشيء، وعندما أرسل عثمان بمصحفه (الإمام) إلى الكوفة وأمرهم أن يقيموا مصاحفهم عليه، قال أبو موسى: ما وجدت في مصحفي هذا من زيادة فلا تنقصوها، وما وجدت من

³²⁵ - السجستاني، أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث: كتاب المصاحف، ص 14

— 15 —

³²⁶ - السجستاني، أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث: كتاب المصاحف، ص 17

³²⁷ - السجستاني، أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث: كتاب المصاحف، ص 15

³²⁸ - أبو عبيد، القاسم بن سلام 224: فضائل القرآن، فقرة رقم 556 وكتاب الطبقات الكبرى بن سعد المجلد الثاني ص 556 وذكر ابن أبي داود رجوع ابن مسعود إلى رأي عثمان، كتاب المصاحف ص

نقصان فاكتبوه. فقال حذيفة كيف بما صنعنا؟ والله ما أحد من أهل هذا البلد يرغب عن قراءة هذا الشيخ يعني ابن مسعود ولا أحد من أهل اليمن يرغب عن قراءة هذا الشيخ يعني ابا موسى الأشعري، وكان حذيفة هو الذي أشار على عثمان رضي الله عنه بجمع المصاحف على مصحف واحد.³²⁹

وإذا ما عدنا الى ابن أبي داود فانه يحدثنا عن كون جمع عثمان للقرآن على حرف واحد، سببا من أسباب النقمة والثورة عليه، حيث يقول: "لما نزل أهل مصر الجحفة يعاتبون عثمان رضي الله عنه، صعد عثمان المنبر فقال: جزاكم الله يا أصحاب محمد عني شرا، أذعتم السيئة وكتتمت الحسنة وأغرستم بي سفهاء الناس! أيكم يأتي هؤلاء القوم فيسألهم: ما الذي نقموا؟ وما الذي يريدون؟ (ثلاث مرات لا يجيبه أحد) فقام علي رضي الله عنه فقال: أنا، فقال عثمان: أنت أقربهم رحما وأحقهم بذلك، فأتاهم فرحبوا به وقالوا: ما كان يأتينا أحد أحب إلينا منك، فقال: ما الذي نقتم؟ قالوا: نقمنا أنه محا كتاب الله عز وجل... فرد عليهم عثمان رضي الله عنه: أما القرآن فمن عند الله، إنما نهيتمكم لأني خفت عليكم الاختلاف، فاقروا على أي حرف شئتم...".³³⁰

ورغم تراجع عثمان أمام الثوار عن فرض مصحفه، فان ابن كثير يروي أن محمد بن أبي بكر قال لعثمان عندما اقتحم عليه الدار مع مجموعة من الثوار: "على أي دين أنت يا نعتل؟ قال: على دين الاسلام، ولست بنعتل، وإنما أمير المؤمنين. فقال: غيرت كتاب الله؟. فقال: كتاب الله بيني وبينكم، فتقدم إليه وأخذ بلحيته وقال: إنا لا يقبل منا يوم القيامة أن نقول: "رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا". (الأحزاب: 67)، وشطحه بيده من البيت إلى باب الدار، وهو يقول: يا ابن أخي، ما كان أبوك ليأخذ بلحيتي".³³¹

329 - السجستاني، أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث: كتاب المصاحف، ص 35

330 - السجستاني، ابن أبي داود، كتاب المصاحف، ص 36 حدثنا عبد الله حدثنا عثمان بن هشام بن دهم حدثنا اسماعيل بن الخليل عن علي بن مسهر عن اسماعيل بن أبي خالد قال.

331 - ابن كثير، البداية والنهاية، المجلد 7، ص 166-168

روى الطبري أن الناس أعابوا على عثمان كونه أسقط المصاحف من أجل الإبقاء على مصحف واحد
(1.6.2952).؟؟؟؟؟

وظل الثوار ينقمون على عثمان محوه للمصاحف الأخرى حتى بعد مقتله، وقد حاول الامام علي بن أبي طالب أن يدافع عنه قائلا: "يا أيها الناس لا تغلوا في عثمان، ولا تقولوا له إلا خيرا في المصاحف وإحراق المصاحف، فوالله ما فعل الذي فعل إلا عن ملأ منا جميعا ، فقال: ما تقولون في هذه القراءة؟ فقد بلغني أن بعضهم يقول إن قراءتي خير من قراءتك وهذا كاد أن يكون كفرا. فقلنا فما ترى؟ قال نرى أن نجتمع الناس على مصحف واحد فلا تكون فرقة ولا يكون اختلاف، قلنا فنعم ما رأيت". 332

ومع ذلك فقد استمر أهل الكوفة في تداول مصحف ابن مسعود، غير آبهين بمصحف عثمان. 333 واحتفظت أمهات المؤمنين عائشة وحفصة وأم سلمة بمصاحفهن التي كانت تتميز ببعض الإضافات ككلمة "وصلاة العصر" في آية: "حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر". (البقرة 238) 334

وقد ذكر ابن مجاهد في كتاب (السبعة في القراءات): قال سليمان الأعمش (ت 148): "أدرت أهل الكوفة وما قراءة زيد فيهم إلا كقراءة عبد الله فيكم، ما يقرأ بها إلا الرجل والرجلان". 335

وقد بذل أبو عبد الرحمن (السلمي) قصارى جهده لنشر قراءة زيد المطابقة لمصحف عثمان الذي أرسله معه إلى الكوفة. ثم جاء الحجاج في عهد عبد الملك بن مروان وابنه الوليد، فبذل قصارى جهده في تعميم

332 - السجستاني، ابن أبي داود، كتاب المصاحف، ص 22 رواه ابن أبي داود في كتاب المصاحف باب جمع عثمان المصاحف ص 30. قال الحافظ ابن حجر: بإسناد صحيح. فتح الباري (634/8)

333 - ابن الأثير، الكامل في التاريخ (87-3.86) ؟؟؟؟؟؟؟؟؟

334 - السجستاني، أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث : كتاب المصاحف، ص 84 و 85 و 87 و 88

335 - ابن مجاهد ، كتاب السبعة في القراءات، ص 67

المصحف العثماني على سائر الأمصار. وعمل على استئصال شأفة مصحف ابن مسعود بكل سبيل، حتى أنه نعت في خطاب له الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود بـ"عبد هذيل" وقال مستهزئاً: "يزعم أن قراءته من عند الله، والله ما هي إلا رجز من رجز الأعراب، ما أنزلها الله على نبيه عليه السلام".³³⁶ وقال ابن قتيبة: وكل الحجاج عاصما وناجية بن روم وعلي بن أصم بتتبع المصاحف، وأمرهم أن يقطعوا كل مصحف وجدوه مخالفا لمصحف عثمان، ويعطوا صاحبه ستين درهما".³³⁷ وتوعد من يقرأ بقراءة عبد الله بن مسعود والمعاقبة عليها.³³⁸ وبالغ الحجاج فلم يقبل حتى بقراءة ابن مسعود بغير مخالفة مصحف عثمان. لأن القرآن نزل بلغة قريش، وقراءة ابن مسعود بلغة هذيل. وهي قبيلة كانت تقطن الحجاز ولهجتها قريبة جداً من لغة بني تميم النجدية.³³⁹ وقد استفز الحجاج بتهديداته تلك قراء الكوفة مثل عاصم والأعمش ودفعهم للتحدي فقاموا بنشر قراءة هذيل نكاية بالحجاج. ويذكر عاصم بن مهدي أنه سمع الحجاج يقول: "لا أجد أحداً يقرأ علي قراءة ابن أم عبد -يعني ابن مسعود- إلا ضربت عنقه". فذكر ذلك عند الأعمش. فقال: "وأنا سمعته يقول، فقلت في نفسي: لأقرأها على رغم أنفك".³⁴⁰

واضطرب بعض أصحاب عبد الله إلى إخفاء مصاحفهم ودفنها زمن الحجاج كما فعل الحارث بن سويد التيمي.³⁴¹ ونقل ابن أبي الحديد في "شرح نهج البلاغة" عن المتكلم المعتزلي أبي جعفر الاسكافي (توفي 240) أن قراءة ابن مسعود وأبي استمرت إلى وقت متأخر، وأن الحجاج بن يوسف الثقفي قضى عليهما.³⁴²

336 - كما في سنن أبي داود 2 | 514

337 - ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص 37

338 - ابن عبد البر، التمهيد، 8 | 298

339 - أي أن هذيل كانت تهمز خلافاً للغة قريش، فتقول مثلاً (مؤمن) و(كفو) بدل (مومن) و (كفو)

340 - http://www.ibnamin.com/recitations_current_places.htm

341 - ذكره الزمخشري في تفسير سورة الفتح من الكشاف، ج 3 ص 540

342 - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ج 13، ص 223 مكتبة يعسوب الدين الإلكترونية.

وقد أخرج الشيعة في بغداد سنة 398 نسخة من مصحف عبد الله بن مسعود، وحدثت فتنة؟؟؟؟؟³⁴³

جواز القراءة بالأحرف السبعة

وبعد اجماع المسلمين على (مصحف عثمان) أصبح موضوع القراءة بتلك الأحرف السبعة موضوعاً للنقاش بين الفقهاء المتقدمين الذين اختلفوا في جواز القراءة بالأحرف السبعة الخارجة عن رسم المصحف العثماني، في الصلاة.³⁴⁴ فقال الامام مالك والامام أحمد بالجواز، في إحدى الروايتين عنهما "لأن الصحابة والتابعين كانوا يقرؤون بهذه الحروف في الصلاة".³⁴⁵ وقال معظم الفقهاء بعدم الجواز. فقال الامام مالك فيمن قرأ في صلاة بقراءة ابن مسعود وغيره من الصحابة مما يخالف المصحف: "لم يصل وراءه".³⁴⁶

وأما ما عدا الصلاة فلا يوجد من يجرم قراءتها أو الاعتقاد بكونها جزءاً من القرآن. يقول ابن تيمية: قال

هؤلاء: ولا يجوز أن ينهى عن القراءة ببعض الأحرف السبعة، ؟؟؟؟

_ 343

344 - مثل قراءة ابن مسعود، وأبي الدرداء "والليل إذا يغشى، والنهار إذا تجلّى، والذكر والأُنثى" التي وردت في الصحيحين، ومثل قراءة عبد الله "فصيام ثلاثة أيام متتابعات" وقراءته "إن كانت إلا زُفياً واحدة" ونحو ذلك .

345 - يقول ابن عثيمين في كتابه (الشرح الممتع): أصحُّ الأقوال: أنه إذا صحَّت هذه القراءة عَمَّنْ قرأ بها مِنَ الصَّحَابَةِ فإنها مرفوعةٌ إلى رسول الله (ص) فتكون حُجَّةً، وتصحُّ القراءةُ بها في الصَّلَاةِ وخارج الصَّلَاةِ؛ لأنها صحَّت موصولةً إلى رسول الله (ص) لكن؛ لا نقرأ بها أمَامَ العامَّةِ؛ لأننا إذا قرأنا بها أمَامَ العامَّةِ حصل بذلك فتنةٌ وتشويشٌ، وقلةٌ اطمئنان إلى القرآن الكريم، وقلةٌ ثقةٍ به، وهذا لا شكَّ أنه مؤثِّرٌ ربما على العقيدة فضلاً عن العمل، لكن الكلام فيما بين الإنسان وبين نفسه، أو فيما بينه وبين طَلَبَةِ العِلْمِ الذين يفهمون حقيقة هذا الأمر.

ابن عثيمين، محمد بن صالح، الموقع الرسمي، المكتبة المقروءة: الفقه: الشرح الممتع على زاد المستقنع - المجلد الثالث، على الموقع التالي: http://www.ibnothaimeen.com/all/books/article_18056.shtml

346 - البرهان 222/1

نعم، يمكن التشكيك بآية معينة من الأحرف السبعة، أو التشكيك بتواترها عن النبي، أو القول بأنها منسوخة، ولكن لا يمكن رفضها اذا ثبتت عن طريق التواتر. وقد حاول ابن تيمية التشكيك بتواتر القراءات على الأحرف السبعة، لأنها لم تردنا كما وردت رواية المصحف العثماني التي أجمع عليها المسلمون، وهذا صحيح بصورة عامة بعد ضياع مصاحف الصحابة التي أحرقها عثمان، ولكننا أيضا يمكن ان نطمئن الى تواتر بعض الروايات الواردة عن أبي وابن مسعود وابن عباس، فاذا ثبت ورودها فلا يمكننا ردها أو غض البصر عنها، ولا يتعارض قبولنا لها مع قبولنا للمصحف العثماني واحترامنا له. وسوف نبحث لاحقا مسألة إجماع الصحابة على مصحف عثمان، وهل يشكل ذلك الإجماع المتأخر حجة في إلغاء الأحرف الأخرى الثابتة؟ أم لا؟

ما هي حجية الإجماع على مصحف عثمان؟

اتضح لنا أن (مصحف عثمان) كان حرفا من الأحرف التي كان يقرأ بها القرآن، ولم يكن ينطوي على جميع الأحرف السبعة.³⁴⁷ ورغم أن المسلمين أجمعوا عليه في وقت متأخر، الا انه لم يكن معروفا ولا مشهورا في العقدين الأولين بعد وفاة النبي، ولم يجمعوا عليه في زمن عثمان ولا في العقود التي تلت ذلك، بل كان يحظى بمعارضة قطاع كبير من المسلمين، حتى فرضه الحجاج في أواخر القرن الأول الهجري. أي انه كان إجماعا متأخرا، وقائما على اجتهاد وليس على نص، وربما كان إجماعا مضادا للنص النبوي الذي اعتبر قراءة عبد الله بن مسعود القراءة الطرية "كما أنزل القرآن" ودعا اليها. وبالرغم من أن عثمان أمر بمحو المصاحف الأخرى وتحريقها أو تخريقها، الا انه تراجع تحت الضغط الثوري وسمح بقراءة القرآن على الأحرف السبعة.

ومن المعروف أن حجية "الاجماع" موضع جدل ونقاش بين علماء الأصول، حيث يذهب بعضهم الى ان "الاجماع" ليس أصلا تشريعا بذاته (الى جانب القرآن والسنة النبوية)، وانما هو كاشف عن حكم شرعي مستند الى أدلة نصية مفترضة لم تصلنا، فيما يذهب بعض آخر الى أنه أصل مواز للقرآن والسنة.؟؟؟

347 - على العكس مما يذهب اليه الدكتور صبحي الصالح الذي يقول: "ظفر مصحف أبي بكر بإجماع الأمة عليه وتواتر ما فيه، وأكثر العلماء على أن طريقة كتابته اشتملت على الأحرف السبعة التي أنزل بها القرآن، فشابه في هذه الناحية الأخيرة جمع القرآن الأول على عهد الرسول الأمين". الصالح، صبحي 1958 مباحث في علوم القرآن، ص 78

ويختلف علماء الأصول أيضا حول حجية الاجماع السياسي أو العقلي أو العرفي المعلوم أنه لم يرق على نص أو يخالف النص، كما هو حال الاجماع على (مصحف عثمان) القائم على حرف واحد والمهمل لبقية الأحرف الموجودة في مصاحف الصحابة الآخرين. وهكذا فإن الاجماع المتأخر لا يكشف بالطبع عن حكم شرعي سابق، ولا يستطيع ان يقلب الشرعي الى غير شرعي، وبالتالي فإن اجماع المسلمين المتأخر (في عهد عثمان) بتبني قراءة معينة، لا يمكن أن يلغي آية وردتنا من شاهدين قديرين من كتاب الوحي، على الأقل (كعبد الله بن مسعود وأبي بن كعب)، وإنما يمكن ان يعبر عن قرار سياسي مفهوم ومحمود بهدف السعي لتوحيد المسلمين ومنع الفتنة. لا سيما وأن تواتر بعض آيات مصحف ابن مسعود وأبي بن كعب لا يقل عن تواتر بعض آيات (مصحف عثمان) التي وصلتنا عبر شاهد واحد أو شاهدين.

ولا يمكن القول ان إجماع الصحابة حول (مصحف عثمان) كاشف عن حكم الله في كتابه، فان هذا افتراض بلا دليل، وقد رفضه بعض الصحابة والتابعين (كابن عباس وسعيد بن جبير) وأمهات المؤمنين كعائشة وحفصة وأم سلمة اللاتي ظللن يحتفظن بمصاحف خاصة لهن، ويقرأن حتى بعد إحراق المصاحف بالأحرف التي سمعنها من رسول الله.

ولو افترضنا حصول الاجماع على مصحف عثمان، فانه لن يلغي حجية المصاحف الأخرى المتقدمة عليه، والمكتوبة بأقلام كبار كتاب الوحي كعبد الله بن مسعود وأبي بن كعب، ولا يحكم عليها بالشذوذ والبطلان وحرمة القراءة والاتباع. وسوف تبقى تلك المصاحف تحتفظ بقيمتها المعنوية على أنها احدى القراءات السبع المسموح بها والجائز العمل بها.

ويبدو ان الامتناع عن الاعتراف بها أو القول بجواز تلاوتها في الصلاة وغيرها لا يعود الى حكم ذاتي، بعد الاعتراف أنها قرآن، وإنما الى أمر سياسي وعقلي خوفا من اثاره الفتنة بين عوام المسلمين، والتشكيك بسلامة القرآن وتهديد وحدة المسلمين. والا فان بعض كبار الصحابة والتابعين والمفسرين ظلوا يتمسكون بتلك القراءات ويعملون وفق مدلولها، كما كان ابن عباس يفتي بجواز المتعة بناء على تلك الآية بصريح عبارتها المتضمنة لجملة (الأجل).

الباب الثاني

الفصل السادس: القراءات السبع

عرفنا فيما سبق أن القرآن الكريم أنزل على سبعة أحرف، وان (مصحف عثمان) هو أحد تلك الأحرف أو خليط من بعضها، ونود الحديث الآن عن السبع قراءات، وهي قراءات تدور في إطار حرف مصحف عثمان. وكما قلنا في موضوع الاحرف السبعة إنها لا تعني العدد رقم (7) بدقة ، وانما تعني التعدد والكثرة، فان رقم (7) في القراءات لا يعني أيضا الاقتصار على ذلك الرقم وانما يعني التعدد والكثرة، وقد عددها بعض المحققين أكثر من عشرة.³⁴⁹

_ 348

349 - وذكر أبو عبيد القاسم بن سلام، وأبو جعفر الطبري، وأبو حاتم السجستاني، في مصنفاتهم أضعاف تلك القراءات. قال ابن الجزري في (نشره): كان أول امام معتبر جمع القراءات في كتاب أبو عبيد القاسم بن سلام (- 224)، وجعلهم فيما أحسب خمسة وعشرين قارئاً (قراءة) مع السبعة. وقال في النشر بعد سرد كتب القراءات وذكر الكامل لأبي القاسم الهذلي فانه جمع خمسين قراءة عن الأئمة من ألف واربعمئة وتسعة وخمسين رواية وطريقاً. (المرشد الوجيز ، ص 18) وقال ابن تيمية عن ابن مجاهد أنه: "جمع قراءات سبعة مشاهير من أئمة قراء هذه الأمصار؛ ليكون ذلك موافقاً لعدد الحروف التي أنزل عليها القرآن، لا لاعتقاده أو اعتقاد غيره من العلماء أن القراءات السبعة هي الحروف السبعة، أو أن هؤلاء السبعة المعينين هم الذين لا يجوز أن يقرأ بغير قراءتهم. ولهذا قال من قال من أئمة القراء: لولا أن ابن مجاهد سبقني إلى حمزة لجعلت مكانه يعقوب الحضرمي إمام جامع البصرة وإمام قراء البصرة في زمانه في رأس المائتين". ابن تيمية، ؟؟؟؟؟؟؟

ان المصحف الشائع بين المسلمين اليوم هو المصحف المعروف بالعثماني، حسب رواية حفص بن سليمان بن المغيرة الأسدي الكوفي ()، لقراءة عاصم بن أبي النجود الكوفي التابعي (المتوفى سنة 127)، عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلمي (توفي سنة 73) عن عثمان بن عفان وعلي بن ابي طالب وزيد بن ثابت وأبي بن كعب، عن النبي الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله).

وتوجد في البلاد الاسلامية اليوم مصاحف أخرى بروايات أخرى للقرآن تختلف قليلا عن قراءة حفص عن عاصم كمصحف ورش عن نافع أو قالون عن نافع. وقد اشتهرت هذه الروايات عن بعض القراء المشهورين في القرن الثاني الهجري في كل من الكوفة والبصرة ومكة والمدينة والشام. وقد اختار أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس المشهور "بابن مجاهد" (توفي 322 هـ) الذي كان أعلم أهل عصره في علم القراءات، في بداية القرن الرابع الهجري، سبعا من القراء، هم:

- 1- عاصم ابن أبي النجود الأسدي الكوفي (المتوفى سنة 127)
- 2- حمزة ابن حبيب الزيات (الفارسي)، (المتوفى سنة 188)
- 3- علي بن حمزة الكسائي الكوفي (المتوفى سنة 189)
- 4- أبو عمر زيان بن العلاء بن عمار البصري (المتوفى سنة 154)
- 5- نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم المدني (المتوفى سنة 169)
- 6- عبد الله بن كثير الداري المكي (المتوفى سنة 120)
- 7- عبد الله اليحصبي الشامي، المشهور بابن عامر (المتوفى سنة 118)

وأهمل ابن مجاهد قراء آخرين معروفين كأبي جعفر المدني، ويعقوب ابن اسحاق الحضرمي البصري (المتوفى سنة 205)، وخلف الكوفي. ربما لكي يتطابق عدد القراء مع الحديث النبوي المشهور: "انزل القرآن على سبعة أحرف فقرأوا ما تيسر منه". كما يقول ابن تيمية، ولكن يبدو أن ابن مجاهد خلط بين الأحرف السبعة والقراءات السبع، ولذلك رفض علماء آخرون حصر القراءات في سبع، وقال معاصره شيخ القراء في بغداد أبو شامة (324 هـ) في كتابه (المرشد الوجيز الى علوم تتعلق بالقرآن

العزير): "ظن قوم أن القراءات السبع الموجودة الآن هي التي أريدت في الحديث، وهو خلاف إجماع أهل العلم قاطبة، وإنما ظن ذلك بعض أهل الجهل".³⁵⁰ ص 247

مصطلحات القراءة والرواية والطريق

وقد اصطلح أهل هذا الفن على تسمية قراءة الأئمة السبعة أو العشرة (كعاصم ونافع وابن كثير) بـ (القراءة)، وتسمية ما نسب إلى من روى عن أحد منهم مباشرة (كحفص وورش وقالون والبخاري) بـ (الرواية)، وما نسب إلى من بعدهم ممن أخذ عن الرواة (كالأصبهاني عن قالون عن نافع) بـ (الطريق). ولذلك يقولون: قراءة نافع (القارئ) برواية قالون (الراوي) من طريق عبد الصمد أو الأصبهاني (صاحب الطريق). أو قراءة عاصم (القارئ) برواية حفص (الراوي) من طريق المروزي (صاحب الطريق) أو من بعده - ولو نزل - كالشاطبي وابن الجزري، فيقولون: رواية حفص من طريق الشاطبية، أو من طريق النشر.³⁵¹

ولم تكن ثمة صورة واحدة ثابتة لكل قراءة عن كل قارئ، بل كان هناك اختلاف في الرواية عن كل واحد منهم، حيث كان الرواة يتعددون وكل راوٍ يقرأ بشكل مختلف عن زميله، فتم في القرون اللاحقة اعتماد روايتين لكل قارئ، وتم استحسان رواية ورش وقالون عن نافع، ورواية البخاري وقنبل عن ابن كثير، وابن ذكوان

350 - أبو شامة (324 هـ)، المرشد الوجيز، ص 247

351 - ويقع اختلاف الطرق - غالباً - في المسائل الجزئية كمد المنفصل والتقليل في الإمالة. ومن أمثلة ذلك قصر المد المنفصل فإن فيه وجهين لحفص: المد والقصر من طريق الطيبة، وفيه وجه واحد هو المد من طريق الشاطبية. والفرق بينهما أن الجزري روى بسنده عن حفص الوجهين وقرأ بهما، وأن الشاطبي روى عنه بسنده أحدهما. والوجهان صحيحان ومقروء بهما.

وهشام عن ابن عامر، والدوري والسوسي عن ابي عمر، وحفص وأبي بكر عن عاصم، وخلف وخلاد عن حمزة، والدوري والحارث عن الكسائي، وابن جهمز وابن وردان عن أبي جعفر، وروح ورويس عن يعقوب. 352

سبب الاختلاف بين القراء:

أولاً: اختلاف مصاحف عثمان

وكان السبب الأول لاختلاف القراءات، بعد الاختلاف في قراءة الأحرف السبعة، هو اختلاف المصاحف التي بعثها عثمان الى الأمصار، في بعض الحروف. وذكر ابن أبي داود أن مصحف عثمان كان يختلف عن مصاحف أهل المدينة في 12 آية، وقال: حدثنا ابو بكر عبد الله بن ابي داود حدثنا يونس بن جبيب عن قتيبة بن مهران حدثنا اسماعيل بن جعفر وسليمان بن مسلم بن جهمز الزهري قالوا سمعنا خالد ابن اياس بن

352 - كتب غير واحد من أهل السلف كتباً وصفوا فيها المصاحف القديمة، ومن هذه الكتب: كتاب اختلاف مصاحف الشام والحجاز والعراق لابن عامر (المتوفى 118)، وكتاب: اختلاف مصاحف أهل المدينة وأهل الكوفة وأهل البصرة، عن الكسائي (المتوفى 189) وكتاب اختلاف المصاحف للفراء البغدادي (المتوفى 207) وكتاب اختلاف المصاحف لخلف بن هشام (المتوفى 229) وكتاب اختلاف المصاحف وجامع القراءات للمدائني (المتوفى 231) وكتاب اختلاف المصاحف لأبي حاتم (المتوفى 248) وكتاب المصاحف والهجاء لمحمد بن عيسى الأصبهاني (المتوفى 253) وكتاب المصاحف لابن اشته الأصبهاني (المتوفى 360) وكتاب غريب المصاحف للوراق، ولم يصلنا من هذه الكتب الا كتاب المصاحف لابن ابي داود السجستاني. كما يقول جفري، أثر: 2004 في مقدمة (كتاب المصاحف) لأبي بكر عبد الله بن

صخر بن أبي الجهم يذكر أنه قرأ مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه فوجد فيه مما يخالف مصاحف أهل المدينة اثني عشر حرفاً (وكلها بزيادة حرف كالألف والواو أو الفاء أو نقصانه).³⁵³

وروى ابن أبي داود في كتاب (المصاحف) باب اختلاف مصاحف الأمصار التي نسخت من الامام، روايات عديدة حول اختلاف أهل المدينة والحجاز وأهل البصرة وأهل الشام وأهل العراق، فقال: فأما أهل المدينة فقرأوا في البقرة "وأوصى بها ابراهيم" (132) وأهل الكوفة وأهل البصرة "ووصى بها" بغير ألف. وقرأ أهل المدينة في آل عمران (133) "سارعوا الى مغفرة" بغير واو، وأهل الكوفة وأهل البصرة "وسارعوا". وكذلك كلمات مثل: "من يرتدد أو من يرتد"، و"لئن أنجيتنا أو لئن أنجانا"، و"ما تشتهي الأنفس أو تشتهي"، و"لم يتسن، أو لم يتسنه" و"عملت" في مصحف الكوفة، و"عملته" في المصاحف الأخرى، أو "بالبزير" في مصحف الشام وفي غيره "بالبزير" و"فلا" في مصحف المدينة ومصحف الشام، وفي غيرها "ولا".
حوالي 27 موقعا.³⁵⁴

وبما أن مصحف عثمان كان خالياً من النقط والشكل أو الحركات، حسبما كان الخط العربي يومذاك، فقد اختلف القراء في قراءة بعض الكلمات مثل "يعلمه" أو "نعلمه" أو "تعلمه" أو "بعلمه".

وقد تعرض مصحف عثمان نفسه في وقت متأخر الى بعض التغير، كما يقول ابن أبي داود في (باب ما كتب الحجاج بن يوسف في المصحف): أن الحجاج بن يوسف غير في مصحف عثمان أحد عشر حرفاً، كانت في البقرة: "لم يتسن" فغيرها "لم يتسنه"، وفي المائة كانت: "شريعة ومنهاجا" فغيرها "شرعة ومنهاجا"، وكانت في يونس: "هو الذي ينشركم" فغيرها "يسيركم"، وكانت في يوسف: "أنا آتيكم بتأويله" فغيرها "أنا أنبئكم بتأويله". وكانت في المؤمنين: "سيقولون لله... لله... لله"، فجعل الآخرين "الله الله" وكانت في الشعراء في قصة نوح: "من المخرجين" وفي قصة لوط "من المرجومين" فغير قصة نوح "من

353 - السجستاني، أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث: كتاب المصاحف، ص 37 - 38

354 - السجستاني، أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث: كتاب المصاحف، ص 39 - 41

المرجومين" وقصة لوط "من المخرجين"... وكانت في الحديد: "فالذين آمنوا واتقوا لهم أجر كبير" فغيرها "وأنفقوا" وكانت في إذا الشمس "وما هو على الغيب بظنين" فغيرها "بضنين".³⁵⁵

ثانيا: تطور الكتابة في الحروف العربية

وقد نشأ الاختلاف بين القراء أيضا، لأن الكتابة العربية كانت ذلك الوقت بدائية وغير منقطة ولا تعرف الحركات، حيث كان مصحف عثمان بدون نقط ولا حركات (قبل ان يتم إحداث ذلك في عهد عبد الملك بن مروان وواليه الحجاج بن يوسف الثقفي) مما أدى الى اختلاف القراء في قراءة الآية الواحدة حسب اختلاف تشكيلها وتنقيطها أو رسمها والإمالة والمد والهمز، وما الى ذلك.³⁵⁶

وقد ظل الناس – كما يقول أبو أحمد العسكري (ت 382) – يقرأون القرآن في مصحف عثمان بضعا وأربعين سنة، حتى خلافة عبد الملك، وحينئذ كثرت التصحيفات وانتشرت في العراق.³⁵⁷

ثالثا: أخطاء املائية

³⁵⁵ – السجستاني، أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث : كتاب المصاحف، ص 49-50 و ص 117 حدثنا عبد الله حدثنا ابو حاتم السجستاني حدثنا عباد بن صهيب عن عوف ابن ابي جميلة.

³⁵⁶ – أمر الحجاج نصر بن عاصم الليثي (ت 90هـ) ويحيى بن يعمر العدواني بتشكيل المصحف وتنقيطه. وقد لقيت عملية التنقيط في البداية معارضة من قبل بعض القراء والفقهاء، يقول ابن أبي داود: حدثنا اشعث عن محمد أنه كان يكره النقط. ص 141 وأن الحسن (البصري) وابن سيرين كانا يكرهان نقط المصاحف. عن قتادة أنه كان يكره أن ينقط المصحف بالنحو، وعن الأوزاعي عن قتادة قال: وددت أن أيديهم قطعت، يعني من نقط المصاحف. (ص 141) وكان عباد بن عباد الخواص اذا قدم علينا لا يقرأ الا في مصحف غير منقوط.(ص 142) كما روى عنهم روايات مخالفة بالسماح. (ص 142)

يقول ابن مجاهد: " قال خلف: كنت أحضر بين يدي الكسائي (189) وهو يقرأ على الناس وينقطن مصاحفهم بقرائه". ابن مجاهد، السبعة في القراءات، ص 36

³⁵⁷ – الصالح، صبحي 1958 مباحث في علوم القرآن، ص 90

وأخطأ كتاب المصحف في زمن عثمان بكتابة بعض الآيات على خلاف القواعد الإملائية. وقد روى ابن فارس بسنده عن هانئ قال: كنت عند عثمان (رض) وهم يعرضون المصاحف، فأرسلني بكتف شاة إلى أبي بن كعب فيها "لم يتسن" و"فأمهل الكافرين"، و"لا تبديل للخلق" قال: فدعا بالدواة فمحا إحدى اللامين، وكتب "خلق الله" ومحا "فأمهل" وكتب "فمهل" وكتب "يتسنه" ألحق فيها هاء والقراءة على هذا الرسم.؟؟؟؟؟؟ ونستطيع أن نعثر في مصحف عثمان على أمثلة أخرى مثل: "العلمؤا". (فاطر28) و"براءؤا" . (المتحنة 4) و: "نشؤا". (هود 87) "الضعفؤا" الملؤا" "ليسؤا وجوهكم". 358.

طبيعة الاختلاف بين قراءات القراء السبعة

حاول ابن قتيبة أن يصنف الاختلاف بين القراءات فقال: "انه تدبر في وجوه الخلاف في القراءات فوجدها سبعة أوجه، أولها: الاختلاف في إعراب الكلمة أو في حركة بنائها بما لا يزيلها عن صورتها في الكتاب ولا يغير معناها. والثاني: أن يكون الاختلاف في إعراب الكلمة وحركات بنائها بما يغير معناها ولا يزيلها عن صورتها في الكتاب. والثالث: أن يكون الاختلاف في حروف الكلمة دون اعرابها بما يغير معناها ولا يزيل صورتها. والرابع: أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يغير من صورتها في الكتاب ولا يغير معناها. والخامس: أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يزيل صورتها ومعناها. والسادس: أن يكون الاختلاف بالتقديم والتأخير. والسابع: أن يكون الاختلاف بالزيادة والنقصان. فأما زيادة دعاء القنوت في مصحف أبي ونقصان أم الكتاب والمعوذتين من مصحف عبد الله فليس من هذه الوجوه. 359 (فهذا من اختلاف الحروف).

358 - السجستاني، أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث : كتاب المصاحف، ص 148

359 - ابن قتيبة الدينوري (276 هـ) : تأويل مشكل القرآن، ص 31 - 32، تحقيق وتعليق ابراهيم شمس

الدين، 2007 دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 2

وقد حدثنا ابن مجاهد عن طبيعة الاختلاف بين القراءات ، وضرب أمثلة من كل سورة، وهي كثيرة، سنختار بعضها منها لتوضيح الفكرة، فقد قال: " اختلفوا في قوله (ملك يوم الدين) في إثبات الألف واسقاطها، فقرأ عاصم والكسائي (ملك يوم الدين) بألف (أي مالك)، وقرأ الباقر (ملك) بغير ألف، ولم يمل أحد الألف من ملك. 360 "واختلفوا في قوله (الصرط) في السين والصاد والزاي والاشمام، فقرأ ابن كثير (الصرط) بالسين في كل القرآن... وابن كثير بالصاد في كل القرآن. وروى هارون الأعمش عن أبي عمرو أنه ربما قرأ بالسين، وربما قرأ بالصاد. وروى الأصمعي عن أبي عمرو أنه قرأ (الزط) بالزاي، والباقر (الصرط)". 361 "واختلفوا في قوله (عليهم) فقرأ حمزة (عليهم) بضم الهاء ، وكذلك (اليهم وعليهم) وقرأ الباقر عليهم وأخواتها بكسر الهاء". 362

"واختلفوا في الهمز من قوله (الذين يؤمنون) (البقرة 3). كان نافع وابن كثير وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي يهمزون. وروى ورش عن نافع ترك الهمز الساكن في مثل (يؤمنون)". 363 وكذلك (كفوا) أو (كفوا) و(الصابئون) أو (الصبون) و(أنبئهم) أو (أنبيهم) و(ننساها) أو (ننساها).

واختلفوا في المد والقصر ك (ءأنذرهم) أو (ءأنذرهم) أو (ءأنذرهم) و(يخدعون) أو (يخدعون) (أسرى تفدوهم) أو (أسارى تفادوهم) و (إبرهم) أو (إبراهيم) و(غشوة) أو (غشاوة) و(وعدنا موسى) أو (واعدنا).

364

360 - ابن مجاهد، السبعة في القراءات، من ص 61 الى ص 259

361 - المصدر

362 - المصدر

363 - المصدر، ص 89

364 - المصدر، ص 98

و الجمع والمفرد مثل (خطيئته) أو (خطيئاته) و (مسكين) أو (مساكين)

وفي التنقيط مثل: (يكذبون) أو (تكذبون) و (يعبدون) أو (تعبدون) و (يعملون) أو (يعملون) و(فتبينوا) أو (فتبتوا) و(نغفر لكم خطاياكم) أو (يغفر) أو (تُغفر) و (يجعل) أو (نجعل) و (ننشزها) أو (ننشرها)

واختلفوا كذلك في الحركات والشدة مثل: (وقولوا للناس حسنا) أو (حسننا) و(ينزل) أو (ينزل) و (تُنَجِّ) و(تُنَجِّ) و(فأزاهما) أو (فأزاهما) و(لا تُسأل عن أصحاب الجحيم) أو (لا تُسأل) و(اتخذوا) أو (اتخذوا) وكذلك الكلمات التالية التي قرأت فاؤها بالضم والكسر (العُيُوب، العُيُوب، العُيُوب، العُيُوب، العُيُوب، العُيُوب) 365.

وذكر ابن مجاهد أيضا اختلاف القراء بزيادة بعض الحروف في بعض الكلمات مثل: (وقالوا اتخذ الله ولدا) و (قالوا اتخذ) بدون واو. 366

وهذا ما ذكره أيضا الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام (توفي 224)، في كتابه (فضائل القرآن) حيث عقد بابا تحت عنوان (الزوائد في الحروف) حيث تعرض لذكر ما بين مصاحف الأمصار من الاختلاف في الحرف الواحد من حروف المعجم كالواو والهاء والألف، كزيادة ألف في اسم الجلالة (سيقولون لله) (المؤمنون 84، 86، 88) حيث نسب الزيادة الى نصر بن عاصم الليثي، وقال: قرأت أنا في مصحف بالثغر قديم بعث به اليهم فيما أخبروني به قبل خلافة عمر بن عبد العزيز، فاذا كلهن (الله) بغير ألف. 367

365 - ابن مجاهد، السبعة في القراءات، من ص 61 الى ص 259

366 - ابن مجاهد، السبعة في القراءات، من ص 61 الى ص 259

367 - أبو عبيد القاسم بن سلام (توفي 224)، فضائل القرآن ومعاله وآدابه، (الخبر 639 و640) دراسة وتحقيق أحمد بن عبد الواحد الخياطي، نشر وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية المغربية. وهذا ما أكده أيضا الامام أبو عمرو الداني في (المقنع) متحدثا عن اختلاف مصاحف أهل الأمصار فقال: وفي بعضها:

اضافة الى الاختلاف في اضافة كلمة بتمامها ككلمة (هو) في هذه الآية من سورة الحديد (فإن الله الغني الحميد) والتي وردت في مصحف أهل العراق الذي أرسله عثمان بزيادة (هو) أي هكذا (فإن الله هو الغني الحميد). وقال أبو عبيد: "إن هذه الزيادة ليست كالزيادة في البابين السابقين وإنما هي كلها قرآن مثبتة بين اللوحين منسوخة في المصحف الامام الذي كتبه عثمان (ض) للناس، ثم بعث الى كل أفق مما نسخ بمصحف". 368

تواتر القراءات السبع

وقد حظيت قراءات هؤلاء السبعة - من لدن ابن مجاهد - بشهرة واسعة وتوهم كثيرون - كما يقول الدكتور صبحي الصالح - أنها هي المراد من الأحرف السبعة التي ذكرت في الحديث النبوي. 369

مصير القراءات السبع كمصير الأحرف السبعة: الاندثار

بالرغم من إجماع المسلمين في القرون الأولى على جواز القراءة بالأوجه المختلفة في إطار حرف (مصحف عثمان) فان القراءات السبع واجهت مصيرا ماثلا للأحرف السبعة، من الإهمال والنسيان والرفض على مر السنين، في مقابل سيادة قراءة حفص عن عاصم، في الأيام الراهنة، وسوف ننقل هنا بعض المعلومات عن بحث قيم للشيخ الدكتور محمد الأمين حول (انتشار القراءات وغلبة بعضها على بعض على مدى التاريخ) وربما نعززه بمعلومات أخرى في المستقبل.

يقول الأمين (بما ملخصه):

"سيقولون لله لله لله" ثلاثتها بغير ألف، وفي بعضها: الأول "لله" بغير ألف" والاثنتان بعده "الله الله". المنع

ص 95

368 - أبو عبيد، فضائل القرآن، خبر رقم 720

369 - الصالح، صبحي 1958 مباحث في علوم القرآن، ص 249

- حاول الحجاج نشر قراءة القرآن بلسان قريش (أي بدون همز) ولكن عاصم بن بهدلة رئيس القراء بالكوفة تبني قراءة مصحف عثمان على لغة هذيل (بالهمز) (وهي لغة عبد الله بن مسعود) وانتشرت قراءة عاصم انتشارا كبيرا في أهل الكوفة، على كثرة قرائها وتعدددهم، ونالت قبول العلماء والقراء.
- في عصر ابن مجاهد قلّ انتشار رواية حفص عن عاصم بالكوفة، وأصبحت رواية شعبة عن عاصم أشهر منها بالكوفة، في حين غلبت قراءة حمزة على قراءة عاصم ، كما يقول ابن مجاهد: "وإلى قراءة عاصم صار بعض أهل الكوفة وليست بالغالبة عليهم".
- ومع مرور الزمن، قدمت قراءة الدوري عن أبي عمرو من البصرة إلى الكوفة ، حتى طغت على عامة المشرق الإسلامي لعدة قرون. وخاصة في العراق والحجاز واليمن والشام ومصر والسودان وشرق إفريقيا.
- مع بداية القرن العاشر الهجري، جاء العثمانيون وفرضوا قراءة حفص عن عاصم التي كانت لا تزال تكمن في أطراف الكوفة القديمة (كربلاء والنجف) والبلاد الشيعية، وهي القراءة التي يفضلها الشيعة اليوم.
- مع سيطرة الدولة العثمانية على المشرق ومعظم أرجاء العالم الإسلامي بدأت تنتشر رواية حفص عن عاصم ، حيث أخذت الدولة ترسل أئمة وقضاة ومقرئين أتراك إلى أرجاء العالم العربي فانتشرت رواية حفص عن طريقهم وكذا عن طريق المصاحف التي تنسخها الدولة العثمانية برواية حفص، فأخذت رواية حفص عن عاصم تحل تدريجيا محل رواية الدوري عن أبي عمرو، فأل الأمر إلى انحسار انتشار رواية الدوري فلم تبق إلا في اليمن والسودان والقرن الإفريقي.
- وكان لوسائل الإعلام العصرية المرئية والمسموعة دور كبير في نشر رواية حفص في الأفطار التي لا زالت تقرأ برواية الدوري أو قالون أو ورش، وكذلك لانتشار المصاحف المطبوعة برواية حفص في تلك الأفطار، حتى كادت بقية الروايات تنقرض.
- ولا يزال الكثير من الدول الإسلامية يمنع بالقانون القراءة بغير قراءة حفص. والمطابع لا تطبع غيرها. ووسائل الإعلام السمعية (كالذياع) أو المرئية، لا تسمح إلا بقراءة حفص. وقد كان لطباعة القرآن الشأن الأكبر في التمكين لرواية حفص والقضاء على الروايات الأخرى. فأقدم مصحف طبع في مدينة هامبورك بألمانيا سنة 1694م (=1106هـ تقريباً) كان مضبوطاً برواية حفص عن عاصم (ينظر: كتاب رسم المصحف ص508). واشتهر من خطاطي الدولة العثمانية المحافظ عثمان (ت1110هـ) الذي كتب بخطه خمسة وعشرين مصحفاً (ينظر: محمد طاهر

الكردى: تاريخ الخط العربي ص339)، واشتهرت المصاحف التي خطها الحافظ عثمان في العالم الإسلامي شهرة واسعة "وقد طُبِعَ مصحفه مئات الطبعات في مختلف الأقطار الإسلامية، وانتشر في العالم الإسلامي، وفاق الطبعات السابقة واللاحقة" (وليد الأعظمي: تراجم خطاطي بغداد ص131)، وهذا قبل ظهور مصحف الأزهر ومصحف المدينة طبعاً.

وقد بدأ **المستشرقون** بالترويج لقراءة حفص عن طريق طباعة القرآن بها، ثم تبعهم الأتراك الحنفية، ثم وصلت الطباعة لمصر واختاروا قراءة حفص (هو اختيار المدعو حفي ناصف 1342هـ=1923م، حيث طبع مصحف الملك فؤاد بالخط الغير قياسي). وعن طريق مصر انتشرت قراءة مصر إلى نجد والحجاز ثم إلى اليمن في العهد الجمهوري. وصار مصحفا مصر والمدينة المنورة برواية حفص، مما ساهم بالترويج لتلك القراءة في إفريقيا وغيرها. ومع أن مجمع فهد طبع المصحف أخيراً بروايات ورش والدوري وقالون (وقريباً شعبة والسوسي والبزي وقنبل) فعادة لا يتم توزيع إلا رواية حفص بكميات كبيرة لنشرها وحدها. وهكذا تم على أيدي الأتراك والمستشرقين وبعض العرب القضاء على القراءات القرآنية المتواترة ما عدا قراءة حفص عن عاصم.

وبالرغم من زوال العهد التركي، فإن كثيرا من الدول الإسلامية لا يزال يعتبر رواية حفص هي الرواية الرسمية، ويقمع بالقانون من تسول له نفسه أن يقرأ بقراءة متواترة. وغدت الإذاعات والمرئيات لا تقرأ بغير رواية حفص. وكان أول تسجيل صوتي للقرآن الكريم في العالم الإسلامي بصوت الشيخ خليل الحصري برواية حفص. كما أصبح تدريس القرآن برواية حفص في المدارس والمعاهد والجامعات والكتاتيب في أغلب الأقطار، ثم يُبنى عليها بقية القراءات العشر المتواترة في المعاهد القرآنية المتخصصة. وقامت عدد من الدول العربية مثل السعودية وغيرها بمنع قراءة أي قراءة غير حفص في المساجد.

قامت وزارة الثقافة المغربية بمنع مصحف فهد (على قراءة حفص عن عاصم)، حفاظاً على قراءة ورش التي تكاد تنقرض في الجزائر وغيرها.

كان السودان في السابق يقرأ قراءة الدوري، لكن تحت تأثير مصر والسعودية تم اعتماد رواية حفص رسمياً، ولم تبق قراءة الدوري إلا في كتاتيب دارفور القديمة. ولحسن الحظ فإن حكومة السودان تنبعت إلى هذه الكارثة، وقامت بطباعة "مصحف إفريقيا" بالدوري وغيره. وكذلك الصومال كانت بالكامل تقرأ بالدوري، لكن نتيجة ظروف الحرب وتوزيع مصاحف السعودية، أصبحت قراءة حفص منافسة قوية للدوري.

- يربط البعض بين السلفية وبين قراءة حفص، فترى المقرئين في الجزائر يتبارون بالقراءة بحفص بدلاً من ورش ليثبتوا سلفيتهم! مع أن السلف كانوا يقرؤون بمختلف القراءات، ولم يحدث أن يجبروا الناس على قراءة معينة. بل بلغ الجهل مبلغاً في بعض الأحداث المنتسبين للسلفية إلى سرقة مصاحف ورش من مساجد الجزائر واستبدالها بمصاحف حفص التي توزع مجاناً. وهم يعتبرون المصحف على رواية ورش بدعة محلية يجب التصدي لها. وبعض مشايخهم يعتبر أن ورش أقرب إلى العامية حيث لا ينطق بالهمزة و هي تختلف في كتابتها عن الكتب المدرسية، و هو بذلك يشكك في صحتها! ويعتبرون قراءة حفص هي الأفصح والدليل لأنها موافقة لقواعد الإملاء في الهمز وغيره! وهم لا يعلمون أن قواعد الإملاء الحديثة إنما تم إنشائها لتوافق قراءة حفص؟ وإلا فعامية العرب لا تستعمل الهمز.

ويقول الدكتور محمد الأمين: إن الترجيح بين القراءات في الفصاحة فيه نظر شديد، لأن كل قراءة متواترة هي من عند الله، وقد نزلت بالعربية الفصحى قطعاً "قرآناً عربياً"، ولهجات قبائل العرب تختلف. فمنع القراءات المتواترة هو منع لجزء من القرآن. والله تعالى يقول: "إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ". (البقرة 159) ³⁷⁰

ملف 12 ب 3 ف 1

الباب الثالث

370 - عن موقع الدكتور محمد الأمين، على العنوان التالي:

http://www.ibnamin.com/recitations_current_places.htm

الشيعة بين الأحرف السبعة ودعاوى التحريف

371

الفصل الأول: موقف الشيعة من عملية جمع القرآن

كتاب علي أو مصحف فاطمة

يشكك الشيعة "الإمامية"³⁷² في الروايات السنية التي تتحدث عن جمع القرآن لأول مرة في عهد أبي بكر وعمر وعثمان، ويقولون بأن القرآن كان مجموعاً في عهد الرسول الأكرم، وقد سلمه إلى الإمام علي بن أبي طالب عند وفاته، فقام بجمعه بصورة كاملة ونهائية وتقدم به إلى الخليفة أبي بكر والصحابة فرفضوه، وقام هؤلاء بعد ذلك بجمعه على طريقتهم الخاصة. ويقول الغلاة منهم بأن الخلفاء حذفوا من القرآن ما يتعلق بالنص على الإمام علي أو أهل البيت وحقهم في الخلافة، ولكن عامة الشيعة يفسرون المحذوف بأنه لم يكن من نص القرآن، وإنما من التأويل والتفسير المنزل.³⁷³

ويروي الشيعة أحاديث عن الإمام محمد بن علي الباقر (114هـ) أنه قال: "ما ادعى أحد من الناس أنه جمع القرآن كله كما أنزل إلا كذاب، وما جمعه وحفظه كما نزله الله تعالى إلا علي بن أبي طالب (ع)".³⁷⁴

_ 371

372 - الشيعة "الإمامية" هي الفرقة الرئيسية المتبقية من فرق الشيعة السبعين، تطورت عبر التاريخ من حركة سياسية تلتف حول بعض أئمة أهل البيت، إلى طائفة دينية تحمل عقيدة سياسية خاصة، هي نظرية "الإمامة الإلهية لأهل البيت" والتي ينسب تأسيسها إلى الإمامين محمد بن علي الباقر (114هـ) وابنه جعفر الصادق (145هـ).

373 - المفيد، أوائل المقالات، القول في تأليف القرآن وما ذكر قوم من الزيادة فيه والنقصان، ص 80 -

82

374 - الكليني، الكافي، كتاب الحجّة، باب أنه لم يجمع القرآن كله إلا الأئمة، ح رقم 1

وأن الإمام "أتى بالكتاب كملاً مشتملاً على التأويل والتنزيل، والمحكم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ، لم يسقط منه حرف ألف ولا لام فلم يقبلوا ذلك".³⁷⁵ كما يروون عن الإمام جعفر بن محمد الصادق أنه قال : إنّ رسول الله (ص) قال لعلي عند وفاته : " يا عليّ القرآن خلف فراشي في الصحف والحريير والقرطيس، فخذوه، واجمعوه، ولا تضيّعوه كما ضيعت اليهود التوراة" فانطلق عليّ فجمعه في ثوب أصفر، ثمّ ختم عليه في بيته. وقال: لا أرددي حتّى أجمعه. و إن كان الرجل ليأتيه، فيخرج إليه بغير رداء حتّى جمعه.³⁷⁶ وأن الصادق قال: " أخرجته علي إلى الناس حين فرغ منه وكتبه فقال لهم: هذا كتاب الله عز وجل كما أنزله الله على محمد (ص) وقد جمعته من اللوحين فقالوا: هو ذا عندنا مصحفٌ جامع فيه القرآن لا حاجة لنا فيه ! فقال: أما والله ما ترونه بعد يومكم هذا أبداً ، إنما كان عليّ أن أخبركم حين جمعته لتقرووه - واضاف - : إذا قام القائم قرأ كتاب الله عز وجل على حده وأخرج المصحف الذي كتبه علي عليه السلام!".³⁷⁷

وقد كان الباقر يعبر عن تلك النسخة المخفية أحياناً بـ "كتاب علي" أو "مصحف فاطمة".³⁷⁸ ويروي الكليني في (الكافي) عن الإمام الصادق، أن "مصحف فاطمة" يوازي ثلاثة أضعاف القرآن الذي بين أيدي

³⁷⁵ - تفسير الصافي، المقدمة السادسة ص 11

³⁷⁶ - المجلسي، بحار الأنوار، ج 92، ص 48 و 52 نقلاً عن تفسير القمي ، وفي البحار - أيضاً - عن أبي رافع أنه قال: إنّ النبي (ص) قال في مرضه الذي توفي فيه لعلي : يا عليّ هذا كتاب الله حُذِه إليك . فجمعه عليّ في ثوب، فمضى إلى منزله، فلمّا قبض النبيّ (ص) جلس عليّ فألفه كما أنزله الله، وكان به عالماً . المجلسي، البحار، ج 92 ص 51- 52

³⁷⁷ - الكليني، الكافي: 633/2

³⁷⁸ - الكليني، الكافي، كتاب الحجّة، باب أن الأئمة قد أوتوا العلم وأثبت في صدورهم، ح رقم 6 وهناك رواية مفصلة عن "مصحف فاطمة" يرويها محمد بن جرير الطبري (المؤرخ الشيعي المتوفى في القرن الرابع الهجري) عن جعفر بن محمد بن مالك الفزاري عن أبي بصير ، قال : سألت أبا جعفر محمد بن علي (الباقر) عن مصحف فاطمة فقال: "انزل عليها بعد موت أبيها... فلما أراد الله أن ينزله عليها أمر جبرائيل وميكائيل وإسرافيل أن يحملوا المصحف فينزلوا به عليها ، وذلك في ليلة الجمعة من الثالث الثاني من الليل، هبطوا به عليها وهي قائمة تصلي ، فما زالوا قياماً حتى قعدت ، فلما فرغت من صلاتها سلموا عليها، وقالوا : السلام يقرئك السلام،

المسلمين، وأنه يحتوي على "ستة عشر ألف آية، والله لا يوجد منها في مصحفكم هذا حرف واحد".³⁷⁹ وأنه كان يختلف عن المصحف المعروف في بعض الآيات.³⁸⁰ ولكن روايات أخرى عن الصادق تنفي أن يكون "مصحف فاطمة" يحتوي على قرآن، و"إنما هو شيء أملاه الله وأوحى إليها".³⁸¹ و" ما فيه آية من كتاب الله".³⁸² ويقول فيها: "إن عندنا مصحف فاطمة ، أما والله ما فيه حرف من القرآن ولكنه إملاء رسول الله وخط علي".³⁸³ و" إن عندي... مصحف فاطمة ، وما أزعـم أن فيه قرآنا، وفيه ما يحتاج الناس إلينا ولا نحتاج إلى أحد، حتى إن فيه الجلدة ونصف الجلدة وثلاث الجلدة وربـع الجلدة وأرش الخدش".³⁸⁴ وقد خلّفت فاطمة مصحفا ما هو قرآن، ولكنه كلام من كلام الله أنزل عليها، إملاء رسول الله وخط علي".³⁸⁵ وأن "مصحف فاطمة" كان يحتوي على مسائل فقهية حول الزكاة.³⁸⁶

ونظرا للاختلاف الهائل في الروايات حول "كتاب علي" أو "مصحف فاطمة" لا يمكن الوقوف على حقيقته، هل هو كتاب واحد؟ أم هما كتابان؟ هل هو قراءة خاصة بالامام علي، على حرف من الأحرف

ووضعوا المصحف في حجرها ، فقالت : الله السلام ، ومنه السلام ، وإليه السلام ، وعليكم يا رسل الله السلام . ثم عرجوا إلى السماء فما زالت من بعد صلاة الفجر إلى زوال الشمس تقرأه حتى أتت عليه على آخره . ولقد كانت طاعتها مفروضة على جميع من خلق الله من الجن والانس ، والطير والبهائم، والأنبياء والملائكة . فقلت : جعلت فداك ، فلما مضت إلى من صار ذلك المصحف ؟ فقال : دفعته إلى أمير المؤمنين ، فلما مضى صار إلى الحسن ثم إلى الحسين ، ثم عند أهله حتى يدفعوه إلى صاحب هذا الأمر".

الطبري، دلائل الإمامة : ص 104 ، ح 34

379 - الكليني، الكافي : ج 1 ص 238

380 - الكليني، الكافي ، الروضة، ص 49

381 - الصفار، بصائر الدرجات : ص 171 - 172 ، ح 3

382 - الصفار، بصائر الدرجات : ص 172

383 - الصفار، بصائر الدرجات : ص 181 ، ح 33

384 - الكليني، الكافي : ج 1 ، ص 240 ، ح 3

385 - الصفار، بصائر الدرجات : ص 175 ، ح 14

386 - المجلسي، بحار الأنوار : ج 47 ، ص 227 ، الرواية 17 ، الباب 7 وربما عبر الصادق عن ذلك الكتاب

بـ "الجفر" وهو الجلد الذي يحتوي الكتاب . الصفار، بصائر الدرجات : ص 175 ، ح 11 و ص 171 ، ح 2

السبعة؟ أم كتاب يحتوي على القرآن مع التفسير المنزل من الله؟ أم هو كتاب فقهي يحتوي على الحلال والحرام؟ وهل هو موجود حقا؟ أم مجرد كتاب مزعوم؟

ويتحدث الشيخ المفيد (413) عن (مصحف أمير المؤمنين) و"ما أحدثه بعض الظالمين فيه من الحذف والنقصان".³⁸⁷ بما يوحي بإيمانه بحدوث تحريف في عملية جمع القرآن وأن القرآن الكامل هو ما جمعه الامام علي بن أبي طالب، وأنه موجود عند الامام الثاني عشر (محمد بن الحسن العسكري) المهدي المنتظر.

وهذا ما أكده محمد باقر المجلسي (1111هـ) في تعليقه على حديث الامام الباقر "ما ادعى أحد من الناس أنه جمع القرآن كله كما أنزل إلا كذاب، وما جمعه وحفظه كما نزله الله تعالى إلا علي بن أبي طالب (ع)". حيث قال: "اختلف أصحابنا في ذلك، فذهب الصدوق ابن بابويه وجماعة إلى أن القرآن لم يتغير عما أنزل ولم ينقص منه شيء، و ذهب الكليني والشيخ المفيد (قدس الله روحهما) وجماعة إلى أن جميع القرآن عند الأئمة عليهم السلام، وما في المصاحف بعضه، وجمع أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) كما أنزل بعد الرسول (ص) وأخرج إلى الصحابة المنافقين فلم يقبلوا منه، وهم قصدوا لجمعه في زمن عمر وعثمان".³⁸⁸ وقال أيضا: " لا ريب في أنه يجوز لنا الان أن نقرأ موافقا لقراءاتهم المشهورة كما دلت عليه الاخبار المستفيضة إلى أن يظهر القائم عليه السلام ، ويظهر لنا القرآن على حرف واحد ، وقراءة واحدة ، رزقنا الله تعالى إدراك ذلك الزمان".³⁸⁹

ويتخذ الفقيه المعاصر السيد ابو القاسم الخوئي (1992)، صاحب كتاب "البيان في تفسير القرآن" موقفا مشابها من عملية جمع الخلفاء للقرآن، فهو يرد تلك الروايات السننية التي تتحدث عن جمع أبي بكر وعمر وعثمان للقرآن، بأنها "أخبار آحاد لا تفيد علما، وأنها مخدوشة من جهات شتى". ويقول: "انها

³⁸⁷ - المفيد، أوائل المقالات، القول في تأليف القرآن وما ذكر قوم من الزيادة فيه والنقصان، ص 80 -

³⁸⁸ - المجلسي، مرآة العقول، باب أنه لم يجمع القرآن كله إلا الأئمة عليهم السلام و أنهم يعلمون علمه كله، ج3 ص 30 - 32

³⁸⁹ - المجلسي ، بحار الأنوار، ج 82، ح رقم 55 ص 65-66

متناقضة في أنفسها، فلا يمكن الاعتماد على شيء منها" ويضرب لذلك مثلا حول تناقضها في زمن جمع القرآن بين من يقول ان ذلك تم في عهد ابي بكر أو عمر أو عثمان، وكذلك تناقضها في من تصدى لجمع القرآن زمن أبي بكر، وهل فوض الأمر لزيد؟ أم كان بشهادة شاهدين؟ وهل تمت عملية الجمع في عهد ابي بكر أو عمر؟ أم بقي بعض القرآن دون تدوين الى زمان عثمان؟ وهل نقص عثمان شيئا مما كان مدونا قبله؟ أم لا؟ ومتى ألحقت الآيتان بآخر سورة براءة؟ في زمان أبي بكر ، أم في عهد عمر؟ ومن اتى بهاتين الآيتين؟ خزيمه بن ثابت؟ أو أبو خزيمه؟ وبماذا ثبت أنهما من القرآن؟ بشهادة الواحد؟ أو بشهادة عثمان معه؟ أو بشهادة عمر؟ ومن عين عثمان لكتابة القرآن وإملائه؟ الى ما هنالك من نقاط تناقض جزئية كثيرة توجد في تفاصيل روايات الجمع .³⁹⁰

ويرد الخوئي أيضا روايات جمع الخلفاء للقرآن بما يعارضها من روايات تدل على جمعه على عهد الرسول الأكرم " فقد روى جماعة ، منهم ابن أبي شيبة، وأحمد بن حنبل ، والترمذي ، والنسائي ، وابن حبان ، والحاكم، والبيهقي، والضياء المقدسي، عن ابن عباس، قال : قلت لعثمان بن عفان : ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني، وإلى براءة، وهي من المثين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر : بسم الله الرحمن الرحيم؟ ووضعتموهما في السبع الطوال ، ما حملكم على ذلك؟ فقال عثمان : إن رسول الله (ص) كان مما يأتي عليه الزمان ينزل عليه السورة ذات العدد ، وكان إذا نزل عليه الشيء يدعو بعض من يكتب عنده فيقول : ضعوا هذا في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا ، وتنزل عليه الآيات فيقول : ضعوا هذا في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا ، وكانت الانفال من أول ما أنزل بالمدينة ، وكانت براءة من آخر القرآن نزولا ، وكانت قصتها شبيهة بقصتها ، فظننت أنها منها ، وقبض رسول الله (ص) ولم يبين لنا أنها منها ، فمن أجل ذلك قرنت بينهما ، ولم أكتب بينهما سطر : بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتهما في السبع الطوال".³⁹¹ ويستشهد أيضا بقول عبد الله بن عمر، الذي أخرجه النسائي بسند صحيح، أنه جمع القرآن فقرأ به كل ليلة، فبلغ النبي (ص) فقال: اقرأه في شهر.³⁹²

³⁹⁰ - الخوئي، البيان، ص 247 - 248

³⁹¹ - الخوئي، البيان، ص 249، عن منتخب كنز العمال ج 2 ص 48

³⁹² - الخوئي، البيان، ص 250، عن الاتقان، النوع ٢٠ ج ١ ص ١٢٤.

ويؤكد الخوئي على " أن حفاظ القرآن على عهد رسول الله (ص) كانوا أكثر من أن تحصى أسماؤهم، فكيف يمكن حصرهم في أربعة أو ستة؟! وإن المتصفح لأحوال الصحابة ، وأحوال النبي (ص) يحصل له العلم اليقين بأن القرآن كان مجموعاً على عهد رسول الله (ص) وأن عدد الجامعين له لا يستهان به. وأما ما رواه البخاري بإسناده عن أنس ، قال : مات النبي (ص) ولم يجمع القرآن غير أربعة : أبو الدرداء ، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، وأبو زيد ، فهو مردود مطروح ، لأنه معارض للروايات المتقدمة ، حتى لما رواه البخاري بنفسه. ويضاف إلى ذلك أنه غير قابل للتصديق به. وكيف يمكن أن يحيط الراوي بجميع أفراد المسلمين حين وفاة النبي (ص) على كثرتهم ، وتفرقهم في البلاد ، ويستعلم أحوالهم ليتمكن أن يحصر الجامعين للقرآن في أربعة ، وهذه الدعوى تخرص بالغيب ، وقول بغير علم . وصفوة القول : أنه مع هذه الروايات كيف يمكن أن يصدق أن أبا بكر كان أول من جمع القرآن بعد خلافته؟ وإذا سلمنا ذلك فلماذا أمر زيدا وعمر بجمعه من اللخاف ، والعسب ، وصدور الرجال ، ولم يأخذه من عبد الله ومعاذ وأبي ، وقد كانوا عند الجمع أحياء ، وقد أمروا بأخذ القرآن منهم ... على أن زيدا نفسه كان أحد الجامعين للقرآن على ما يظهر من هذه الرواية ، فلا حاجة إلى التفحص والسؤال من غيره ، بعد أن كان شاباً عاقلاً غير متهم كما يقول أبو بكر ، أضف إلى جميع ذلك أن أخبار الثقلين المتظافرة تدلنا على أن القرآن كان مجموعاً على عهد رسول الله (ص)". 393

ويقدم الخوئي أدلة أخرى من الكتاب والعقل والاجماع ، حسب قوله، على عدم صحة روايات جمع الخلفاء للقرآن، ويخلص إلى القول القاطع بأن النبي (ص) كان قد أمر بكتابة القرآن على عهده ، كما في رواية زيد بن ثابت، قال : "كنا عند رسول الله (ص) نؤلف القرآن من الرقاع". قال الحاكم (المستدرک ج ٢ ص ٦١١) : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وفيه الدليل الواضح : أن القرآن إنما جمع على عهد رسول الله " 394.

واضافة الى ذلك، يشكك الخوئي بروايات جمع القرآن في عهد الخلفاء بأن "هذه الروايات مخالفة لما أجمع عليه المسلمون قاطبة من أن القرآن لا طريق لاثباته إلا التواتر ، فإنها تقول : إن إثبات آيات القرآن حين الجمع كان منحصراً بشهادة شاهدين ، أو بشهادة رجل واحد إذا كانت تعدل شهادتين ، وعلى هذا

393 - الخوئي، البيان، ص 251

394 - الخوئي، البيان، ص 254

فاللزام أن يثبت القرآن بالخبر الواحد أيضا ، وهل يمكن لمسلم أن يلتزم بذلك؟ ولست أدري كيف يجتمع القول بصحة هذه الروايات التي تدل على ثبوت القرآن بالبينة ، مع القول بأن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر ، أفلا يكون القطع بلزوم كون القرآن متواترا سببا للقطع بكذب هذه الروايات أجمع؟ ... وعلى الجملة لا بد من طرح هذه الروايات ، لأنها تدل على ثبوت القرآن بغير التواتر ، وقد ثبت بطلان ذلك بإجماع المسلمين".

395

وهناك باحث شيعي آخر هو السيد مرتضى العسكري (2007) يسير على خطى المفيد والخوئي، فينفي في كتابه (القرآن الكريم وروايات المدرستين) جمع الخلفاء الراشدين للقرآن، ويكتب تحت عنوان (تناقض روايات جمع القرآن) فيقول: "لقد مرّت بنا أمور هائلة وخطيرة في ما قالوه في شأن جمع القرآن واختلاف مصاحف الصحابة والتابعين وإسقاطهم سورا وآيات فيها، وزيادات سور وآيات أخرى فيها، وأقوالهم في آيات ناسخة ومنسوخة في الحكم أو التلاوة أو الحكم والتلاوة معا. واختلافهم في قراءات كثيرة متضادة، ملأوا فيها بطون موسوعات الحديث على اختلاف أنواعها، من صحاح وسنن ومسانيد ومصنفات وزوائد ومستدركات وموسوعات علوم القرآن من تفاسير وكتب الناسخ والمنسوخ والقراءات، مما يخيّل لقارئ تلك الكتب بادئ ذي بدء، أنّ الاختلاف في أمر القرآن أكثر مما في الاناجيل. ولكنّه إذا رجع إلى القرآن الكريم الذي بأيدي عامّة الناس وحده والذي ورثه جيل من الناس عن جيل حتّى انتهوا إلى الجيل الذي أخذه من فم رسول الله (ص) وسجّله في عصره وبأمره ، لم يجد في هذا القرآن عيبا ولا أثرا من شيء مما ذكره وسطره. وإذا وقف الانسان السويّ على هذا المعين، ثمّ أعاد النظر إلى كلّ تلك الروايات مسندها ومرسلها وكل تلك العلوم قديمها وجديدها وجدها كلّها وجميعها: (كَسْرَابٍ بِقَيْعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ سَيْئًا). (التّور 39)".³⁹⁶

395 - الخوئي، البيان، ص 256

396 - العسكري، مرتضى (2007) ، القرآن الكريم وروايات المدرستين، المجلد الثاني، تناقض روايات جمع القرآن، على العنوان التالي:

<http://osool.ac.ir/MOALFAT/QURAN/joz2/q2-1/71-75.htm>

و <http://osool.ac.ir/MOALFAT/QURAN/joz2/q2-2/258.htm>

ويفسر العسكري عملية جمع الخلفاء للقرآن بأنها كانت من أجل تجريده من الاضافات التي كانت بمثابة التفسير، كإضافة مصحف عائشة وحفصة كلمة (وصلاة العصر) أو ما وجد في مصاحف الصحابة مثل (ابن مسعود) و (أبي بن كعب) أو غيرها. كما يقول: ان المصحف الذي جمعه الامام علي (ع) كان فيه بيان الآيات و شأن نزولها و تناقلته الائمة من أولاد علي (ع) إلى أن بلغ أمر الامامة إلى المهدي الموعود (ع) فهو عنده و سوف يخرجه للعمل به عند ظهوره إن شاء الله تعالى".³⁹⁷

موقف الشيعة من تعدد الأحرف والقراءات

توجد أحاديث شيعية متناقضة حول الموقف من الأحرف السبعة والقراءات السبع، ففي حين تنفي بعض الاحاديث أن يكون القرآن قد أنزل على سبعة أحرف تعترف أحاديث أخرى بذلك، ولكن علماء الشيعة يضعفون هذه الروايات نظرا لاتفاقها مع الأحاديث السنية ويفسرون صدورها عن أئمة أهل البيت بالتقية.

فقد جاء في صحيحة زرارة عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر، أنه قال: "إن القرآن واحد، نزل من عند واحد، ولكن الاختلاف يجيء من قبل الرواة".³⁹⁸ وعن الفضيل بن يسار، أنه سأل أبا عبدالله (جعفر الصادق): إن الناس يقولون: إن القرآن نزل على سبعة أحرف! فقال: "كذبوا أعداء الله! ولكنه نزل على حرف واحد من عند الواحد".³⁹⁹

وفي مقابل تلك الروايات، توجد في التراث الشيعي روايات أخرى تؤكد وجود الأحرف السبعة، فقد ذكر الصدوق، محمد بن علي بن بابويه القمي في كتاب (الخصال) باب (القران نزل على سبعة احرف) عدة روايات، منها: "عن محمد بن علي ماجيلويه ، عن محمد بن يحيى ، عن محمد بن أحمد ، عن أحمد بن هلال ، عن عيسى بن عبدالله الهاشمي ، عن أبيه ، عن آبائه قال : قال رسول الله (ص) : أتاني آت من الله ،

³⁹⁷ - العسكري، مرتضى (2007) (القرآن الكريم وروايات المدرستين) المجلد الثاني، بحث القراءات والقراء. راجع

العنوان التالي: <http://osool.ac.ir/MOALFAT/nidex.htm>

³⁹⁸ - الكليني، أصول الكافي، كتاب فضل القرآن ، باب النوادر ، الرواية : 12

³⁹⁹ - الكليني، أصول الكافي كتاب فضل القرآن ، باب النوادر ، الرواية : 13

فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد ، فقلت : يا رب وسع على امتي فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف".⁴⁰⁰

كما روى الصدوق عن ابن الوليد ، عن الصفار ، عن ابن معروف ، عن محمد بن يحيى الصيرفي ، عن حماد بن عثمان قال : "قلت لأبي عبد الله (ع) : إن الأحاديث تختلف عنكم ، قال : فقال : إن القرآن نزل على سبعة أحرف وأدنى ما للامام أن يفتي على سبعة وجوه ، ثم قال : (هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب)".⁴⁰¹

وجاء في تفسير علي بن ابراهيم القمي : عن علي بن الحسين ، عن أحمد بن أبي عبد الله عن علي بن سيف بن عميرة، عن أبيه ، عن أبي بكر الحضرمي قال : قلت لأبي جعفر (محمد الباقر) عليه السلام إن ابن مسعود كان يحو المعوذتين من المصحف ، فقال : كان أبي يقول : إنما فعل ذلك ابن مسعود برأيه ، وهما من القرآن.⁴⁰² وفي (طب الأئمة): عن أبي عبد الله عليه السلام أنه سئل عن المعوذتين أهما من القرآن؟ فقال عليه السلام : هما من القرآن، فقال الرجل: إنهما ليستا من القرآن في قراءة ابن مسعود ولا في مصحفه؟ فقال عليه السلام : أخطأ ابن مسعود ، أو قال : كذب ابن مسعود ، هما من القرآن ، فقال الرجل فأقرأ بهما في المكتوبة؟ فقال : نعم. مما يؤكد معرفة الشيعة والأئمة بتعدد الأحرف وتميز عبد الله بن مسعود بحرف معين.

واحتمل المفيد أن تكون القراءات الخاصة المنقولة عن أئمة أهل البيت كقراءة " كنتم خير أئمة أخرجت للناس " و " كذلك جعلناكم أئمة وسطا " و "يسألونك الأنفال" أنها منزلة على وجهين، كنوع من الأحرف

400 - الخصال ج 2 ص 12. والمجلسي، بحار الأنوار، ج 82، ح رقم 55 ص 65-66 ، وأضاف المجلسي: "الخبر ضعيف ومخالف للاخبار الكثيرة كما ستأتي ، وحملوه على القراءات السبعة ، ولا يخفى بعده لحدوثها بعده صلى الله عليه وآله".

401 - الخصال ج 2 ص 10 ، وقد رواها العياشي في تفسيره ، ج 1 ص 24 ، والمجلسي، بحار الأنوار: ج 92 ص 98

402 - القمي، علي بن ابراهيم ، التفسير، ص 62

السبعة "كما يعترف مخالفونا به من نزول القرآن على أوجه شتى".⁴⁰³ وذلك في إشارة من المفيد الى وجود أحرف سبعة في قراءة القرآن.

وربما كان رفض الاعتراف بوجود أحرف سبعة أو قراءات سبع للقرآن، في بعض الروايات الشيعية، محاولة لحصر القراءة برواية أهل البيت، والتشكيك بالروايات الأخرى، ولكن هذه القراءة ، كما قلنا ،لم تثبت عن أهل البيت بسند صحيح، اضافة الى وجود روايات أخرى عنهم تأمر أو تسمح بقراءة القرآن كما يقرأه عامة المسلمين، ولو انها توقفت ذلك السماح الى زمن قيام القائم الذي تقول انه سيخرج القرآن كما أنزل.

وقد رفض الخوئي الاعتراف بالقراءات السبع فضلا عن الأحرف السبعة، اعتمادا على روايتي الباقر والصادق الأنفتين، وقام بالتشكيك بالقراءات لأنها غير متواترة لا عن النبي ولا عن القراء أنفسهم، وهي اما اجتهاد من القارئ، أو منقول بخبر الواحد. وقال: "قد أطبق المسلمون بجميع نحلهم ومذاهبهم على أن ثبوت القرآن ينحصر طريقه بالتواتر. واستدل كثير من علماء السنة والشيعية على ذلك : بأن القرآن تتوافر الدواعي لنقله ، لانه الاساس للدين الاسلامي ، والمعجز الالهي لدعوة نبي المسلمين ، وكل شيء تتوافر الدواعي لنقله لا بد وأن يكون متواترا. وعلى ذلك فما كان نقله بطريق الأحاد لا يكون من القرآن قطعا".⁴⁰⁴

ورفض الخوئي البحث في مسألة الأحرف السبعة وتاريخ جمع القرآن أو الظروف التي أدت الى بروز القراءات السبع في القرنين الأول والثاني الهجريين، بسبب عدم تنقيط المصاحف لعدم وجود النقط والحركات في كتابة الحروف العربية، حتى عهد الحجاج بن يوسف الثقفي (95 هـ) مما سمح لكل قارئ من القراء السبعة أو العشرة أو السبعين أن يقرأ بشكل مختلف عن زملائه القراء، وهو ما سمح أيضا بولادة قراءة أهل البيت المروية عن الامام محمد الباقر (114) وقال الخوئي: "ان المراجع بعد النبي (ص) في أمور الدين ، إنما هو كتاب الله وأهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ... ولا قيمة للروايات إذا كانت مخالفة

403 - وضرب لذلك مثلا باختلاف قراءة قوله تعالى : " وما هو على الغيب بضنين " أو " وما هو على الغيب بضنين ". أو قوله تعالى : "جنات تجري تحتها الأنهار " وعلى قراءة أخرى : " من تحتها الأنهار ". وما أشبه ذلك. المفيد ، المسائل السروية، فصل: وحدة القرآن وتعدد القراءات. ص 78 - 85

404 - الخوئي، البيان في تفسير القرآن ، ص 123 ، و ص 164

لما يصح عنهم. ولذلك لا يهمنا أن نتكلم عن أسانيد هذه الروايات. وهذا أول شيء تسقط به الرواية عن الاعتبار والحجية".⁴⁰⁵

ومع ذلك فقد أفتى الخوئي بجواز القراءة على إحدى القراءات السبع، نظرا لبعض الروايات عن الامام الباقر والصادق، وقال: "تجوز قراءة "مالك يوم الدين" و"ملك يوم الدين" ويجوز في الصراط بالصاد والسين ويجوز في "كفوا" ان يقرأ بضم الفاء وبسكونها مع الهمزة أو الواو، والأحوط القراءة باحدى القراءات السبع، وان كان الاقوى جواز القراءة بجميع القراءات التي كانت متداوله في زمان الائمة (ع)".⁴⁰⁶

وأما مرتضى العسكري فقد رفض كذلك الاعتراف بالأحرف السبعة، تبعا لحديث الامام الباقر بأن "القرآن واحد انزل من واحد" واعتبر القول بالأحرف السبعة نوعا من تحريف القرآن. وقال: "من أهمّ العوامل في اختلاق القراءات المختلفة ما رووا في روايات متواترة موصوفة بالصحة أنّ الرسول (ص) أقرأ السورة الواحدة لاصحابه بألفاظ مختلفة، فتمارى كل منهم في قراءة الاخر، وقال الرسول (ص) في جواب اعتراضهم إنّ القرآن نزل على سبعة أحرف".⁴⁰⁷ كما رفض القراءات السبع المختلفة للقرآن الكريم والتي اشتهرت في القرون الثلاثة الأولى، ونعتها بالتحريف فقال: "قام في هذه الأمة من سموا بالقراء بتحريف القرآن الكريم آلاف

405 - الخوئي، البيان، ص 177

406 - الخوئي، منهاج الصالحين، ج 1 ص 163 وكذلك أفتى الامام الخميني: "الاحوط عدم التخلف عن احدى القراءات السبع كما ان الاحوط عدم التخلف عما في المصاحف الكريمة الموجودة بين ايدي المسلمين وان كان التخلف في بعض الكلمات مثل "ملك يوم الدين" و"كفوا أحد" غير مضر بل لا يبعد جواز القراءة باحدى القراءات". الخميني، تحرير الوسيلة ج 1 ص 167

407 - العسكري، مرتضى 1999، القرآن الكريم وروايات المدرستين، الكتاب الثاني، بحث روايات نزول القرآن على سبعة أحرف. كلية اصول الدين طهران

المرات باسم القراءات المختلفة...ولكن الله حفظ قرآنه الكريم كما وعد عن أن تناله أيدي المحرفين وأبقى كتابه الكريم سالماً عن كل ذلك التحريف بأيدي كل الناس والحمد لله على هذه النعمة العظيمة".⁴⁰⁸

ولكن العسكري لم يوضح مقصوده من حفظ القرآن؟ أين؟ وما هو؟ وعند من؟ ويغفل أو يتغافل عن وجود عدة نسخ معاصرة للقرآن بعدة قراءات منها قراءة حفص عن عاصم، ومنها ورش وقالون عن نافع، وان قراءة حفص عن عاصم لم تشتهر في العالم الاسلامي الا في القرون المتأخرة، في حين كانت قراءات أخرى هي السائدة قروناً من الزمن، ولم يقل العسكري لنا أي القراءات هي الأصل الصحيح الدقيق للقرآن.

وفي الحقيقة، ونظراً لثبوت وجود القراءات السبع أو السبعين للقرآن في القرن الثاني الهجري، نتيجة لعدم تنقيط الحروف العربية في القرن الأول حتى عهد الحجاج الثقفي (95 هـ) وعدم وجود الحركات عليها، بالرغم من كتابة عثمان للمصحف الامام، فانه يمكن اعتبار تلك القراءات حرفاً من الأحرف السبعة التي سمح النبي بقراءتها على أية صورة ممكنة. وإذا كان اختلاف القراءات السبع أمراً لا مفر منه فرض نفسه على المسلمين حتى بعد مصحف عثمان، فان الاختلاف بين المسلمين في قراءة القرآن، كان أمراً أصعب في أيام الرسول حيث كانت وسائل الكتابة والأوراق شبه منعدمة، وحفظه عن ظهر القلب بدقة أصعب، ولذلك فقد كان النبي يتساهل في الأمر، وينهى عن المراء، ويقول: "كل من عند الله، أو هكذا أنزل" في إشارة الى المعنى والمضمون، وعدم التوقف كثيراً عند الألفاظ، وهو ما اطلق عليه بالاحرف السبعة، ولو كان النبي حريصاً على قراءة القرآن على حرف واحد، لوضع النقاط على الحروف العربية، كما فعل الحجاج من بعد. وحتى لو فعل ذلك فماذا كان يفيد أو يغير في أمة أمية لا تقرأ ولا تكتب، ولا يوجد فيها الا بضعة أشخاص يحسنون استعمال القلم والدواة. وهذا ما يثبت أن مشكلة الكتابة والقراءة للقرآن كانت فعلاً مشكلة مستعصية استمرت أكثر من مائة عام في صدر الاسلام، وأدت الى إقرار الأحرف السبعة والقراءات السبع.

408 - العسكري، مرتضى 1999، القرآن الكريم وروايات المدرستين، الكتاب الثاني، بحث القراءات والقراء.

إذن يقول الشيعة الامامية إن القرآن كان مجموعا في عهد الرسول الأعظم (ص). كما يقولون بأن الامام علي جمعه بعد وفاة الرسول، وان النسخة التي جمعها الامام توجد عند أبنائه، وسوف يخرجها الامام المهدي المنتظر الغائب.

وانهم يشككون في الرواية الاسلامية العامة (السنية) بجمع الخلفاء للقرآن بعد الرسول، وي طرحون كثيرا من الأسئلة المعقولة الواردة حول عملية الجمع، وتناقضات الروايات المختلفة في كثير من الجزئيات، ويستدلون على جمع القرآن حفظا وكتابة في زمن النبي، بوجود المصاحف المختلفة في الأقطار الاسلامية كمصحف أبي ومصحف عبد الله بن مسعود، قبل أن يجمعها عثمان بن عفان في مصحف واحد.

ولكن الرواية الشيعية هي بدورها لا تسلم من النقد ومن كثير من الأسئلة والملاحظات، فمن ناحية هي لا تفسر اختلاف المصاحف قبل جمع عثمان، ومن ناحية أخرى لا ترد الرواية السنية المتواترة، تاريخيا بنقض رواتها، أو التشكيك بصحتها من ناحية السند، وانما تردها عقليا أو أيديولوجيا، علما بأن اختلاف جزئيات رواية جمع الخلفاء للقرآن لا يمنع من تواتر عملية الجمع بصورة عامة، خصوصا عملية جمع عثمان لمصحفه الذي عرف باسمه، وهو المصحف الموجود بين أيدينا منذ ذلك التاريخ. ويلاحظ أن التشكيك الشيعي بالرواية التاريخية العامة، لم يكن له أثر في القرن الهجري الأول، وانما ابتداء منذ زمن الامام محمد الباقر مطلع القرن الهجري الثاني، إن صحت الرواية عنه، وهو أمر مشكوك فيه عند المحققين الشيعة المعاصرين (مرتضى العسكري: القرآن الكريم وروايات المدرستين) ومع ان رواية جمع الامام علي للقرآن وردت في روايات سنية، وقد أشار ابن أبي داود الى مصحف علي ونقل منه قراءة خاصة لآية واحدة،⁴⁰⁹ الا ان رواية جمع الامام تتناقض مع رواية جمع القرآن على عهد النبي، كما انها لا تحمل اشارة الى كون مصحف علي يتضمن أكثر من القرآن المعروف بمصحف عثمان، أو يختلف عنه بصورة جذرية، وانما يقال ان ترتيب السور فيه كان حسب النزول وليس حسب حجم السور كما هو الحال في مصحف عثمان، ولو كان هذا المصحف يختلف كثيرا عن مصحف عثمان لأظهره الامام علي

409 - حدثنا عبد الله حدثنا محمد بن عبد الله المخرمي حدثنا مسهر بن عبد الله حدثنا عيسى بن عمر بن عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن عن علي أنه قرأ (س 2 آ 285) "آمن الرسول بما أنزل اليه وآمن المؤمنون". كتاب المصاحف،

عندما حكم، بدلا من تأييد مصحف عثمان، بل كان يجب عليه ان يقوم بذلك باعتباره أهم عمل اصلاحي يقوم به في خلافته قبل تغيير الولاة أو محاربة المارقين والناكثين.

وأما قول بعض الشيعة (كالمفيد والحوئي والعسكري) باشمال الجزء المحذوف من القرآن عند جمع الخلفاء له، على التأويل والتفسير المنزل من الله، فهو قول بلا دليل سوى الاستناد الى روايات مشكوك في صحة نسبتها الى الامام الباقر، ولو صحت عنه لما كان فيها حجة لأنه لا يرفعها بسند صحيح، ولا يوجد ما يؤيدها من الادلة التاريخية، وانما هي دعوى أيديولوجية بحتة تحاول التنظير لنظرية "الإمامة الإلهية".

وإذا كانت بعض الروايات الواردة عن الامام علي حول قراءة القرآن بحرف آخر غير ما هو مكتوب في مصحف عثمان (كما روى ابن ابي داود) أو بقراءة أخرى يسيرة كالقراءات السبع، وهي واردة عن طريق السنة أيضا، فان كثيرا أو أكثر أو معظم ما نسب الى الامام علي (وأهل البيت) من قراءة مختلفة بالاحرف والنقاط والحركات، أو الزيادة والنقصان هي روايات متأخرة مدعاة منذ القرن الثاني، وهي بلا دليل ولا سند معتبر وضعيفة عند الشيعة قبل غيرهم.

ان وجود المصاحف المتعددة المكتوبة بقلم الصحابة كعبد الله بن مسعود وأبي بن كعب، والمختلفة فيما بينها، والتي يعترف الشيعة بوجودها ويروون عنها، يدل على أن عملية جمع القرآن النهائية تمت في عهد عثمان، فضلا عن محاولة الجمع الأولى في عهد أبي بكر وعمر، وعدم جمع القرآن بصورة كاملة في عهد النبي، والا لما تعددت المصاحف ولما اختلفت. كما ان ادعاء الشيعة بوجود قراءة خاصة للامام علي أو اهل البيت للقرآن، وجهل عامة المسلمين بها، يؤكد عدم جمع القرآن في زمن النبي، فضلا عن احتمال اختراع تلك القراءة في وقت متأخر، في القرن الثاني الهجري، تماشيا مع اختراع نظرية الامامة الإلهية، وفي محاولة لاصطناع الأدلة عليها من القرآن.

ملف رقم 13 ب 3 ف 2 قراءة أهل البيت

الباب الثالث

الشيعة بين الأحرف السبعة ودعاوى التحريف

الفصل الثاني: قراءة أهل البيت الخاصة للقرآن

410

بالرغم من رفض الامامين الشيعيين محمد الباقر وجعفر الصادق لنظرية الأحرف السبعة والقراءات السبع، فان التراث الشيعي يحفل بروايات كثيرة تتحدث عن "مصحف فاطمة"، أو "كتاب علي". وقد أصبح ادعاء وجود نسخة خاصة من القرآن للامام علي بن أبي طالب عند أبنائه، نافذة أو قاعدة لما أصبح يعرف بـ "قراءة أهل البيت" الخاصة للقرآن، والتي سنستعرضها في الفصول القادمة.

وقد ترافقت تلك القراءة الخاصة مع نشوء نظرية "الإمامة الإلهية لأهل البيت" التي أسسها الامام محمد الباقر (توفي 114)، واستعان بتلك القراءة لتأييد نظريته. وقد استند في بنائها واحتلال موقعه المحوري الخاص فيها، الى قراءة كانت مشهورة في تلك الأيام للآية الثانية والخمسين من سورة الحج، تحتوي على إضافة كلمة (محدّث): أي هكذا: "وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي (ولا محدّث) الا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم آياته، والله عليم حكيم".⁴¹¹ وهي قراءة يرويها البخاري ومسلم والنسائي والترمذي، وينسبونها الى ابن عباس، ويروون فيها حديثا عن ابي هريرة أنه قال قال رسول الله (ص): "لَقَدْ كَانَ فِيمَا قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ مُحَدِّثُونَ فَإِنْ يَكُ فِي أُمَّتِي أَحَدٌ فَإِنَّهُ عُمَرُ". وزاد زكرياء بن أبي زائدة عن سعد عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال النبي (ص): "لَقَدْ كَانَ فِيمَنْ

_ 410

411 - الكليني، الكافي، كتاب الحجّة، باب أن الأئمة يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء، ح رقم 1 و 2 و 3 و 4 والكليني، الكافي، كتاب الحجّة، باب في أن الأئمة محدثون مفهمون، ح رقم 2

كَانَ قَبْلَكُمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ رِجَالٌ يُكَلِّمُونَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءَ فَإِنْ يَكُنْ مِنْ أُمَّتِي مِنْهُمْ أَحَدٌ فَعَمْرٌ".
قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (مِنْ نَبِيِّ وَلَا مُحَدَّثٍ). 412

وقد وجد الامام الباقر في هذه القراءة أساسا مهما لتشييد نظرية "الإمامة الإلهية" فأكد لأصحابه: "إنها هكذا في كتاب علي". 413 وادعى أنه "محدث" من قبل الملائكة الذين قال انهم يتنزلون عليه، ويخبرونه بعلوم السماء. 414 وفسر (المحدث) بأنه: من "ينكت في أذنه فيسمع طيننا كطين الطست أو يقرع على قلبه فيسمع وقعا كوقع السلسلة على الطست". 415

412 - ابن حجر : الحديث الحادي عشر : حديث أبي هريرة ، فتح الباري في شرح صحيح البخاري ، حديث 3486 وأخرجه مسلم والترمذي والنسائي .

413 - الصفار، بصائر الدرجات، ج 7 باب 6 ح رقم (13)

414 - الكليني، الكافي، كتاب الحجّة، باب أن الأئمة يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء، ح رقم 1 و 2 و 3 و 4 والكليني، الكافي، كتاب الحجّة، باب في أن الأئمة محدثون مفهمون، ح رقم 2

415 - الصفار، بصائر الدرجات، ج 7 باب 6 ح رقم (13) وعن زرارة عن أبي جعفر قال الأنبياء على خمسة أنواع منهم من يسمع الصوت مثل صوت السلسلة فيعلم ما عنى به ومنهم من ينبأ في منامه مثل يوسف وإبراهيم ومنهم من يعاين ومنهم من ينكت في قلبه ويوقر في أذنه. الصفار، بصائر الدرجات، ج 8، باب 1 في الفرق بين الأنبياء والرسل والأئمة عليهم السلام ومعرفتهم وصفتهم ، ح رقم (6)

وروى الكليني عن الباقر أنه قال: "إن علم ما لا اختلاف فيه عند الأوصياء، كما كان رسول الله (ص) يعلمه إلا أنهم لا يرون ما كان رسول الله (ص) يرى، لأنه كان نبيا وهم محدثون، وأنه كان يفد إلى الله (عز وجل) فيسمع الوحي وهم لا يسمعون". واستشهد بهذه الآية: "إنا أنزلناه في ليلة مباركة، إنا كنا منذرين، فيها يفرق كل أمر حكيم، أمرا من عندنا إنا كنا مرسلين" فقال: "إن هذا الأمر الحكيم الذي يفرق فيه هو من الملائكة والروح التي تنزل من السماء إلى الأرض، ولا بد لهم من سيد يتحاكمون إليه... لعمرى ما في الأرض ولا في السماء وليّ الله عز ذكره إلا وهو مؤيد، ومن أئيد لم يُخط، وما في الأرض عدوّ لله عز ذكره إلا وهو مخذول، ومن لحذل لم يُصب، كما أن الأمر لا بد من تنزيله من السماء يحكم به أهل الأرض، كذلك لا بد من والٍ... أبي الله عز وجل بعد محمد (ص) أن يترك العباد ولا حجة عليهم". وقال: "لقد خلق الله جل ذكره ليلة القدر أول ما خلق الدنيا، ولقد خلق فيها أول نبي يكون، وأول وصي يكون، ولقد قضى أن يكون في كل سنة ليلة يهبط فيها بتفسير الأمور إلى مثلها من السنة المقبلة، من جحد ذلك فقد رد على الله (عز وجل) علمه، لأنه لا

وشكلت القراءة الخاصة للقرآن، والمروية عن الامامين الباقر والصادق أساسا لنظرية "الإمامة الإلهية" وقاعدة للتشكيك بعملية جمع الخلفاء (أبي بكر وعمر وعثمان) للقرآن، واتهامها بالنقص والتحريف. وانعكست في كتب الحديث والتفسير الامامية التي انتشرت في القرنين الثالث والرابع ك (كتاب القراءات، أو التنزيل والتحريف) لأحمد بن محمد السيارى (286 هـ)، و (بصائر الدرجات) لمحمد بن حسن بن فروخ الصفار (290)، و (ناسخ القرآن ومنسوخه) لسعد بن عبد الله الأشعري القمي (حوالي 300)، وتفسير علي بن ابراهيم القمي (307)، و (الكافي) لمحمد بن يعقوب الكليني (329)، وتفسير محمد بن مسعود العياشي (320) ، وتفسير فرات بن ابراهيم الكوفي (352)، وتفسير ابن أبي زينب محمد بن إبراهيم النعماني (360) وغيرهم ، وعمد المفسر محمد بن العباس بن علي الماهيار المعروف بابن الحجاج (حوالي 328) إلى تأليف كتابين في تلك القراءة، أسمى أحدهما "قراءة أهل البيت عليهم السلام" والآخر: "قراءة أمير المؤمنين عليه السلام".⁴¹⁶

وتشمل "قراءة أهل البيت" المفترضة أو المنسوبة اليهم، أربعة أقسام:

- 1- قراءة بعض الآيات بتأويل خاص .
- 2- قراءة بعض الآيات بشكل مختلف ، مشابه للقراءات السبع أو العشر التي اشتهرت في القرن الثاني الهجري داخل إطار المصحف العثماني .
- 3- قراءة بعض الآيات بشكل مختلف، مشابه للأحرف السبعة التي اشتهرت في صدر الاسلام، قبل المصحف العثماني .
- 4- قراءة بعض الآيات بشكل محرف بعيد جدا عن سياق القرآن .

يقوم الأنبياء والرسل والمحدثون إلا أن تكون عليهم حجة بما يأتيهم في تلك الليلة، مع الحجة التي يأتيهم بها جبرئيل (ع)."
الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب في شأن إنا أنزلناه ، ح رقم 1 و 7

وقد أصبحت تلك الروايات بوجود قراءة خاصة للإمام علي أو لأهل البيت، مادة دسمة لاتهم الشيعة بالقول بتحريف القرآن.⁴¹⁷ ولكن دراسة تلك الروايات الشيعية، ومقارنتها بالروايات السننية المنقولة عن نفس تلك الفترة، تبعد شبهة التحريف عن الشيعة، وتدعو للتأمل والنظر فيما اذا كان لدى أهل البيت فعلا قراءة خاصة تستند الى حرف من الحروف السبعة أو قراءة من القراءات السبع، مع رفض بعض الروايات التي تصرح بالتحريف أو تنقل قراءات شاذة جدا وغريبة، تتضمن تلاعبا واضحا بالقرآن لخدمة أهداف سياسية نظرية كحق أهل البيت في الحكم والخلافة.

ومع وجود شك منهجي معتبر في صحة جميع الروايات المنقولة عن الإمامين الباقر والصادق، لأنها نقلت عنهما بصورة شفوية من واحد الى آخر، خلال مائة عام أو أكثر، قبل أن تسجل في كتاب، ووجود كثير من الرواة الضعفاء والغلاة والكذابين بين الناقلين، الا اننا لا يمكن أن نشطب بجرة قلم واحدة على كل ما روي عنهما، أو نرفض كل الأحاديث، فان بعضها يدخل في خانة القراءات السبع المعقولة والتي كانت منتشرة في القرن الثاني الهجري، وكذلك في خانة الأحرف السبع المنقولة في الكتب السننية عن أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وزوجات النبي وبعض الصحابة الآخرين. ولا يمكن ان نقبل ببعض الروايات التي تتحدث عن وجود إضافات في مصحف علي أو مصحف فاطمة، وتفسيرها بأنها من التأويل المنزل، كما فعل المفيد والخوئي والعسكري؛ ونرفض - في نفس الوقت - وجود أحرف أخرى أو قراءات أخرى للقرآن. وحسب ظني فان رفض الاعتراف بوجود الأحرف والقراءات المختلفة، يعود أساسا الى بعض الاحاديث المروية عن الباقر والصادق، وتصحيحها من قبل البعض (كالمفيد والخوئي والعسكري)، بالرغم من

417 - وسوف نرى في الفصل الأخير كيف قام المحققون من علماء الشيعة، بعد ولادة الفرقة الاثني عشرية في القرن الرابع الهجري، والتزامهم بمنهج الاجتهاد والتحقيق، بمراجعة تلك الروايات ونقد روايتها ورفضها بصورة عامة، وذهب بعض الشيعة كالمفيد وأبو القاسم الخوئي ومرتضى العسكري الى عدم الاعتراف بوجود أحرف سبعة ولا قراءات سبع ولا قراءة خاصة لأهل البيت أو لأئمة المؤمنين، وتفسير ما يوجد في بعض الروايات حول "مصحف علي"، بأنه كان يتضمن نوعا من التفسير المنزل والتأويل للقرآن، وليس بنص اضافي محذوف أو محرف كما تقول بعض الروايات.

وجود احاديث أخرى منسوبة لهما تعترف بوجود الأحرف السبعة والقراءات السبع.⁴¹⁸ ولا يمكن رفض هذه الأحاديث مجرد المناقشة في السند، أو الموافقة مع الأحاديث السننية، بناء على نظرية التقية والأخذ بما يخالف الروايات السننية، لأن تلك الأحاديث المؤكدة المعترفة بالأحرف والقراءات مدعومة بأحاديث مستفيضة عن الباقر والصادق تقدم قراءة خاصة لأهل البيت. وإذا أردنا التشكيك بهذه الروايات فلا بد ان نشكك بالروايات النافية أيضا لأنها تحتوي على شبهة رفض القراءات الأخرى وحصر الصحة "بقراءة أهل البيت" أو محاولة الاضافة على القرآن ولو من باب ادعاء التأويل والتفسير المنزل، وهو ما لا يوجد عليه دليل مستقل غير رواية الباقر والصادق المتأخرين عن عملية جمع القرآن بمائة عام.

والنتيجة : اما أن نعتزف بعدم صحة كل ما ينسب الى الباقر والصادق من دعاوى حول "مصحف علي" ، وإما أن نعتزف بروايتهما لقراءة الامام علي بأنها على حرف واحد من الأحرف السبعة، وبقراءتهما الخاصة على أنها قراءة من القراءات السبع، لأن الروايات الراضية والقابلة على مستوى واحد من الوثيقة والصحة. وهو ما أميل اليه حسب ما توصلت اليه، بعد التحليل والمقارنة مع الروايات السننية.⁴¹⁹

وقبل ان استعرض "قراءة أهل البيت" بأنواعها المختلفة، أود أن القي بعض الضوء على المصادر الشيعية الأولى التي تحتوي على تلك القراءة أو تصرح بتحريف القرآن من قبل الخلفاء الراشدين، أو بالاحرى تحاول القيام بذلك عبر تقديم صور أخرى لآيات القرآن الكريم.

418 - ذكرناها في الفصل الماضي، عن: الصدوق، الخصال، باب (القرآن نزل على سبعة احرف)، وتفسير العياشي 1-24 وبحار الانوار 92 - 49 ، و مستدرك الوسائل، ج 17 ص 305 ، و وسائل الشيعة 4- 822 حديث 7635

419 - وهنا يتبادر الى الذهن سؤال مهم: لماذا يجب ان نصدق مسبقا الفرضية التي تقول ان القرآن غير محرف؟ وليس فيه زيادة ولا نقيصة؟ لماذا لا يجوز أن نفترض علميا هذه الفرضية، وندرسها بصورة محايدة على ضوء التاريخ؟ خاصة مع علمنا بوجود قراءات أخرى ومصاحف أخرى وقيام السلطة بحرق المصاحف الأخرى؟ الا يدل ذلك على وجود تحريف في عملية الجمع وحذف وتعديل؟ طبعا نحتاج الى اثبات ودليل على ان هذه الآية كانت هكذا، ولا يمكن ان نصدق بسرعة أي شخص يدعي التحريف، ولا سيما اذا كان يحاول تسييس القرآن واطافة اشياء اخرى عليه بدعوى الحذف.

المصادر الشيعية الأولى والعصر الأخبائي

من المعروف ان الشيعة كانوا يشكلون حزب المعارضة السياسية الرئيسية ضد الأمويين، وأنهم افترقوا الى حركات وتيارات عديدة، وأن فيهم المعتدلين والمتطرفين الغلاة، الذين لم يكتفوا بالالتفاف حول أئمة أهل البيت من مختلف البيوت، وانما غالوا فيهم وقالوا انهم أنبياء أو آلهة، واختلقوا أحاديث حول الامامين الباقر والصادق وبقية الأئمة في حياتهم، بالرغم من استنكارهم ومكافحتهم لأقاويل الغلاة الباطلة، ولعنهم اياهم. وكانت المشكلة الكبرى التي عانى منها أئمة أهل البيت تكمن في اختلاط الغلاة بشيعتهم العاديين، او تحول قسم منهم من الاعتدال الى التطرف والغلو وتزوير الأحاديث ونسبتها اليهم. وقد بحث ذلك مفصلا في كتابي "التشيع السياسي والتشيع الديني".⁴²⁰ وبقية الروايات الشيعية المنقولة عن الباقر والصادق وبقية الأئمة تتلاطم في أمواج من السرية والنفي والتأكيد، والجرح والتعديل للرواة الناقلين المندسين في مختلف الفرق الشيعية. وفي حين لم يصدر عن أي امام من الأئمة أي كتاب موثوق يعبر عن أفكارهم أو يفسر القرآن بشكل موثوق، فقد قام أحد المدعين للتشيع في منتصف القرن الثالث الهجري، وهو أحمد بن محمد بن سيار بن عبد الله السيار، بتأليف كتاب تحت عنوان "القراءات، أو التنزيل والتأويل" وقد توفي هذا المؤلف سنة 268، مما يعني أنه عاصر الأئمة محمد الجواد وعلي الهادي (255) والحسن العسكري (260). وكان السيار من كتاب آل طاهر، الحكام العسكريين الذين نصروا المأمون على الأمين، وحلوا في بغداد، بينما كان السيار رجلا من أهل البصرة أو اصبهان أو قم، وربما سكن بغداد للعمل عند آل طاهر.

وقد انعكست رواياته في الكتب اللاحقة، أو أيدت ما ورد فيها، خصوصا كتاب "ناسخ القرآن ومنسوخه" لسعد بن عبد الله الأشعري القمي (توفي أواخر القرن الثالث الهجري) و "تفسير" علي بن ابراهيم القمي، و"الكافي" لمحمد بن يعقوب الكليني (توفي سنة 329) و"تفسير" العياشي، والنعماني والمهايار وفرات بن ابراهيم الكوفي.

ويبدو ان رواياته عن قراءة خاصة لأهل البيت، والتي تتضمن تصريحاً بتحريف القرآن والزيادة فيه والنقيصة منه، لقيت قبولا لدى بعض الأوساط الشيعية في ما يسمى بـ "عصر الغيبة" كما يحدثنا الشيخ المفيد عن بني نوبخت الذين كانوا يحتلون موقعا قياديا سياسيا وفكريا، في بغداد في أواخر القرن الثالث الهجري وما بعده.

وتميزت هذه المرحلة التي تركزت بعد وفاة الامام الحسن العسكري (سنة 260) و"غيبة" الامام الثاني عشر "محمد بن الحسن العسكري"، بالصفة الأخبائية الحشوية التي امتدت الى أواخر القرن الرابع الهجري قبل ان يولد المذهب الاثنا عشري القائم على الاجتهاد والتحقيق. حيث قام الأصوليون من مشايخ هذه الطائفة برفض روايات التحريف أو الزيادة والنقصان من القرآن، وتفسير بعض الروايات بأنها تحكي عن التأويل المنزل.

ولم يصل كتاب "القراءات" للسياري الينا بصورة مسندة،⁴²¹ كما لم تتضمن بعض كتب التفاسير التي انتشرت في تلك الفترة الأسانيد الصحيحة الكاملة، فقد روى العياشي الأحاديث بدون أي سند، وكان فرات الكوفي نفسه مجهولا، وكتابه غير مسند أيضا، وأما كتاب "تفسير القمي" فقد وردنا كذلك بدون اسناد، ويشك بأن شخصا آخر قد خلطه مع كتاب ثان، وكذلك الأمر بالنسبة لكتاب "سليم بن قيس الهلالي" الذي ظهر في القرن الرابع ونسب الى شخص أسطوري موهوم في القرن الأول الهجري. وتعاين المصادر الشيعية الأخرى من الإرسال أو الرواية عن الضعفاء والكذابين والغلاة، كما يصنفهم علماء الرجال الشيعة في القرن الرابع والخامس. وفي ما عدا كتاب "الكافي" للكليني فإنه لا يوثق بأي كتاب آخر من تلك

421 - فما يوجد لدينا هي نسخة محققة من قبل أيتان كولبرغ ومحمد علي أميري معزي، طبع دار بريل للنشر في ليدن وبوسطن، 2009، عن نسخة بتاريخ 1319/6/3 هجرية، منقولة عن نسخة بخط محمد الخوانساري، أو محمد باقر الهمداني، بتاريخ 1311 هـ، عن نسخة بخط محمد صالح بن عبد الرحيم اليزدي، بتاريخ 23 شعبان 1076 هـ، عن نسخة بتاريخ 3 جمادى الآخرة، سنة 453 هـ، عن نسخة بتاريخ ذي القعدة من سنة 328 هـ، وقرأت في بعض المصادر أن نسخة من الكتاب توجد في مكتبة المرعشي بقم برقم 1455 تاريخها 23 شعبان 1026 هـ ولعلها نفس نسخة اليزدي مع الاشتباه بين رقم 2 و 7.

المرحلة الأخبائية الحشوية، وأما الكليني فقد اعتمد في رواياته كثيرا على السيارى، الذي اعتمد بدوره على رجال ضعاف وغلاة وكذابين، ويتهم نفسه بالغلو والانحراف، مما يلقي بالشك على جميع مروياته.

وفي الحقيقة لا يمكن ان ننظر الى كتاب (القراءات) بسرعة على انه كتاب ضعيف بناء على تضعيف علماء الرجال الاثني عشرين، فان تضعيف فرقة مخالفة لشخص ما، لا يعتمد عليه كثيرا وانما يجب النظر الى أسباب التضعيف هل هي بسبب الاختلاف العقدي؟ أم بسبب الكذب وعدم الأمانة؟ أم بسبب الرواية عن المراسيل والضعاف؟، وفي هذه الحالة ايضا يجب أن ننظر الى كل رواية من رواياته هل هي مرسله؟ وعن ضعاف؟ وذلك لأن التشكيك بالراوي السيارى بأنه غال أو فاسد المذهب لا يكفي للتشكيك بروايته، وانما يجب ان ندرس كتابه ونقارن بينه وبين الروايات والكتب الأخرى المعتمدة عند الشيعة، وهل نجد فيه اختلافات كبيرا او مناقضا لما هو معروف؟

يوجد رأيان حول السيارى، الأول وهو الأقدم: يوثقه ويعتمد عليه، والثاني: يضعفه.

يستعرض أغا بزرك الطهراني (1293 - 1389 هـ) الرأي الأول، الذي يعبر عن المرحلة الأخبائية والخط الأخبائي الأخير، فيقول: " كتاب القراءات للشيخ أبي عبد الله السيارى، أحمد بن محمد بن سيار، الكاتب لآل طاهر زمن أبي محمد العسكري عليه السلام ذكره النجاشي والشيخ في الفهرست ويعرف أيضا بـ (التنزيل والتحريف) على ما عبر به حين النقل عنه، الشيخ حسن بن سليمان الحلبي في مختصر البصائر لسعد بن عبد الله، وينقل عنه الأستاذ الأكبر في حاشية المدارك في بحث القراءة، وكان عند شيخنا النوري، وينقل عنه في مستدرک الوسائل اعتمادا على نقل أجلاء الأصحاب عنه، حيث يروي عنه الحميري والصفار وأبو علي الأشعري وموسى بن الحسن الأشعري والحسين بن محمد بن عامر، واعتمد على رواياته ثقة الإسلام الكليني في الكافي وينقل عنه ابن إدريس في مستطرفاته، ومحمد بن العباس بن الماهيار في تفسيره".⁴²² وعده البرقي محمد بن خالد (274 هـ) من أصحاب الامام العسكري. (رجال البرقي)، وله من الكتب : النوادر، وثواب القرآن، والقراءات، والطب، والتنزيل والتحريف، وفضائل القرآن، والغارات .

422 - الطهراني، أغا بزرك محمد محسن (1293 - 1389 هـ)، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ج17، ص: 52 رقم 284.

وأما الرأي الآخر فيعبر عنه معظم علماء الرجال والفقهاء الأصوليون (المجتهدون) من الشيعة الاثني عشرية منذ القرن الرابع الهجري ، فقد قال النجاشي: (450 هـ) عنه بأنه "ضعيف الحديث فاسد المذهب، ذكر ذلك لنا الحسين بن عبيد الله [ابن الغضائري]، مجفو الرواية، كثير المراسيل". رجال النجاشي 1/211 وكرر الشيخ الطوسي (460 هـ) في الفهرست نفس الملاحظات: "ضعيف الحديث، فاسد المذهب، مجفو الرواية، كثير المراسيل" وأضاف ابن الغضائري: الى ذلك بأنه "ضعيف متهالك، غال منحرف، استثنى شيوخ القميين روايته من كتاب (نوادير الحكمة)". رجال ابن الغضائري، ص 40

وحدثنا ابن الغضائري والطوسي والنجاشي عن غلو السيارى وتخليطه، ولكنهم لم يذكروا ماهية ذلك الغلو المتهم به السيارى، وحكى بعضهم بأنه كان يقول بالتناسخ. ونقل الكشي، محمد بن عمر بن عبد العزيز (350 هـ) عن ابراهيم بن محمد بن حاجب ، قال قرأت في رقعة مع الجواد (عليه السلام) يعلم من سأل عن السيارى : " انه ليس في المكان الذي ادعاه لنفسه ولا تدفعوا اليه شيئاً". (معرفة الناقلين، أو: اختيار رجال الكشي)

ولم أجد أحداً يتهم السيارى بالكذب والوضع، غير السيد مرتضى العسكري (1999) الذي يتهمه في أكثر من مكان من كتابه "القرآن الكريم وروايات المدرستين" بأنه " نقل هذه القراءة عن مدرسة الخلفاء وركب عليها سنداً وافترى بما على الامام الصادق". ويبدو أن ذلك تحرص وظن من العسكري، ومحاولة لاسقاط روايات السيارى في كتابه "القراءات".

ولكن قد نجد في اسناد السيارى رجالا معروفين بالكذب والوضع والغلو، وربما جاء ضعفه من هذه الناحية، اضافة الى الارسال، فهو يروي عن الغلاة الكذابين المشهورين بالوضع، والضعفاء من أمثال محمد بن علي (أبو سمينة)، ومحمد بن سنان، وسهل بن زياد عمن أخبره، و منخل بن جميل، وعمرو بن شمر، ومفضل بن صالح، ويوسف بن يعقوب، والحسين بن المخارق، وعلي بن أبي حمزة ، وسليمان الديلمي، وابنه محمد . أو يروي عمن يروي عن مجاهيل وضعفاء ويعتمد المراسيل. ومن هنا ضعفه علماء الرجال منذ القرن الرابع الهجري كالشيخ الصدوق (381) وشيخه محمد بن الحسن بن الوليد (343 هـ).

وبالرغم من هذا الشك والضعف في روايات التحريف المزعومة في كتاب السيارى "قراءة أهل البيت" يجدر بنا تصنيف تلك الروايات الى أنواع والنظر فيها، وفي إمكانية تعبيرها عن قراءة خاصة لأهل البيت ، حسب نظرية الاحرف السبعة، والقراءات السبع، وترك ما عدا ذلك مما يوجد فيها من اساطير تزعم تحريف القرآن.

ملف رقم 14 ب 3 ف 3 قراءة أهل البيت الخاصة للقرآن

الباب الثالث: الشيعة وتحريف القرآن

الفصل الثالث: القراءات المنسوبة الى أهل البيت

قسما القراءة المروية عن أهل البيت للقرآن الكريم، في الفصل الماضي، الى أربعة أصناف، هي تأويل بعض الآيات ، وقراءة بعض الآيات بشكل مختلف ، مشابه للقراءات السننية السبع أو العشر التي اشتهرت في القرن الثاني الهجري داخل إطار المصحف العثماني. وكذلك قراءة بعض الآيات بشكل مختلف، مشابه للأحرف السبعة التي اشتهرت في صدر الاسلام، قبل المصحف العثماني. وإن قسما من تلك الروايات تضمن قراءة بعض الآيات بشكل محرف بعيد جدا عن سياق القرآن. وسوف نتجاوز موضوع التأويل لأنه لا يهمننا كثيرا في بحثنا هذا، لنستعرض:

أ – القراءة المطابقة لروايات أهل السنة، المخالفة لمصحف عثمان

نعني بالقراءة المطابقة تلك الموجودة في مصادر الفريقين السنة والشيعة، من كتب التفسير والحديث، وهي على نوعين:

1- حرف من الحروف السبعة، يختلف أو ينقص أو يزيد عن المصحف العثماني.

2- قراءة من القراءات السبع، وهي تختلف عن قراءة حفص عن عاصم، بالتثقيط، أي الحركات

والحروف، وتشبه القراءات السبع الأخرى أو تختلف عنها أيضا، ولكنها من جنسها.

وسوف نستعرض كلا النوعين معا، حسب التسلسل، ونشير الى مصدر القراءة السنني والشيوعي، ونشير الى المختلف بوضعه بين قوسين، ونبدأ بأول آية من القرآن الكريم، وهي:

1- "بسم الله الرحمن الرحيم". وقد بحثنا هذه الآية سابقا، واستعرضنا الأقوال المختلفة حولها من السنة والشيعية، وقلنا إن أهل السنة يختلفون حول كون البسملة جزء من سورة الفاتحة، ويتفقون على أنها فاصلة بين السور الأخرى، ولكنها ليست منها، ما عدا سورة النمل، حيث وردت في رسالة النبي سليمان إلى ملكة سبأ، بينما يتفق الشيعة على أن (البسملة) أول آية من فاتحة الكتاب، وأنهم يقولون أيضا بأنها أول آية من كل سورة. وهم بذلك يتفقون مع المشهور من أهل السنة، بكون البسملة جزء من سورة الفاتحة.

2- "فما استمتعتم به منهن (إلى أجل مسمى) فاتوهن أجورهن فريضة (من الله)". (النساء 24) وقد رواها السنة عن ابن عباس.⁴²³ ورواها السياري عن أبي جعفر (الباقر) وسعد بن عبد الله القمي في كتاب (ناسخ القرآن و منسوخه)، وكذلك علي بن ابراهيم في تفسيره، والعياشي في تفسيره، والكليني في (الكافي) عن أبي عبد الله، والصدوق في (من لا يحضره الفقيه) باب المتعة من كتاب النكاح، عن ابن عباس.

3- "حافظوا على الصلوات و الصلاة الوسطى (وصلاة العصر - أو - صلاة العصر) وقوموا لله فانتين". (البقرة 238) وقد وردت في المصادر السنية عن أزواج النبي (ص) عائشة وحفصة وأم سلمة، أهنّ سمعن رسول الله يقول: "والصلاة الوسطى صلاة العصر، أو صلاة العصر". و أمرهنّ للكتاب بتسجيل الآية في مصاحفهنّ كما سمعن.⁴²⁴ وقد رواها الكليني عن زرارة عن أبي جعفر، والصدوق في (علل الشرايع) والطوسي في (التهذيب).

4- "إن الله اصطفى آدم و نوحاً و آل إبراهيم و آل عمران (وآل محمد) على العالمين". (آل عمران 33) قال أبو حيان الأندلسي (754 هـ): في تفسير (البحر المحيط): و قرأ عبد الله (ابن مسعود): (وآل محمد على العالمين). وقد رواها السياري عن محمد بن سنان عن أبي خالد القمات عن حمران بن أعين قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقرأ: "ان الله اصطفى آدم ونوحاً و آل ابراهيم وآل عمران وآل محمد على العالمين" ثم قال هكذا والله نزلت. وقال علي بن إبراهيم

⁴²³ - السجستاني، بن أبي داود، كتاب المصاحف، ص 53 و 77 و 81 والإمام أحمد بن حنبل، المسند، ج

⁴²⁴ - السجستاني، ابن أبي داود، كتاب المصاحف، ص 83 و 85 و 87

في تفسيره: قال "العالم": "لما نزل (وآل ابراهيم وآل عمران وآل محمد على العالمين) فاسقطوا آل محمد من الكتاب. وروى فرات بن ابراهيم في تفسيره معنعنا عن حمران قال سمعت أبا جعفر عليه السلام يقرأ هذه الآية: "... و آل محمد على العالمين" قلت ليس نقرأ هكذا، فقال: ادخل حرف مكان حرف. وروى العياشي عن هشام بن سالم قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تعالى "ان الله اصطفى آدم و نوحاً و آل ابراهيم" قال: هو (آل ابراهيم وآل محمد على العالمين) فوضعوا اسماً مكان اسم. وعنه أيضا قال: (وآل محمد) كانت فمحوها وتركوا آل ابراهيم و آل عمران. وقال الطوسي في (التبيان) والطبرسي في (مجمع البيان): وفي قراءة أهل البيت عليهم السلام (و آل محمد على العالمين). وربما كان الاصرار على تثبيت (آل محمد) أو حذفها متأثراً بالجدل الذي دار بين المسلمين حول حق (أهل البيت) بالخلافة، بالرغم من أن معنى (آل محمد) قد يشمل جميع المسلمين وليس (أهل البيت) بالتحديد.

5- "وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ (أُمَّةِ) النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَ حِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ". (آل عمران 81) وقد رواها الطبري عن مجاهد (104 هـ) أنه قال: "هي خطأ من الكتاب، وهي في قراءة ابن مسعود (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب)". وروى السيارى عن حبيب السجستاني قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى "وإذ أخذ الله ميثاق النبيين" كيف يؤمن موسى بعيسى وينصره ولم يدركه؟ وكيف يؤمن عيسى بمحمد (ص) وينصره ولم يدركه؟ فقال: يا حبيب ان القرآن قد طرح منه آي كثيرة ولم يزد فيه إلا حروف أخطأت به الكتبة وتوهمتها الرجال وهذا وهم فاقراها "وإذ أخذ الله ميثاق أمة النبيين ... هكذا أنزله الله يا حبيب، فوالله ما وفّت أمة من الأمم التي كانت قبل موسى بما أخذ الله عليها من الميثاق لكل نبي بعثه الله بعد نبيها ولقد كذبت الأمة التي جاءها موسى لما جاءها موسى ولم يؤمنوا به ولا نصره إلا القليل منهم، ولقد كذبت أمة عيسى بمحمد (ص) ولم يؤمنوا به ولا نصره لما جاءها إلا القليل منهم.

6- " وَ لَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا (مُؤْمِنًا)". (النساء) 94 كما في صحيح البخاري والترمذي وتفاسير ...؟؟؟؟، وفي اعراب القرآن للنحاس: و قرأ أبو جعفر (لست مؤمناً) وفي (البحر المحيط) بعده: "بفتح الميم لانؤمنك في نفسك وهي قراءة علي وابن عباس وعكرمة و ... و ... و ... " وروى السيارى عن يونس عن علي بن أبي حمزة عن أبي بصير عن أبي عبد الله .

7- "يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ..." (المائدة 6) قال الطبري في تفسيره ج 6 / 81 و 82 : اختلفت القراءات في قراءة ذلك، فقرأه جماعة من قراء الحجاز و العراق : و أرجلكم، نصباً... وقرأ ذلك آخرون من قراء الحجاز و العراق، بخفض الأرجل. وقال القرطبي: قرأ نافع وابن عامر والكسائي : " و أرجلكم " بالنصب، وقرأ ابن كثير، و أبو عمرو حمزة " وأرجلكم " بالخفض. وقال القاضي النعماني في (دعائم الاسلام): "قوله تعالى: (وأرجلكم إلى الكعبين) بالكسر، قراءة أهل البيت عليهم السلام".

وروى الكليني عن الهيثم بن عروة التميمي قال سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قوله تعالى (فاغسلوا وجوهكم و أيديكم إلى المرافق) فقلت: هكذا؟ و مسحت من ظهر كفي الى المرافق. فقال ليس هكذا تنزيلها إنما هي (فاغسلوا وجوهكم وأيديكم من المرافق) ثم أمر يده من مرفقه إلى أصابعه.

8- "يا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ (في ولاية علي) فَاْمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا" (النساء 170)

في تفسير السيوطي : عن ابن مسعود قال : كنا نقرأ على عهد رسول الله (ص): (يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ - أَنْ عَلِيًّا مَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ - وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ). (المائدة 67) 425

وقد رواها المفسرون والمحدثون الشيعة كالسياري والكليني والعياشي وعلي بن ابراهيم القمي ، بصيغة قريبة هكذا (في ولاية علي). 426

425 - في الدر المنثور: ج 2، ص 298: أخرج ابن مردويه عن ابن مسعود قال: كنا نقرأ على عهد رسول الله (ص): "يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ (ان عليا مولى المؤمنين) وإن لم تفعل فما بلغت رسالته".

426 - يرفض مرتضى العسكري كل الروايات السنية والشيوعية التي تتضمن حرفا آخر أو قراءة أخرى، ويفسر الزيادات بالبيان والتأويل، ويقول هنا : نتيجة البحث : نزل (في علي) على رسول الله (ص)، مع آية (يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ

9 - " قَدْ نَعَلِمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ (يَكْذِبُونَكَ) وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَايَتِ اللَّهُ يَجْحَدُونَ ". الأنعام 33

في تفسير الداني والزخشي والقرطبي: وُقِرَء (يكذبونك) ، محفّفاً و مشدّداً ؛ قيل : هما بمعنى واحد ، كحزنته وأحزنته . واختار أبو عبيدة قراءة التخفيف وهي قراءة علي - رضي الله عنه. وفي تفسير السيوطي ، قال : محفّفة عن الإمام علي ، وابن عباس وآخرين من التابعين .

وروى السيارى والكليني والعياشي وآخرون: قرأ رجل عند أمير المؤمنين عليه السلام (فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بايات الله يجحدون) فقال بلى والله لقد كذبه أشد التكذيب ولكنها محففة لا يكذبونك لا يأتون بباطل يكذبون به حقا.

10 - " يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ". (الأنفال 1) وفي بعض الروايات : (يسألونك الأنفال) بحذف حرف الجر (عن).

قال الطبرسي: قرأ ابن مسعود وسعد بن أبي وقاص وعلي بن الحسين و أبو جعفر محمد بن علي الباقر، وزيد بن علي و جعفر بن محمد الصادق، وطلحة بن مصرف (يسألونك الأنفال) وقال في موضع آخر: قد صح ان قراءة أهل البيت (ع) (يسألونك الأنفال).

وروى السيارى عن النضر عن الحلبي عن شعيب عن الشمالي عن أبي جعفر ، قال سألته عن قول الله عز وجل يسألونك عن الأنفال فقال: (قل يسألونك الأنفال). كما روى سعد بن عبدالله القمي في كتاب (ناسخ القرآن) عن مشائخه ان الصادق (ع) قرأ (يسألونك الأنفال).

إِلَيْكَ ...)، بوحى غير قرآني، بياناً و تفسيراً ل (ما أُنزِلَ)، و بلّغ الرسول الآية، و بيانها لمن حضر، ورواها الصحابة كذلك، غير أنّ المسلمين بعد عصر الصحابة ظنّوا أنّ - في علي - قراءة أخرى للآية. وقالوا : في قراءة أبيّ، وابن مسعود، و...، و الصواب أن يقولوا في رواية... و...، و لما دَوّنوا القرآن بلا تفسير في عهد الخليفة الأوّل، وتمّ نشره على عهد الخليفة الثالث، حذفوا هذا التفسير مع ما حذفوا من تفاسير وبيان للآيات، وهذا هو المراد مما ورد في رواية : "فمحو اسم علي". القرآن الكريم وروايات المدرستين.

11- " وَ اتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ (لتصيبن) الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ". (الأنفال 25)

قال السياري والطبرسي: قرأ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وزيد بن ثابت وأبو جعفر الباقر (ع) والربيع ابن أنس وأبو العالية (لتصيبن).

12 - "التَّائِبُونَ الْعَبْدُونَ الْحَمْدُونَ السَّخُونَ الرَّكَعُونَ السَّجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَفِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ". (براءة 112)

في (اعراب القرآن) للنحاس و تفسير القرطبي : في قراءة عبدالله بن مسعود (التائبين العابدون). وفي تفسير الزمخشري : قراءة عبد الله وأبي: (التائبين).

وكذلك روى السياري والعياشي والكليني عن أبي بصير عن أبي جعفر، قال تلوت (التائبون العابدون) فقال: لا ، اقرأ (التائبين العابدون) إلى آخرها فسأل عن العلة في ذلك فقال : اشترى من المؤمنين التائبين العابدون.

13 - " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ". (براءة 119)

في تفسير الطبري قراءة ابن مسعود (من الصادقين) وقال: (ان رسوم المصاحف كلها مجمعة على (وكونوا مع الصادقين) وهي القراءة التي لا أستجيز لأحد القراءة بخلافها) .

وقال الطبرسي: في مصحف عبدالله بن مسعود وقراءة ابن عباس (من الصادقين) وروى ذلك عن أبي عبدالله عليه السلام.

14 - " وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ (ولا محدث) إِلَّا إِذَا تَمَّتْ أَلْفَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ ءَايَتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ". (الحج 52)

وقد أخرج هذه الرواية البخاري ومسلم والترمذي والطيالسي وأحمد عن أبي هريرة، وجاء في تفسير القرطبي والسيوطي: كان ابن عباس يقرأ : (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث ...).

ورواها السياري في (القراءات) ، ومحمد بن الحسن الصفار في (البصائر) ، وسعد بن عبد الله القمي في (ناسخ القرآن ومنسوخه) والكليني في (الكافي) والمفيد في (الاختصاص) ومحمد بن العباس الماهيار في (تفسيره) وعلي بن ابراهيم القمي في (تفسيره) والكشي في (رجاله)

ونكتفي برواية الكليني، وهي: عن عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد (السياري) عن أحمد بن أبي نصر عن ثعلبة بن ميمون عن زرارة قال سألت أبا جعفر (ع) عن قول الله عز وجل وكان رسولاً نبياً وما الرسول وما النبي قال النبي الذي يرى في منامه إلى أن قال (ع) ثم تلا (ع) وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث .

- "وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ". الشعراء 214 بإضافة: (ورهطك منهم المخلصين) أو (رهطك المخلصين)

وقد أوردها البخاري ومسلم في صحيحه، باب : قوله تعالى و انذر عشيرتک الأقربين، وكذلك أوردها الطبري والقرطبي والسيوطي عن ابن عباس. 427

وأوردها السياري والقمي و فرات والعياشي والماهيار والطبرسي في تفاسيرهم، والصدوق في (العيون) و(الأمالي) عن علي بن موسى الرضا، قائلاً بأنها هكذا في قراءة أبي بن كعب، ومصحف عبد الله بن مسعود.

وهي أقرب الى أن تكون حرفاً من الحروف السبعة منها الى القراءات السبع.

- "وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا (لا مستقر لها) ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ". (يس 38)

في تفسير القرطبي وابن كثير وقرأ ابن مسعود وابن عباس (لا مستقر لها) وفي تفسير الكشاف عن ابن عباس وحده.

427 - البخاري، 3 / 148 في تفسير سورة "تبت يدا" من كتاب التفسير ، ومسلم 1 / 194 ، كتاب الايمان، باب قوله تعالى: وانذر عشيرتک الأقربين ، حديث 355 ، وتفسير الآية بتفسير الطبري 19 / 74 ، والدر المنثور 5 / 96 و

وروى السيارى بسنده عن جابر عن أبي جعفر (الباقى) قال: قرأ أمير المؤمنين (ع) يس فقراً والشمس تجري لا مستقر لها.

- " سَلَّمَ عَلَىٰ إِيَّاسِينَ (آل ياسين) ". (الصفات 130)

في تفسير الطبري : اختلفت القراءة في قراءة قوله "سلام على آل ياسين" ... وقرأ ذلك عامة قراء المدينة (سلام على آل ياسين) بقطع آل من ياسين فكان بعضهم يتأول ذلك بمعنى سلام على آل محمد.

وفي تفسير الكشاف : وأما من قرأ (على آل ياسين) فعلى ان ياسين اسم أبي الياس اضيف اليه.

وفي تفسير القرطبي : (سلام على آل ياسين) قراءة الأعرج وشيبة ونافع و ...

وفي تفسير ابن كثير : (سلام على إلياسين) كما يقال في اسماعيل واسماعيلين، و... و آخرون (سلام على آل ياسين) يعني آل محمد (ص).

وفي تفسير السيوطي : عن ابن عباس (رض) في قوله (سلام على آل ياسين)، قال: نحن آل محمد آل ياسين.

وقد رددت المصادر الشيعية كتفاسير علي بن ابراهيم و فرات و محمد بن العباس والصدوق والطبرسي نفس المعنى، عن ابن عباس وعلي.

- "وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ (وجاءت سكرة الحق بالموت) ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ". (ق 19)

رواها الطبري والزمخشري والقرطبي والسيوطي عن عائشة.

ورواها سعد بن عبد الله القمي في (ناسخ القرآن ومنسوخه) والطوسي في (التبيان) .

- "يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا (فامضوا) إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ". (الجمعة 9)

ذكرها الطبري والزمخشري والقرطبي والسيوطي، عن عمر بن الخطاب.

ومن المفسرين والمحدثين الشيعة، ذكرها السياري باسناده عن أبي عبد الله : الحرف في الجمعة: (فامضوا إلى ذكر الله). والمفيد في (الاختصاص) عن أبي جعفر، قال : هكذا نزلت. وقال الطبرسي: قرأ عبد الله بن مسعود.. وروي عن علي بن أبي طالب وعمر بن الخطاب وأبي بن كعب وابن عباس.

- "وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ (بظنين)". (التكوير 24)

في (معاني القرآن) لأبي زكريا الفراء عن زر بن حبيش قال: أنتم تقرأون (بضنين) بيخيل، ونحن نقرأ (بظنين) بمتهم. وقرأ عاصم وأهل الحجاز وزيد بن ثابت (بضنين) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو والكسائي ورويس. وفي (القراءات) للسياري عن أبي جعفر وأبي عبد الله (بظنين). وقال الطبرسي: قرأ أهل البصرة غير سهل والكسائي وابن كثير (بظنين) بالطاء .

- "أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْأَبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ، وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ، وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ، وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ " . (الغاشية 17 - 20)

في تفسير القرطبي : قال أنس صليت خلف علي (رض) فقراً: (كَيْفَ خُلِقْتُ) و (رُفِعْتُ) و (نُصِبْتُ) و (سُطِحْتُ) بضم التاءات; أضاف الضمير إلى الله تعالى.

وفي تفسير الطبرسي : روى عن علي عليه السلام (أفلا ينظرون إلى الأبل) إلى آخره بفتح أوائل هذه الحروف كلها وضم التاء ، عن ابن عباس وقتادة وزيد بن أسلم وزيد بن علي .

- "وَطُورِ سَيْنِينَ (سيناء) ... فَمَا (فَمَنْ) يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ " . (التين 2 و 7)

روى القرطبي والسيوطي عن عمر بن الخطاب أنه قرأها (والتين والزيتون وطور سيناء... فمن يكذبك بعد في الدين).

وروى السياري عن ابن فضال قال سألت أبا الحسن عليه السلام عن سورة التين و طور سينين فقال (وطور سيناء) هكذا نزلت، وقوله تعالى: (فمن يكذبك بعد بالدين) هكذا نزلت . وأضاف محمد بن العباس الماهيار الى الرواية عن محمد بن فضيل، قال قلت لأبي الحسن الرضا...: قلت (فما يكذبك بعد بالدين)؟

قال مهلا مهلا لا تقل هكذا هو الكفر بالله لا والله ما كذب رسول الله (ص) طرفة عين. قال فقلت: فكيف هي؟ قال (فمن يكذبك بعد بالدين).

وقال الطبرسي: قال عمرو بن ميمون: سمعت عمر بن الخطاب يقرأ بمكة في المغرب (والتين والزيتون وطور سيناء) فقال فظننت انه إنما قرأها ليعلم حرمة البلد، وروى ذلك عن موسى بن جعفر (ع) أيضا.

ب - قراءة أهل البيت المنفردة

يشكل هذا القسم (ب) من القراءة المنسوبة الى، والمروية عن أئمة أهل البيت، امتدادا للقسم (أ) الذي كان يحتوي على قراءة بالحرف المختلف والحركات المختلفة، والمشابهة لما هو موجود في تفاسير وكتب الحديث عند أهل السنة، بل يكاد ذلك القسم أن يكون مرويا عن أهل السنة عن طريق بعض المفسرين الشيعة، وعلى رأسهم السيارى الذي أخذ عنه المفسرون والمحدثون اللاحقون. وأما هذا القسم (ب) فهو مما ينفرد به المحدثون الشيعة، ويتضمن بصمات الفكر الشيعي الامامي، أو محاولات قراءة القرآن، حرفا وحركة، بشكل مختلف يخدم نظرية الامامة الالهية، التي كان الامام محمد الباقر يحاول تأسيسها في بداية القرن الهجري الأول. وربما اعتبرها البعض من الشيعة (كالنوري الطبرسي) والسنة (كإحسان إلهي ظهير) دليلا على تحريف القرآن من قبل الشيعة، في الوقت الذي يمكن اعتبارها نوعا من الأحرف السبعة أو القراءات السبع، وان كانت غير مسندة أو موثوقة بما فيه الكفاية، أو بالغة حد التواتر، ولذلك لا تتمتع بصفة القطع واليقين وانما الظن والتخمين، ولذلك لا يعتمد عليها، وربما يحرم بعض الشيعة القراءة بها أو بكل قراءة أخرى تخالف المصحف العثماني بقراءة حفص عن عاصم، ولكنها تشكل، على أية حال، مادة علمية للدراسة التاريخية تحكي عن وجود قراءة خاصة للقرآن لأهل البيت، أو محاولة من قبل بعض الأئمة أو بعض أنصارهم لاستخدام القرآن كأداة ثقافية لدعم نظريتهم السياسية الدينية.

وبغض النظر عن صحة اسناد هذه القراءة الى أهل البيت (الباقر والصادق) فان انتشارها في القرن الثاني الهجري، وتسجيلها في كتاب (القراءات) للسيارى في القرن الثالث الهجري، وتصديقها من قبل فئات من المسلمين، يكشف عن مرحلة رخوة كثرت فيها القراءات حتى جاوزت السبع أو السبعين، ولا سيما في شكل الحركات والنقاط التي تغير الكلمات والمعاني، قبل أن تستقر القراءة على سبع أو أقل أو أكثر في القرن الرابع الهجري.

وإذا كان المصحف العثماني قد فرض بالقوة، ولا سيما في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي، كما فرضت بعض القراءات السبع، في وقت متأخر، من خلال بعض الدول والحكام، بحيث اندثرت الأحرف السبعة الأخرى (كحرف أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس) والقراءات السبع الأخرى، وأصبحت روايات آحاد ظنية غير متواترة، نتيجة لانقطاع السند في الأجيال اللاحقة، فهل يحق لنا ان نتصور أو نتساءل عن إمكانية تمتع قراءة أهل البيت بالتواتر والهيمنة، اذا كان أهل البيت أنفسهم قد تمتعوا - فرضا - بالقوة والسيطرة؟

ولعل الجواب عن ذلك هو النفي، لأن الامام علي بن أبي طالب أتاحت له فرصة الحكم بعد عثمان، ومع ذلك فانه لم يغير حرفا في مصحف عثمان، بل أعلن تأييده له، كما مر معنا في الأبواب والفصول السابقة. وهو ما يضعف صحة نسبة القراءة الخاصة لأهل البيت.

وعلى أي حال، سنأخذ بعض النماذج من القراءة المنسوبة لأهل البيت، من كتاب السيارى وبعض الكتب الشيعية الأخرى:

- قول الله تعالى في الآية 102 من سورة آل عمران : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَ لَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ". فقد روى السيارى والعايشي والطوسي عدة روايات عن جعفر بن محمد الصادق وابنه موسى الكاظم بأنهم كانوا يقرأون : (مَسْلِمُونَ) بالتشديد، لرسول الله ثم الإمام من بعده. وأن الحسين بن خالد قرأ هذه الآية، فقال له الكاظم: سبحان الله يوقع الله عليهم اسم الايمان فيسميهم مؤمنين ثم يسألهم الاسلام و الايمان فوق الاسلام؟ فقال الحسين: هكذا يقرأ في قراءة زيد، فقال: انما هي في قراءة علي عليه السلام وهي التنزيل الذي نزل به جبرائيل على محمد (ص): إلا و أنتم مسلمون لرسول الله ثم الامام من بعده.

- قوله تعالى في الآية 104 من سورة آل عمران : " وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ". وقد رويت (أئمة) بدل (أمة). كما في تفسير الطبرسي.

- قوله تعالى في الآية 123 من سورة آل عمران : " وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ". وقد رواها علي بن ابراهيم عن أبي عبد الله: (وأنتم ضعفاء، وأنتم قليل) بدل (وأنتم أذلة).

- قوله تعالى في الآية (95) من سورة المائدة : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدَلٍ مِنْكُمْ هَدِيًّا بِالْعِزَّةِ ". فقد روى السياري عن أبي عبد الله أنه قرأ (ذو عدل) بدل " ذَوَا عَدَلٍ ". يعني به الإمام. وروى العياشي والكليني عن زرارة قال سألت أبا جعفر (ع) عن قول الله "يحكم به ذوا عدل منكم" قال العدل رسول الله (ص) والامام من بعده ثم قال: وهذا مما أخطأت به الكتاب.
- قوله تعالى في الآية 41 من سورة الحجر : " قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ". وقد روى السياري والكليني والعياشي و فرات عن أبي عبد الله قال : (هذا صراطٌ عليّ مستقيم).
- قوله تعالى في الآية 74 من سورة الفرقان : " واجعلنا للمتقين اماما ". وقد روى سعد بن عبد الله القمي وعلي بن ابراهيم عن أبي عبد الله أنه قال لأبي بصير عندما قرأ هذه الآية: لقد سألت ربك عظيما إنما هي (واجعل لنا من المتقين اماما). وقال الطبرسي في (مجمع البيان) انها في قراءة أهل البيت عليهم السلام (واجعل لنا من المتقين اماما). ولكنه أعرض عن الرواية وفسر الآية كما هي في مصحف عثمان، بقوله " واجعلنا للمتقين اماماً " أي اجعلنا ممن يقتدي بنا المتقون، طلبوا العز بالتقوى لا بالدنيا وقيل معناه اجعلنا نأتم بمن قبلنا حتى يأتهم: أي يقتدي بنا من بعدنا .
- قوله تعالى في الآية 17 من سورة هود: " أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ". فقد روى السياري وسعد بن عبد الله القمي وعلي بن ابراهيم والنعماني روايات عديدة عن أبي جعفر الباقر، زعمت وجود تحريف وتقديم وتأخير في هذه الآية، وقرأتها هكذا: (أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد من ربه إماما ورحمة، ومن قبله كتاب موسى...) وروى القمي عن أبي عبد الله قوله: " لا والله ما هكذا أنزلها إنما هو (أفمن كان على بينة من ربه و يتلوه شاهد منه اماماً ورحمة ومن قبله كتاب موسى)".

ج- القراءة المحرفة المنسوبة لأهل البيت

لا يمكن وضع كل الروايات التي تنسب وجود قراءة خاصة لأهل البيت، في خانة الأحرف السبعة أو القراءات السبع، فان قسما منها تفوح منه رائحة الوضع والاختلاق، وهو يهدف الى تسييس القرآن والادعاء بوجود نصوص عديدة تصرح بنظرية الامامة أو حق أهل البيت في الحكم. وكان وضع هذه الروايات مفهوما بعد تعظيم الغلاة من الشيعة الامامية لنظرية الامامة وجعلها مرادفة للنبوّة أو ركنا من أركان

الدين.⁴²⁸ وقد كان ذلك الادعاء يستدعي سؤالاً بديهيًا: لماذا إذن لم يشر القرآن الى أهل البيت أو الى نظرية الامامة، إذا كانت حقا مهمة وركنا من اركان الدين؟ وللإجابة على هذا السؤال قام هؤلاء الغلاة بالتشكيك بعملية جمع القرآن في عهد أبي بكر وعمر وعثمان، وزعموا قيام هؤلاء "الذين اغتصبوا السلطة" بحذف كل ما كان يوجد في القرآن من آيات أو كلمات تتحدث عن أهل البيت وحقهم في الخلافة، وادعوا تعرض القرآن الى عملية تلاعب وزيادة ونقصان، ونسبوا تلك الروايات بالدرجة الأولى الى الامام محمد بن علي الباقر (114) ⁴²⁹ ولا نعرف بالضبط مدى صحة تلك الروايات، ولكن لا يمكن استبعاد احتمال صدورها عن الباقر مؤسس النظرية الامامية، بالرغم من الشك في سندها واتهام الكثير من رواها بالغلو والضعف والكذب من قبل المحققين الشيعة في القرون التالية، ولا سيما الشيعة الاثنا عشرية الذين نشأوا في القرن الرابع الهجري، كما مر معنا في الفصل الأسبق.

وعلى أي حال ، فقد كان ذلك الاتهام مدخلا لتقديم رواية أخرى بديلة عن مصحف عثمان، وهي التي أطلق عليها "قراءة أهل البيت". وقد رأينا في الفصلين السابقين أن قسما منها كان مشتركا بين روايات السنة والشيعة، والقسم الثاني كان محتملا أن يكون نوعا من الأحرف السبعة أو القراءات السبع، ولكن القسم الثالث الذي نحن الآن بصدده كان أقرب الى عملية التحريف والاختلاق منه الى الأحرف والقراءات، وإن كان غلاة الشيعة الامامية يعتقدون أن هذا أمر طبيعي، وقد قام الخلفاء الذين اغتصبوا الخلافة بحذفه من القرآن، وهو كما يلي:

428 - كما روي عن الباقر أنه قال: "بني الإسلام على خمس: على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية ولم ينادَ بشيء كما نودي بالولاية.. فأخذ الناس بأربع وتركوا هذه، يعني الولاية". وما روي عن الصادق أن: "أثافي الإسلام ثلاثة: الصلاة والزكاة والولاية، لا تصح واحدة منهن إلا بصاحبتيها". الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب دعائم الإسلام، ح رقم 1 و 3 و 4

429 - فقد روى السيارى عن علي بن النعمان عن أبيه عن عبدالله بن مسكان عن أبي جعفر عليه السلام انه قال: "لولا انه زيد في القرآن ونقص ما خفي حقنا على ذى حجي، ولو قد قام قائمنا فنطق صدقه القرآن". كما روى عن سيف وهو ابن عميرة عن غير واحد عن أبي عبدالله عليه السلام انه قال: "لو ترك القرآن كما أنزل لألفينا فيه مسمين كما سمي من كان قبلنا".

- اضافة اسم الامام علي الى عدد من الآيات، كقوله تعالى: " و إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا (في علي) فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ". (البقرة 23) "بسمنا اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله (في علي) بغيا".⁴³⁰ ، وآية: " لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ (في علي) أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَ الْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا". (النساء 166)، وآية: " إِنْ أَتَّبَعُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ (في علي) وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ". (الأحقاف 9) وآية: " وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ (في علي) وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ". (محمد 2) وآية: "ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ (في علي) فَأَخْبَطَ أَعْمَلَهُمْ ". (محمد 9) وآية: "ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نُزِّلَ اللَّهُ (في علي) سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ". (محمد 26)

- إضافة كلمة (عليا) الى آية: " فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ (عليا) وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ". (الانشراح 7)

- حذف نقطة؛ وتبديل (علينا) ب (عليا) في آية: " إِنْ عَلَيْنَا (عليا) لَلْهُدَىٰ ". (الليل 12)

- اضافة (آل محمد) الى آيات كثيرة منها: " أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ ءَاتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ (وآل عمران وآل محمد) الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ ءَاتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا". (النساء

(54)

- اضافة (آل محمد حقهم) الى قوله تعالى: " فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا (آل محمد حقهم) قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي

قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا (آل محمد حقهم) رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ".

(البقرة 59) و" وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا (آل محمد) أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ". (الشعراء 227) وآية:

يَوْمَئِذٍ يَوْمِذٍ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ عَصَوْا الرَّسُولَ (وظلموا آل محمد حقهم) لَوْ تَسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضَ ".

(النساء 42) وآية: " وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا (آل محمد حقهم) عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ

لَا يَعْلَمُونَ ". (الطور 47)، وآية: "وان للذين ظلموا (آل محمد حقهم) عذاباً دون ذلك". (الطور

47) وآية: "... وَتَرَى الظَّالِمِينَ (لآل محمد حقهم) لَمَّا رَأُوا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن

سَبِيلٍ ". (الشورى 44)

- إضافة كلمة (إلى محمد وأهل بيته) الى آية: " يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (إلى محمد وأهل بيته)

ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ". (الفجر 27)

- تبديل كلمة (أمة) ب (أئمة) كما في قوله تعالى: " وَ كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً (أئمة) وَسَطًا لِتَكُونُوا

شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَ يَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ". (البقرة 142) وقد علق النعماني في

تفسيره بقوله "معنى وسطاً بين الرسول و بين الناس، فحرفوها و جعلوها امة". وذكرها سعد بن عبد الله القمي في كتابه (ناسخ القرآن ومنسوخه) في باب الآيات المحرفة.

- وكذلك تبديل (أمة) ب (أئمة) في آية 110 من سورة آل عمران: "كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ". وروى علي بن ابراهيم والنعماني عن أبي عبد الله أنه قال: خير امة يقتلون أمير المؤمنين والحسن و الحسين بن علي عليهم السلام فقال القاري: جعلت فداك كيف نزلت؟ قال (كنتم خير أئمة أخرجت للناس) ألا ترى مدح الله لهم تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر و تؤمنون بالله؟.

- اضافة (وإلى أولي الأمر منكم) الى هذه الآية: "يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَ الرَّسُولِ (وإلى أولي الأمر منكم من آل محمد) (إن كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلاً)". (النساء 59) فقد روى السيارى عن بريد بن معاوية قال كنت عند أبي جعفر ، فسألته عن قول الله تعالى: (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم) قال فكان جوابه ان قال: ... ايانا عنى خاصة (فإن خفتم تنازعا في الأمر فارجعوه إلى الله و إلى الرسول و أولي الأمر منكم) هكذا نزلت ، و كيف يأمرهم بطاعة أولي الأمر و يرخص لهم في منازعتهم انما قيل ذلك للمأمورين الذين قيل لهم أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم.

- إضافة كلمة (في أمر الولاية) الى آية " فَلَا وَ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ (في أمر الولاية) وَ يُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا". (النساء 65). أو (موالاة علي) كما في هذه الآية: " أ فكلما جاءكم بما لا تھوى أنفسكم (بموالاة علي) فاستكبرتم، ففريقا (من آل محمد) كذبتهم وفريقا تقتلون".؟؟؟

- اضافة كلمة (في ولاية علي) الى هذه الآية: " وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ (بولاية علي) لَكَذِبُونَ". (المنافقون 1) ، وآية: "وَ إِنَّهُ (ان ولاية علي) لَتَذِكْرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ". (الحاقة 48) وآية: " سَأَلْ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِلْكَافِرِينَ (بولاية علي) لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ". (المعارج 2) وروى السيارى عن أبي عبد الله انه تلا (سأل سائل بعذاب واقع للكافرين بولاية علي) ثم قال هكذا هي في مصحف فاطمة عليها السلام.

- إضافة (في ولاية علي والأئمة من بعده) بعد (رسوله) في آية " وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا". (الأحزاب 71)

- إضافة كلمة (عن ولاية علي) الى هذه الآية: "بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ (عن ولاية علي) فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ". (فصلت 4)
- إضافة كلمة الى هذه الآية: "وَمَا ءَاتَكُمْ الرَّسُولَ فَاخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ (في ظلم آل محمد) إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ". (الحشر 7)
- تبديل (ترابا) ب (ترايبا) في آية: "وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا (ترايبا)". (النبأ 40) وقد عد سعد بن عبدالله القمي في كتاب (ناسخ القرآن ومنسوخه) هذه الآية في عداد الآيات المحرفة، وقال: انما هو (يا ليتني كنت ترايبا) وذلك ان رسول الله (ص) كنى أمير المؤمنين (ع) بأبي تراب .
- تبديل (الموءودة) ب (المؤدة) في آية: "وإذا الموءودة سئلت". (التكوير 8) وروى علي بن إبراهيم عن أبي جعفر: قال : من قتل في مودتنا. 431

وهناك أمثلة كثيرة أخرى يزخر بها كتاب (القراءات) للسياري والكتب الحديثية والتفسيرية الأخرى التي انتشرت في القرنين الثالث والرابع ك (ناسخ القرآن ومنسوخه) لسعد بن عبد الله القمي، و(تفسير) علي بن ابراهيم القمي، و(تفسير) النعماني، والعياشي و(الكافي) للكليني، وغيرها من الكتب، قبل أن يقوم الشيعة الاثنا عشرية بتنقيح تلك الكتب والاعراض عن تلك الروايات التي تتحدث بصراحة عن تحريف القرآن، وحتى القراءة التي تدخل في باب (الاحرف السبعة) و(القراءات السبع). أو تأويل تلك الروايات بالتفسير المنزل، كما مر معنا سابقا.

ملف رقم 15 ب 3 ف 4 موقف الشيعة

الباب الثالث

الشيعة بين الأحرف السبعة ودعاوى التحريف

431 - الكليني ، الكافي، كتاب الحجّة، باب فيه نكت و نطف من التنزيل في الولاية، ح رقم 25 و 31 و 47 و 58 و 59 و 65 و الكافي، الأصول ، كتاب الحجّة : ج 1 ص 479 و الكافي، ج 1 ص 292 باب (الاشارة والنص على أمير المؤمنين عليه السلام)

الفصل الرابع:

موقف الشيعة الاثني عشرية من روايات التحريف عبر التاريخ

لم يكن موقف عموم الشيعة مما يسمى بقراءة أهل البيت، وخاصة التي تتضمن القول الصريح بتحريف القرآن، موقفاً واحداً، لا قديماً ولا حديثاً، وذلك لأن الشيعة كانوا منذ نشأتهم يضمون فرقا عديدة وتيارات مختلفة معتدلة ومغالية، وأخبارية وأصولية، وحشوية ومحققين، وبالتالي فقد اختلفت نظراتهم تبعا لطريقة تناول كل طرف أو كل شخص لتلك الروايات الواردة في كتب التفسير والحديث.

وقد ذكر الشيخ المفيد (شيخ الطائفة الاثني عشرية): أن بعض الشيعة الامامية في القرنين الثالث والرابع كان يؤمن بتحريف القرآن، كما ينسب ذلك الى بني نوبخت، وهم مجموعة من المتكلمين والفلاسفة الشيعة،⁴³² الا أن مؤسسي الفرقة "الاثني عشرية" التي ولدت في القرن الرابع الهجري وتطورت عن "الإمامية"، قامت بمراجعة تلك الروايات التي تتحدث بصراحة عن تحريف القرآن، ورفضتها، وشككت بروايتها وعلى رأسهم السيارى، فاعتبرتهم مغالين ومنحرفين، وقد أعرب الشيخ محمد بن علي بن بابويه الصدوق (381 هـ) بقوة عن رأيه هذا في رسالته الاعتقادية قائلا: "اعتقادنا في القرآن: أن القرآن الذي أنزل الله على نبيه هو ما بين الدفتين، وهو ما في أيدي الناس، ليس بأكثر من ذلك، ومبلغ سوره عند الناس مائة وأربع عشرة سورة، وعندنا (الضحى) و(ألم نشرح) سورة واحدة، و(إيلاف) و(ألم تر كيف) سورة واحدة، ومن نسب إلينا أنا نقول: إنه أكثر من ذلك فهو كاذب".؟؟؟؟ كما عبر الشريف المرتضى علم

432 - المفيد، أوائل المقالات، القول في تأليف القرآن وما ذكر قوم من الزيادة فيه والنقصان، ص 80 - 82 وعائلة بني نوبخت فارسية الأصل سكنت بغداد، قال عنهم ابن النديم: آل نوبخت معروفون بولاية علي وولده. وقال الأفندي في رياض العلماء: بنو نوبخت طائفة من متكلمي الامامية. منهم الحسن بن موسى النوبختي، صاحب كتاب (فرق الشيعة)، وموسى بن الحسن أبو سهل الفيلسوف، واسماعيل بن علي بن اسحاق، صاحب كتاب (الاستيفاء في الامامة، والتنبيه في الامامة)، والمتكلم اسحاق بن أبي سهل، والسفير الثالث للمهدي الغائب: الحسين بن روح النوبختي.

الهدى علي بن الحسين (436 هـ) عن موقف مشابه عندما قال: "إن العلم بصحّة القرآن كالعلم بالبلدان والحوادث الكبار، والوقائع العظام المشهورة، وأشعار العرب المسطورة، فإن العناية اشتدّت، والدواعي توفّرت على نقله، وبلغت حدًّا لم تبلغ إليه فيما ذكرناه؛ لأن القرآن معجزة النبوة، ومأخذ العلوم الشرعية والأحكام الدينية، وعلماء المسلمين قد بلغوا في حفظه وعنايته الغاية، حتى عرفوا كلّ شيء فيه، من إعرابه وقراءته وحروفه وآياته، فكيف يجوز أن يكون مغيّراً أو منقوصاً مع العناية الصادقة والضبط الشديد؟". 433؟؟؟؟

وهكذا قال شيخ الطائفة الاثني عشرية الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (461 هـ): "وأما الكلام في زيادته ونقصانه، فمما لا يليق به أيضاً ، لأنّ الزيادة فيه مجمع على بطلانها، والنقصان منه ، فالظاهر أيضاً من مذهب المسلمين خلافه ، وهو الأليق بالصحيح من مذهبنا". 433؟؟؟؟

وتبعهم أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (460 - 548) صاحب تفسير (مجمع البيان) الذي نفى الزيادة والنقصان في القرآن. وأكد على " أن القرآن كان على عهد رسول الله (ص) مجموعاً مؤلّفاً على ما هو الآن" ، وانتقد الأخباريين والحشويين الذين ذهبوا الى نقص القرآن، وقال إنه لا يعتدُّ بخلافهم، لأنهم نقلوا أخباراً ضعيفة ظنّوا صحّتها، لا يُرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع على صحّته. ورفض الطبرسي الروايات السنية والشيعية التي تتحدث عن نقصان آي القرآن، لأن "طريقها الآحاد التي لا توجب علماً فالأولى الإعراض عنها وترك التشاغل بها لأنه يمكن تأويلها، ولو صحت لما كان ذلك طعناً على ما هو موجود بين الدفتين فإن ذلك معلوم صحته لا يعترضه أحد من الأمة ورواياتنا متناصرة بالحث على قراءته والتمسك بما فيه ورد ما يرد من اختلاف الأخبار في الفروع إليه وعرضها عليه فما وافقه عمل عليه وما يخالفه يجتنب ولا يلتفت إليه". 433؟؟

ولم يشذ عن التطور الجديد الذي رافق نشوء "الاثني عشرية" سوى الشيخ المفيد (413) الذي خالف استاذهُ الصدوق وتلميذيه المرتضى والطوسي، وقال: " قد جمع أمير المؤمنين عليه السلام القرآن المنزل من أوله إلى آخره، وألفه بحسب ما وجب من تأليفه، فقدم المكّي على المدني ، والمنسوخ على الناسخ ، ووضع كل

شئ منه في محله".⁴³⁴ وزعم أن "القائم" (الامام الثاني عشر الغائب محمد بن الحسن العسكري) سوف يقرأ للناس القرآن على ما أنزله الله تعالى وجمعه أمير المؤمنين.⁴³⁵ وأضاف: "لا شك أن الذي بين الدفتين من القرآن جميعه كلام الله تعالى وتنزيله، وليس فيه شئ من كلام البشر، وهو جمهور المنزل. والباقي مما أنزله الله تعالى عند المستحفظ للشريعة، المستودع للأحكام، لم يضع منه شئ. وإن كان الذي جمع ما بين الدفتين الآن لم يجعله في جملة ما جمع لأسباب دعته إلى ذلك، منها: قصوره عن معرفة بعضه، ومنها: شكه فيه وعدم تيقنه، ومنها: ما تعمد إخراجه منه".⁴³⁶ ومع ذلك فإن المفيد أكد على لزوم التقييد بما بين الدفتين، اتباعاً للخبر الصحيح عن أئمة أهل البيت الذين أمروا بقراءة ما بين الدفتين، وعدم تجاوزه إلى القراءات الأخرى التي تزيد أو تنقص من المصحف، نظراً لأنها لم تأت على التواتر، وإنما جاء بها الآحاد، وقد يغلط الواحد فيما ينقله.⁴³⁷

واحتمل المفيد أن تكون القراءات الخاصة المنقولة عن أئمة أهل البيت كقراءة "كنتم خير أئمة أخرجت للناس" و "كذلك جعلناكم أئمة وسطاً" و "يسألونك الأنفال" أنها منزلة على وجهين، كنوع من الأحرف السبعة "كما يعترف مخالفونا به من نزول القرآن على أوجه شتى".⁴³⁸

434 - المفيد، المسائل السروية، المسألة التاسعة: صيانة القرآن من التحريف، ص 78 - 85

435 - المفيد، المسائل السروية، المسألة التاسعة: صيانة القرآن من التحريف، ص 78 - 85

436 - المصدر

437 - المفيد، المسائل السروية، ص 78 - 85

438 - وضرب لذلك مثلاً باختلاف قراءة قوله تعالى: "وما هو على الغيب بضنين" أو "وما هو على الغيب بضنين". أو قوله تعالى: "جنات تجري تحتها الأنهار" وعلى قراءة أخرى: "من تحتها الأنهار". وما أشبه ذلك. المصدر، فصل: وحدة القرآن وتعدد القراءات.

ويبدو أن الشيخ المفيد كان يقف عاجزا عن نقد ما يسميه بـ "الأخبار المستفيضة التي جاءت عن أئمة الهدى من آل محمد (ص) باختلاف القرآن وما أحدثه بعض الظالمين فيه من الحذف والنقصان". ومع ذلك فقد مال إلى تفسير تلك الأخبار بأنها تعني التأويل والتفسير ولا تمس النص القرآني، وقال: "قد قال جماعة من أهل الإمامة إنه لم ينقص من كلمة ولا من آية ولا من سورة ولكن حذف ما كان مثبتا في مصحف أمير المؤمنين (ع) من تأويله وتفسير معانيه على حقيقة تنزيهه، وذلك كان ثابتا منزلا وإن لم يكن من جملة كلام الله تعالى الذي هو القرآن المعجز... وعندني أن هذا القول أشبه (أي أفضل) من مقال من ادعى نقصان كلم من نفس القرآن على الحقيقة دون التأويل، وإليه أميل والله أسأل توفيقه للصواب".⁴³⁹

وقد مال الشيخ المفيد هنا إلى الموقف الشيعي الاثني عشري الذي تبلور في القرن الرابع الهجري، على يد استاذ ابن بابويه الصدوق وتلميذه المرتضى والطوسي، إلى جهة رفض أية زيادة أو نقيصة في القرآن، والتأكيد على اعتبار الروايات الواردة بهذا الشأن من قبيل التفسير المنزل، وليس من أساس القرآن. وإن كانت بعض عبارات المفيد السابقة توحى بإيمانه بحدوث تحريف في عملية جمع القرآن وأن القرآن الكامل هو ما جمعه الامام علي بن أبي طالب، وأنه موجود عند الامام المهدي الغائب.⁴⁴⁰

439 - المفيد، أوائل المقالات، القول في تأليف القرآن وما ذكر قوم من الزيادة فيه والنقصان، ص 80 -

440 - وهذا ما أكده محمد باقر المجلسي (1111) في تعليقه على حديث الامام الباقر "ما ادعى أحد من الناس أنه جمع القرآن كله كما أنزل إلا كذاب، وما جمعه وحفظه كما نزله الله تعالى إلا علي بن أبي طالب (ع)". حيث قال: "اختلف أصحابنا في ذلك، فذهب الصدوق ابن بابويه وجماعة إلى أن القرآن لم يتغير عما أنزل ولم ينقص منه شيء، وذهب الكليني والشيخ المفيد (قدس الله روحهما) وجماعة إلى أن جميع القرآن عند الأئمة عليهم السلام، وما في المصاحف بعضه، وجمع أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) كما أنزل بعد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وأخرج إلى الصحابة المنافقين فلم يقبلوا منه، وهم قصدوا لجمعه في زمن عمر وعثمان". المجلسي، مرآة العقول، باب أنه لم يجمع القرآن كله إلا الأئمة عليهم السلام و أنهم يعلمون علمه كله، ج 3 ص 30 - 32

وقد قلنا سابقا: ان تلك الروايات انتشرت في القرون (الثاني والثالث والرابع) فيما عرف بالمرحلة الأخبارية الأولى، وانها تقلصت وانحسرت في المرحلة الأصولية التي ابتدأت في أواسط القرن الرابع الهجري وتعززت في القرن الخامس وما بعده.

ب- موقف الأخباريين

ونظرا لاستمرار الخط الأخباري في صفوف الشيعة الاثني عشرية، وصعوده وهبوطه في بعض الأحيان، فقد استمر القول بالتحريف لدى الأخباريين الذين يأخذون الروايات دون دراسة معمقة أو تمحيص. وقد قام الأخباريون أو المحدثون بالتمسك بتلك الروايات، وخاصة في العهد الصفوي، الذي شهد مدأ أخباريا قويا، وذلك في ظل عدم إيمانهم بنظرية الأحرف السبعة، وكان من أبرز العلماء الذين تبنوا القول بتحريف القرآن، في ذلك العهد:

1 - هاشم البحراني (توفي 1108 هـ) الذي أكد في مقدمة كتابه "البرهان في تفسير القرآن": أن القول بتحريف القرآن صحيح وواضح من الأخبار "بحيث يمكن الحكم بكونه من ضروريات مذهب التشيع".⁴⁴¹

3 - نعمة الله الجزائري (توفي 1112 هـ) الذي قال: إن الأخبار حول التحريف مستفيضة وأن أصحابنا قد أطبقوا على صحتها والتصديق بها. وقال: "روي في الأخبار أنهم عليهم السلام أمروا شيعتهم بقراءة هذا الموجود من القرآن في الصلاة وغيرها، والعمل بأحكامه حتى يظهر مولانا صاحب الزمان فيرتفع هذا القرآن من أيدي الناس إلى السماء، ويخرج القرآن الذي ألفه أمير المؤمنين (ع) فيقرأ ويُعمل بأحكامه.. وفي ذلك القرآن زيادات كثيرة وهو خال من التحريف".⁴⁴²

4 - المحدث يوسف البحراني (توفي 1186 هـ) الذي قال: "لا يخفى ما في هذه الأخبار من الدلالة الصريحة والمقالة الفصيحة على ما اخترناه ووضح ما قلناه ولو تطرق الطعن إلى هذه الأخبار على كثرتها

441 - البحراني، هاشم، مقدمة البرهان، الفصل الرابع ص 49.

442 - الجزائري، نعمة الله، الأنوار النعمانية، ج 2 ص 357 و 360

وانتشارها لأمكن الطعن إلى أخبار الشريعة كلها، كما لا يخفى، إذ الأصول واحدة وكذا الطرق والرواة والمشايخ والنقله". 443

5 - المحدث الميرزا حسين النوري الطبرسي (توفي 1320هـ) الذي قال بصراحة في كتابه "فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب": "كان لأمير المؤمنين قرآن مخصوص جمعه بنفسه بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعرضه على القوم فأعرضوا عنه فحجبه عن أعينهم وكان عند ولده عليهم السلام يتوارثونه كسائر خصائص الإمامة وخزائن النبوة وهو عند الحجة (عجل الله فرجه) يظهره للناس بعد ظهوره ويأمرهم بقراءته، وهو مخالف لهذا القرآن الموجود من حيث التأليف وترتيب السور والآيات بل الكلمات أيضا من جهة الزيادة والنقيصة".؟؟؟؟؟ وزعم أن جميع علماء الشيعة وفقهاءهم المتقدمين منهم والمتأخرين يقولون: "إن هذا القرآن الموجود اليوم بين أيدي المسلمين محرف". 444؟؟؟

وقد شكك النوري الطبرسي في مقدمة كتابه بطريقة جمع القرآن وتأليفه، وقال إن عثمان ابن عفان لما جمع القرآن أسقط بعض الكلمات والآيات. وإن الله تعالى قد ذكر أسماء أوصيائه في كتبه السالفة فلا بد أن يذكرها في كتابه المهيمن عليها. واعتمد الطبرسي بصورة رئيسية في قوله بالتحريف على الأخبار التي وصفها بالكثيرة المعتبرة الصريحة، والموجودة في الكتب التي وصفها أيضا بالمعتبرة التي عليها المعول وإليها المرجع عند الأصحاب. ورفض التشكيك بتلك الروايات بناء على ضعفها أو قتلها أو عدم دلالتها على المطلوب.

ب - الأصوليون يرفضون مقولة تحريف القرآن

ان موقف الشيعة الاثني عشرية عبر التاريخ واضح في نفي التحريف، وعدم اعتبار القول بالتحريف ضرورة من ضرورات المذهب أو لازمة من لوازم التشيع، وذلك لأنهم يبنون عقيدتهم في (الإمامة) على

443 - البحراني، يوسف، الدرر النجفيه، ص 298 مؤسسة آل البيت لاحياء التراث

444 - ونسب الطبرسي القول بالتحريف إلى مجموعة من الرواة والفقهاء منهم علي بن أحمد الكوفي، ومحمد بن الحسن الشيباني، والشيخ يحيى تلميذ الكركي، والمولى محمد صالح المازندراني، والمجلسيين، والسيد علي خان، والمولى مهدي التراقي، والمحقق القمي، والشيخ أبي الحسن الشريف جد صاحب الجواهر، والشيخ علي بن محمد المقايي، والشيخ مرتضى الأنصاري، وظاهر ابن طاووس في فلاح السائل وسعد السعود.؟؟؟

مجموعة أحاديث نبوية وتأويل عدد من آيات القرآن الكريم، وليسوا بحاجة للقول بتحريف القرآن. وقد خاض الشيعة الأصوليون معركة طويلة ومزمنة مع الأخباريين، في النظر الى التراث وعدم تصحيح كل رواية فيه، بل وقاموا منذ تأسيس فرقته (الاثني عشرية) في القرن الرابع الهجري بتقسيم الروايات الى صحيحة وحسنة وموثقة وضعيفة. وان طريقتهم في نقد الأحاديث تسمح لهم برفض روايات التحريف ولا تلزمهم بشيء، ولا تعتبر كل رواية في (الكافي) صحيحة.

وقد استعرضنا في الصفحات السابقة موقف مشايخ الطائفة "الاثني عشرية" المؤسسين كالصديق والمرتضى والطوسي، ومن تبعهم من المجتهدين⁴⁴⁵، الرافضين لمقولة (تحريف القرآن)، والضرب بها عرض الجدار. وقد رأينا فيما سبق أنهم بصورة عامة يرفضون حتى نظرية (الأحرف السبعة). وسوف نستعرض باختصار آراء أبرز العلماء الأصوليين عبر التاريخ، وهم:

1- العلامة الحسن بن يوسف ابن المطهر الحلبي (توفي سنة 726 هـ) الذي قال في كتابه "مبادئ الوصول إلى علم الأصول": قال الله تعالى: "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ". وقال في "تفسير الصراط المستقيم": "أي: إنا لحافظون له من التحريف والتبديل والزيادة والنقصان". وعندما سُئل الحلبي: ما يقول سيدنا في الكتاب العزيز، هل يصحّ عند أصحابنا أنه نقص منه شيء، أو زيد فيه، أو غُيّر ترتيبه، أم لم يصحّ عندهم شيء من ذلك؟ أجاب: "الحقّ أنّه لا تبديل ولا تأخير ولا تقديم فيه، وأنّه لم يزد ولم ينقص، ونعوذ بالله تعالى من أن يُعْتَقَدَ مثل ذلك وأمثال ذلك، فإنّه يُوجِبُ التطرّق إلى معجزة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم المنقولة بالتواتر".⁴⁴⁶

2- الشيخ علي بن عبدالعالي الكركي (المتوفى سنة 938 هـ) الذي صنف رسالة مستقلة في نفي النقيصة في القرآن، ودعا فيها الى تأويل الروايات التي تدل على النقيصة أو طرحها "فإن

445 - ما عدا الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان (توفي سنة 413 هـ)، أوائل المقالات، ص 81-82

الحديث إذا جاء على خلاف الدليل من الكتاب والسنة المتواترة والإجماع ، ولم يمكن تأويله ولا حمله على بعض الوجوه وجب طرحه".⁴⁴⁷

3- القاضي نور الله الشوستري (1019) الذي نفى ما تُسبب إلى الشيعة الإمامية بوقوع التغير في القرآن، وأكد "أن ذلك ليس مما قال به جمهور الإمامية، وإنما قال به شذمة قليلة منهم لا اعتداد بهم فيما بينهم".⁴⁴⁸

4- المحدث محمد باقر بن محمد تقي المجلسي (توفي 1111هـ)، صاحب كتاب (بحار الأنوار) الذي قال: "كثير من الأخبار الصحيحة صريحة في نقص القرآن وتغييره، وعندني أن الأخبار في هذا الباب متواترة معنى، وطرح جميعها يوجب رفع الاعتماد عن الأخبار رأساً، بل ظني أن الأخبار في هذا الباب لا يقصر عن أخبار الامامة فكيف يشبونها بالخبر؟".⁴⁴⁹ وقال بعد ذكر الأحاديث الدالة على نقصان القرآن ما نصّه: "فإن قال قائل كيف يصحّ القول بأن الذي بين الدفتين هو كلام الله تعالى على الحقيقة من غير زيادة ولا نقصان وأنتم تروون عن الأئمة أنهم قرأوا (كنتم خير أئمة أخرجت للناس) وكذلك (جعلناكم أئمة وسطاً ...) وهذا بخلاف ما في المصحف الذي في أيدي الناس؟ قيل له: قد مضى الجواب عن هذا وهو أنّ الأخبار التي جاءت بتلك أخبار آحاد لا يقطع على الله تعالى بصحتها فلذلك وقفنا فيها ولم نعدل عمّا في المصحف الظاهر على ما أمرنا به حسب ما بيناه مع أنّه لا ينكر أن تأتي القراءة على وجهين منزليين أحدهما ما تضمنه المصحف والثاني ماجاء به الخبر كما يعترف مخالفونا به من نزول القرآن على وجوه شتى".⁴⁵⁰

5- السيد محمد مهدي بحر العلوم (المتوفي سنة 1212هـ) الذي أكد في كتابه (فوائد الأصول) باب حجية الكتاب: عدم تحريف القرآن. وهو ما ذهب إليه أيضاً زميله الشيخ جعفر كاشف الغطاء (المتوفي سنة 1228هـ) الذي أكد في كتابه (كشف الغطاء) حفظ القرآن من النقصان ، بحفظ الملك الديان "كما دل عليه صريح القرآن، وإجماع العلماء في جميع الأزمان".

447 - البلاغي، محمد جواد، آلاء الرحمن في تفسير القرآن، 26/1

448 - الشوستري، مصائب النواصب، ص 444

449 - المجلسي، محمد باقر، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، الجزء الثاني عشر، ص 525

450 - المجلسي، بحار الأنوار 75/92

وعندما قام الأخباري الميرزا حسين النوري الطبرسي (المتوفى سنة 1320 هـ) في مطلع القرن الرابع عشر الهجري بتأليف كتابه (فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب) أثار ضده موجة من النقد والاستنكار، ليس لأنه كشف بصراحة ما كان يحاول الشيعة إخفائه، كما يقول إحسان إلهي ظهير⁴⁵¹، وإنما لأن الشيعة الأصوليين لم يكونوا يؤمنون بتلك الروايات التي استند عليها الطبرسي. وكتب في الردّ عليه معاصره:

6- السيد هبة الدين الشهرستاني الذي ألف رسالة سمّاها (حفظ الكتاب الشريف عن شبهة القول بالتحريف) وقال: منذ الصغر أيام مكوّني في سامراء مسقط رأسي، حيث تمركز العلم والدين تحت لواء الإمام الشيرازي الكبير، فكنت أراها توجّ نائرة على نزيلها المحدث النوري بشأن تأليفه كتاب (فصل الخطاب) فلا ندخل مجلساً في الحوزة العلميّة إلّا ونسمع الضجّة والعجّة ضدّ الكتاب ومؤلفه وناشره يسلقونه بألسنة حداد. وقد كتب أرباب العلم في الردّ عليه ونقض كتابه بأقصى كلمات، وأعنف تعابير، وممن كتب في الردّ عليه من معاصريه: الفقيه المحقّق الشيخ محمود بن أبي القاسم الشهير بالمعرب الطهراني (المتوفى 1313) كتاباً سمّاه (كشف الإرتباب في عدم تحريف الكتاب) بحيث ألجأ المحدث النوري إلى أن تراجع عن رأيه بعض الشيء وتأثّر كثيراً بهذا الكتاب". وكان من الذين ردوا على النوري الطبرسي أيضاً تلميذه:

7- الشيخ محمد جواد البلاغي (المتوفى سنة 1352 هـ) الذي قال في كتابه (آلاء الرحمن): "إن المحدث المعاصر جهد في كتاب (فصل الخطاب) في جمع الروايات التي استدلت بها على النقيصة، وكثّر أعداد مسانيدها بأعداد المراسيل عن الأئمة عليهم السلام في الكتب، كمراسيل العياشي وفرات وغيرها مع أن المتتبع المحقّق يجزم بأن هذه المراسيل مأخوذة من تلك المسانيد، وفي جملة ما أورده من الروايات ما لا يتيسّر احتمال صدقها، ومنها ما هو مختلف باختلاف يؤول به إلى التنافي والتعارض، وهذا المختصر لا يسع بيان النحويين الأخيرين. هذا مع أن القسم الوافر من الروايات ترجع أسانيدُه إلى بضعة أنفار، وقد وصف علماء الرجال كلاً منهم إما بأنه ضعيف

451 - هو الباكستاني إحسان إلهي ظهير، الذي أصدر سنة 1983 كتابه الموسوم بـ "الشيعة والقرآن" الذي اتهم فيه الشيعة بصورة عامة بالقول بتحريف القرآن.

الحديث، فاسد المذهب مجفو الرواية، وإما بأنه مضطرب الحديث والمذهب يُعرف حديثه ويُنكر، ويروي عن الضعفاء، وإما بأنه كذاب متهم لا أستحل أن أروي من تفسيره حديثاً واحداً وأنه معروف بالوقف، وأشدّ الناس عداوة للرضا عليه السلام، وإما بأنه كان غالباً كذاباً، وإما بأنه ضعيف لا يُلتفت إليه ولا يُعوّل عليه ومن الكذابين، وإما بأنه فاسد الرواية يُرمى بالغلو. ومن الواضح أن أمثال هؤلاء لا تجدي كثرتهم شيئاً، ولو تسامحنا بالاعتناء برواياتهم في مثل هذا المقام الكبير، لوجب من دلالة الروايات المتعدّدة أن ننزّلها على أن مضامينها تفسير للآيات أو تأويل، أو بيان لما يُعلم يقيناً شمول عموماتها له، لأنه أظهر الأفراد وأحقّها بحكم العام، أو ما كان مراداً بخصوصه وبالنص عليه في ضمن العموم عند التنزيل، أو ما كان هو المورد للنزول، أو ما كان هو المراد باللفظ المبهم.

وعلى أحد هذه الوجوه الثلاثة الأخيرة يحتمل ما ورد فيها أنه تنزيل أو أنه نزل به جبريل كما يشهد به نفس الجمع بين الروايات، كما يُحمّل التحريف فيها على تحريف المعنى، ويشهد لذلك مكتابة أبي جعفر عليه السلام لسعد الخير كما في (روضة الكافي)، ففيها: (وكان من نبذهم الكتاب أن أقاموا حروفه وحرفوا حدوده). وكما يُحمّل ما فيها من أنه كان في مصحف أمير المؤمنين عليه السلام أو ابن مسعود، ويُنزّل على أنه كان فيه بعنوان التفسير والتأويل، ومما يشهد لذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام للزنديق كما في (نهج البلاغة) وغيره: وقد جئتكم بالكتاب كمالاً مشتتلاً على التنزيل والتأويل. ⁴⁵² وبعد أن ذكر البلاغي تأويل بعض الروايات التي استدلت بها المحدّث النوري على التحريف قال: فتكون هذه الرواية وأمثالها قاطعة لتشبهات (فصل الخطاب) بما حشده من الروايات التي عرفت حالها إجمالاً. ⁴⁵³ وقال البلاغي في مقدّمة تفسيره (آلاء الرحمن) تشنيعاً عليه: إنّ صاحب فصل الخطاب من المحدّثين المكثرين في التتبع للشواذ وإنّه ليعدّ هذا المنقول من "دبستان المذاهب" ضالّته المنشودة مع اعترافه بأنّه لم يجد لهذا المنقول أثراً في كتب الشيعة.

452 - البلاغي، محمد جواد، آلاء الرحمن، ص 26

453 - البلاغي، نفس المصدر، ص 29

454 - البلاغي، محمد جواد، آلاء الرحمن : 1 / 25

8- السيد محسن الأمين العاملي (المتوفى سنة 1371) الذي قال: "ومما يدل دلالة قطعية على إجماع الشيعة على أن القرآن الكريم لا نقصان فيه بعد إجماعهم القطعي على نفي الزيادة : إتفاق فقهاءهم ورواياتهم على كفاية قراءة أي سورة كانت من القرآن في الصلاة".⁴⁵⁵

9- الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء (المتوفى سنة 1373هـ) الذي أكد: "أن الكتاب الموجود في أيدي المسلمين هو الكتاب الذي أنزله الله إليه للإعجاز والتحدي ، ولتعليم الأحكام ، وتمييز الحلال من الحرام ، وأنه لا نقص فيه ولا تحريف ولا زيادة ، وعلى هذا إجماعهم".⁴⁵⁶

10- السيد عبد الحسين شرف الدين (المتوفى سنة 1377 هـ) الذي قال : "القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه إنما هو مابين الدفتين ، وهو ما في أيدي الناس ، لا يزيد حرفاً ولا ينقص حرفاً ، ولا تبديل فيه لكلمة بكلمة ، ولا لحرف بحرف".⁴⁵⁷ وقال: "لا تخلو كتب الشيعة وكتب أهل السنة من أحاديث ظاهرة بنقص القرآن ، غير أنّها ممّا لا وزن لها عند الأعلام من علمائنا أجمع ، لضعف سندها ، ومعارضتها بما هو أقوى منها سنداً ، وأكثر عدداً ، وأوضح دلالةً ، على أنّها من أخبار الآحاد ، وخبر الواحد إنّما يكون حجة إذا اقتضى عملاً ، وهذه لا تقتضي ذلك ، فلا يرجع بها عن المعلوم المقطوع به ، فليضرب بظواهرها عرض الحائط".⁴⁵⁸

11- السيد محسن الحكيم (المتوفى سنة 1390 هـ) ، الذي قال: "الصحيح أن القرآن الموجود بين الدفتين هو القرآن النازل على النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) من قِبَل الله تعالى من دون زيادة و نقصان ، و هذا هو المعروف بين علمائنا قديماً وحديثاً ، وابتنى عليه إجماعهم العملي وإن رويت أخبار على خلاف ذلك في بعض مصادر الفريقين - خاصة من الطرق المعتمدة لدى الجمهور - إلا أنّها لا يعتمد عليها ، و هي لا تقوى على زعزعة واقع القرآن الشريف

455 - الأمين، نقض الوشيعة ص 163

456 - كاشف الغطاء، أصل الشيعة وأصولها ص 64

457 - شرف الدين، الفصول المهمة، ص 175

458 - شرف الدين العاملي، أجوبة مسائل جار الله . المسألة الرابعة : 31 . 37 .

والتشكيك به ، فإن القرآن يثبت نفسه بنفسه ، و أنه ليس من إنشاء البشر كما قال تعالى (وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله) وهو من أجل ذلك في غنى عن التواتر ، ولذا صار معجزة للنبي (صلى الله عليه و آله وسلم) و شاهداً لصدقه وأما ما تضمنته بعض الروايات من بعض الزيادات فهو مما يقطع بعدم كونه قرآناً ، لهبوط مستواه ، وضعف بيانه ، وركاكة أسلوبه ، وكفى بذلك حجة على عدم التحريف . وأما فرضية النقيصة فهي مرفوضة لما أشار إليه السيد المرتضى (قده) من اهتمام المسلمين بالقرآن ، المانع من ضياعه ، كما أن استشهادات المسلمين من الصدر الأول بالقرآن الشريف في مقام الاحتجاج و غيره - رغم كثرتها - تشهد بعدم التحريف ، إذ لم يرد في كلامهم - ولو صدفة - الاستدلال والاستشهاد بشيء يصلح أن يكون قرآناً في أسلوبه وبيانه غير موجود في المصحف الشريف".؟؟؟؟؟

12- السيد محمد حسين الطباطبائي (المتوفى سنة 1402هـ) صاحب كتاب (تفسير الميزان) الذي يوضح موقف الشيعة من تحريف القرآن بقوله : "قد تبين مما فصلناه أن القرآن الذي أنزله الله على نبيه (صلى الله عليه وآله) ، ووصفه بأنه ذكر محفوظ على ما أنزل ، مصون بصيانة إلهية عن الزيادة والنقيصة والتغيير كما وعد الله نبيه فيه".⁴⁵⁹

13- الإمام روح الله الموسوي الخميني (1989)، مؤسس (الجمهورية الإيرانية الإسلامية) الذي أكد رأي الشيعة الجعفرية في سلامة القرآن عن التحريف قائلاً: "إن الواقف على عناية المسلمين على جمع الكتاب وحفظه و ضبطه - قراءة و كتابة - يقف على بطلان تلك المزعمة (في التحريف) ، وأنه لا ينبغي أن يركن إليه ذو مسكة . وما وردت فيه من الأخبار بين ضعيف لا يستدل به، إلى مجعول يلوح منه أمارات الجعل، إلى غريب يقضي منه العجيب، إلى صحيح يدل على أن مضمونه تأويل الكتاب وتفسيره، إلى غير ذلك من الأقسام ... و أوضحنا لك أن الكتاب هو عين ما بين الدفتين".⁴⁶⁰ وينقل الدكتور جواد علي كسار عن الإمام الخميني قوله: "لو كان الأمر كما ذكر النوري وأشباهه، من كون الكتاب الإلهي مشحوناً بذكر أهل

459 - الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ص 12/107

460 - الخميني، تهذيب الأصول (تقرير أبحاث الإمام الخميني) ، تأليف الشيخ جعفر السبحاني ، ج 2 ، ص 417

الطبعة الأولى ، قم : مؤسسة العروج ، 1423 هـ .

البيت وفضلهم، وذكر أمير المؤمنين وإثبات وصايته وإمامته، فلم لم يحتج بواحد من تلك الآيات النازلة والبراهين القاطعة أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والذين يحتجون على خلافته؟! ولم تشبث أمير المؤمنين بالأحاديث النبوية والقرآن بين أظهرهم؟".⁴⁶¹

14- استاذ الحوزة العلمية في النجف، المرجع السيد أبو القاسم الخوئي (توفي سنة 1993) الذي يقول: "إن المشهور بين علماء الشيعة ومحققهم، بل المتسلم عليه بينهم هو القول بعدم التحريف".⁴⁶² و "إن حديث تحريف القرآن حديث خرافة وخيال لا يقول به إلا من ضعف عقله أو من لم يتأمل في أطرافه حق التأمل أو من ألجأه إليه حب القول به ، والحب يعمي ويصم أما العاقل المنصف المتدبر فلا يشك في بطلانه وخرافته".⁴⁶³

ورغم أن الخوئي يؤكد وجود مصحف خاص لأمير المؤمنين يغير القرآن الموجود في ترتيب السور، واشتماله على زيادات ليست في القرآن الموجود، إلا أنه يقول: "لا دلالة في ذلك على أن هذه الزيادات كانت من القرآن، وقد أسقطت منه بالتحريف، بل الصحيح أن تلك الزيادات كانت تفسيراً بعنوان التأويل، وما يؤول إليه الكلام، أو بعنوان التنزيل من الله شرحاً للمراد".⁴⁶⁴ ويضيف: "لا دلالة في شيء من هذه الروايات على أن تلك الزيادات هي من القرآن. وعلى ذلك يحمل ما ورد من ذكر أسماء المنافقين في مصحف أمير المؤمنين - عليه السلام - فإن ذكر أسمائهم لا بد وأن يكون بعنوان التفسير. ويدل على ذلك ما تقدم من الأدلة

461 - كسار، جواد علي، فهم القرآن.. دراسة شاملة في رؤى الإمام الخميني، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي.. سلسلة الدراسات القرآنية، الطبعة الأولى 2008م

http://mdarik.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1237705860468&pagename=Zone-Arabic-MDarik%2FMDALayout#ixzz0uqVahkuJ

462 - الخوئي، البيان، ص 201

463 - الخوئي، البيان في تفسير القرآن ص 259

464 - الخوئي، البيان في تفسير القرآن ص 259

القاطعة على عدم سقوط شيء من القرآن".⁴⁶⁵ ويقول أخيراً : "إن وجود الزيادات في مصحف علي عليه السلام وإن كان صحيحاً، إلا أن هذه الزيادات ليست من القرآن، ومما أمر رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) بتبليغه إلى الأمة ، فإن الالتزام بزيادة مصحفه بهذا النوع من الزيادة قول بلا دليل، مضافاً إلى أنه باطل قطعاً . ويدل على بطلانه جميع ما تقدم من الأدلة القاطعة على عدم التحريف في القرآن".⁴⁶⁶

ثم يناقش الخوئي الشبهات التي يتشبهت بها بعض الأخباريين كقولهم: "إن الروايات المتواترة عن أهل البيت - ع - قد دلت على تحريف القرآن فلا بد من القول به". ويجيبهم بـ: "أن هذه الروايات لا دلالة فيها على وقوع التحريف في القرآن بالمعنى المتنازع فيه. وتوضيح ذلك : أن كثيراً من الروايات، وإن كانت ضعيفة السند ، فإن جملة منها نقلت من كتاب أحمد بن محمد السيارى (القراءات)، الذي اتفق علماء الرجال على فساد مذهبه، وأنه يقول بالتناسخ، ومن علي بن أحمد الكوفي الذي ذكر علماء الرجال أنه كذاب، وأنه فاسد المذهب إلا أن كثرة الروايات تورث القطع بصدور بعضها عن المعصومين عليهم السلام ولا أقل من الاطمئنان بذلك ، وفيها ما روي بطريق معتبر فلا حاجة بنا إلى التكلم في سند كل رواية بخصوصها. علينا أن نبحث عن مداليل هذه الروايات، وإيضاح أنها ليست متحدة في المفاد، وأنها على طوائف". ثم يستعرض الخوئي مختلف الروايات المدعية للتحريف، ويقول: "أنا قد أوضحنا فيما تقدم أن بعض التنزيل كان من قبيل التفسير للقرآن وليس من القرآن نفسه، فلا بد من حمل هذه الروايات على أن ذكر أسماء الأئمة - عليهم السلام - في التنزيل من هذا القبيل ، وإذا لم يتم هذا الحمل فلا بد من طرح هذه الروايات لمخالفتها للكتاب والسنة، والأدلة المتقدمة على نفي التحريف . وقد دلت الأخبار المتواترة على وجوب عرض الروايات على الكتاب والسنة وأن ما خالف الكتاب منها يجب طرحه، وضربه على الجدار" . ويؤكد موقفه هذا مرة أخرى فيقول: "بعد الإغضاء عما في سندها من الضعف - أنها مخالفة للكتاب والسنة ولإجماع المسلمين على عدم الزيادة في القرآن ولا حرفاً واحداً حتى من القائلين بالتحريف. وقد ادعى الإجماع جماعة كثيرون على عدم الزيادة في القرآن، وأن مجموع ما بين الدفتين كله من القرآن. ومن ادعى الإجماع الشيخ المفيد، والشيخ الطوسي، والشيخ البهائي، وغيرهم من الأعظم قدس الله أسرارهم ... وقد صرح جماعة من الأعلام بلزوم

465 - الخوئي، البيان في تفسير القرآن ص 259

466 - الخوئي، البيان في تفسير القرآن ص 259

تأويل هذه الروايات أو لزوم طرحها . ومن صرح بذلك المحقق الكلباسي حيث قال على ما حكى عنه : " إن الروايات الدالة على التحريف مخالفة لإجماع الأمة إلا من لا اعتداد به . . . وقال : إن نقصان الكتاب مما لا أصل له وإلا لاشتهر وتواتر ، نظراً إلى العادة في الحوادث العظيمة . وهذا منها بل أعظمها " .

ويستعين الخوئي بمجموعة من الروايات الواردة عن أهل البيت والتي تؤكد ضرورة طرح أية رواية تخالف القرآن الكريم، فيذكر من تلك الروايات : ما رواه الشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين بسنده الصحيح عن الصادق عليه السلام : " الوقوف عند الشبهه خير من الاقتحام في الهلكة، إن على كل حق حقيقة ، وعلى كل صواب نورا ، فما وافق كتاب الله فخذوه، وما خالف كتاب الله فدعوه ... " . وما رواه الشيخ الجليل سعيد بن هبة الله " القطب الراوندي " بسنده الصحيح إلى الصادق عليه السلام : " إذا ورد عليكم حديثان مختلفان فاعرضوهما على كتاب الله، فما وافق كتاب الله فخذوه، وما خالف كتاب الله فردوه ... " 467 .

وبالرغم من قيام المجتهدين الشيعة الاثني عشريين (الأصوليين) بنقد روايات التحريف، الا أنهم لم يقضوا على جذر المشكلة، حيث ظلت بعض الروايات القائلة بتحريف القرآن صريحة وقوية لديهم، أو "مستفيضة" كما يقول الخوئي. ومع أن الكثير منهم قال بضرورة التوقف عندها أو طرحها لمخالفتها القرآن وإجماع المسلمين، الا ان بعضهم أيضا مال الى قبولها والأخذ بها، وقال ان طرحها يؤدي الى طرح كل روايات الإمامية.

وقد رأينا السيد أبو القاسم الخوئي، رغم قوله "بأن حديث تحريف القرآن حديث خرافة وخيال" يتردد في اتخاذ موقف حاسم وقاطع ضد التحريف، ويقول: "إن المشهور بين علماء الشيعة ومحققهم، بل المتسالم عليه بينهم هو القول بعدم التحريف" 468 . ويعود ليردد مقولة الشيخ المفيد بوجود مصحف خاص لأمر المؤمنين يغاير القرآن الموجود (في ترتيب السور)، واشتماله على زيادات ليست في القرآن الموجود، وان تلك الزيادات ليست من القرآن ، "بل من التفسير والتأويل، أو التنزيل من الله شرحا للمراد". وهذا ما يعني وجود

467 - الخوئي، البيان في تفسير القرآن، من صفحة 223 الى ص 235

468 - الخوئي، البيان، ص 201

تنزيل إضافي خارج القرآن يتضمن أسماء الأئمة وأسماء أعدائهم مما هو غير موجود في القرآن المتداول بين المسلمين. وهو ما يعني بشكل أو بآخر القول بالتحريف وان لم يكن في نفس القرآن حسب قوله، وإنما في الوحي المنزل من الله بصورة عامة. 469

ومع أن الخوئي يحاول التصدي للأخباريين الذين يقولون: "إن الروايات المتواترة عن أهل البيت قد دلت على تحريف القرآن فلا بد من القول به". إلا أنه لا ينكر تواترها، بل يضعف أمام الأخباريين ويقرهم على حدوث التحريف بصورة عامة ولكنه يقول: "أن هذه الروايات لا دلالة فيها على وقوع التحريف في القرآن بالمعنى المتنازع فيه". "؟؟؟؟؟" ويضيف: "أنا قد أوضحنا فيما تقدم أن بعض التنزيل كان من قبيل التفسير للقرآن وليس من القرآن نفسه، فلا بد من حمل هذه الروايات على أن ذكر أسماء الأئمة - عليهم السلام - في التنزيل من هذا القبيل". "؟؟؟؟؟" ويعترف لهم بأن "كثرة الروايات تورث القطع بصدور بعضها عن المعصومين عليهم السلام ولا أقل من الاطمئنان بذلك، وفيها ما روي بطريق معتبر... فعلينا أن نبحث عن مداليل هذه الروايات". ويحاول الخوئي أن يأول تلك الروايات الصريحة بالتحريف، على محامل شتى ثم يقول: "وإذا لم يتم هذا الحمل فلا بد من طرح هذه الروايات لمخالفتها للكتاب والسنة، والأدلة المتقدمة على نفي التحريف". "؟؟؟؟؟"

وهذا موقف ينطوي على ضعف تجاه الرجال الذين رووا تلك الروايات كالكليني والقمي وغيرهم، واعتبار تلك الروايات "صحيحة ومعتبرة ومستفيضة ومتواترة"، وكان من الأجدر به أن يدرس روايات التحريف ضمن ظروفها المحيطة بها وتوقيتها وارتباطها بنظرية الإمامة، وأن يعيد النظر في نظرية الإمامة الإلهية نفسها، ويتساءل عن مصدر أحاديث التحريف وصدقيتها، ولماذا لم تعرف عن الأئمة السابقين كالإمام علي بن أبي طالب أو الحسن أو الحسين؟.

ان تأويل روايات التحريف "الصحيحة" - كما يقول الخوئي - أو طرحها لا يكفي في حسم الموضوع، بل لا بد من التساؤل عن صحة تلك الروايات حتى لو ثبت صدورها عن الامامين الباقر والصادق اللذين

469 - قال المفيد: "إن الأخبار قد جاءت مستفيضة عن أئمة الهدى من آل محمد باختلاف القرآن وما أحدثه بعض

عاشا في القرن الثاني الهجري، ورويا دون سند معتبر عن كتاب سري مجهول ومشكوك فيه يسمى "كتاب علي" أو "مصحف فاطمة". ان صحت النسبة اليهما.

أحمد الكاتب

لندن

يوم عرفة 1433 المصادف 25 تشرين الأول 2012

التعديل الثاني 16 /12/ 2013

